

مختصر مفيد..

السيد جعفر مرتضى العاملي

<المجموعة الرابعة>

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

المركز الإسلامي للدراسات

تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله
الطاهرين. واللعنة على أعدائهم أجمعين، من الأولين والآخرين،
إلى قيام يوم الدين..

وبعد..

فإن السؤال يمثل تعبيراً صريحاً عن إحساس داخلي بالحاجة
إلى شيء بعينه.. يسعى المرء للحصول عليه، ليعيش معه حالة
الشعور بالغنى في النفس، والأصالة في الفكر، والرضا في
الوجدان.

ويأتي جواب المسؤول، ليكون الدواء الناجع، والبلسم الشافي،
لما يحمله في داخله من معاني القوة، والنضج، والاستجماع
لعناصر الإقناع العقلي، أو تحقيق الراحة للضمير، فإذا لم يبلغ هذا
المستوى في ذلك كله.. فسيحتاج إلى متابعة البحث، وإلى إعادة
طرح السؤال في مظان توفر الإجابة الصحيحة والصريحة..

وقد وردت علينا أسئلة كثيرة، لا مجال للتكهن بعددها. وقد

حاولنا أن نجيب على ما نزع من أننا نعرف الجواب عليه منها..
 بصورة موجزة تارة، وبصورة مسهبة أخرى..

وقد بدا لنا أن من المفيد عرض نماذج يسيرة من هذا وذاك،
 فلعل القارئ يجد فيها بعض ما ينفع أو يجدي.. مع الاعتراف سلفاً
 بأننا لا ندعي العصمة فيما نقول، ولا فيما نفعل..

ولأجل ذلك: فإننا إذ نعتذر إلى القارئ الكريم سلفاً عن أي
 خلل أو خطأ يحتمل أن نكون قد وقعنا فيه، فإننا نطلب منه بالإحاح
 أن لا يبخل علينا بما يراه مناسباً، مما يكون له صفة الإرشاد
 والدلالة، أو يدخل في نطاق التصحيح، أو في دائرة توضيح ما
 يحتاج إلى توضيح.

والله نسأل: أن يعصمنا من الزلل في الفكر، وفي القول، وفي
 العمل.. إنه ولي المؤمنين.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد
 وآله الطيبين الطاهرين.

عيثا الجبل (عيثا الزط سابقاً)

جعفر مرتضى العاملي

القسم الأول

عقائديات

العدل الإلهي، وقضايا السلوك

السؤال (١٨٧):

بسمه تعالى

سماحة العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى أعزه المولى.
كيف تفسرون العدل الإلهي في شخصين، الأول ولد في بيئة
مؤمنة جعلت منه إنساناً مؤمناً، والثاني في بيئة كافرة جعلت منه
إنساناً كافراً؟

وما علاقة عالم الذر بهذا الموضوع؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله
الطاهرين.. وبعد..

فإنه وإن كان للبيئة بعض التأثير على الناس فيما يرتبط
بإيمانهم والتزامهم، ولكن ذلك لا يصل إلى حد الإلجاء.

بل هو بالنسبة لقضايا الإيمان لا يتجاوز حدّ الخديعة، التي

يفترض أن تسقط آثارها حين تتكشف الأمور، وتظهر الحقائق من خلال ما يتوفر له من أدلة، ثم لا يبقى لأحد القدرة على تغيير القناعات التي توفرت لديه، على قاعدة: **{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}** ^(١).

وأما بالنسبة لقضايا السلوك، فالأمر لا يتجاوز حد العمل بما تفرضه أحكام التقية، التي تفرض درجة من المداراة لإبعاد الأخطار التي قد يتعرض لها.

وقد رأينا كيف أن امرأة نوح x وامرأة لوط x لم تتأثرا بمحيط الإيمان الذي عاشتا فيه، رغم أنه محيط العصمة والوعي والهدى والسلامة، والطهر، بأعلى الدرجات، وعاشت حالة الكفر، والشر، ومضتا على ذلك..

كما أن زوجة فرعون قد قاومت كل قهر وظلم واستكبار ومغريات فرعون، وعاشت إيمانها وطهرها بكل صلابة وإصرار ومضت على ذلك..

ويبقى أولئك الذين يصلون إلى حد الاستضعاف، فإن لهم حكماً آخر.

وأما عن علاقة ذلك بعالم الذر، فلا أرى أن له علاقة ظاهرة في ذلك.

والله هو الولي، وهو الهادي إلى سواء السبيل..

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

هل أوكل الله الخلق إلى غيره؟!؟

السؤال (١٨٨):

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الصلاة على أشرف الخلق وأفضلهم محمد وآل بيته
الطيبين الطاهرين..

أتوجه إلى سماحتكم الموقرة، وعلمكم المتصدي للبدع،
والمدافع عن عقائد مذهب الحق حسب التكليف الملقى على عاتق
صاحب كل علم >إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه
وإلا فعليه لعنة الله<^(١) وبما أنكم من العاملين والمتصدين الذين
لا يخافون في الله لومة لائم في إظهار الحق، ودحض البدع، أسأل
الله جلّ وعلا شأنه أن يزيدني من علمكم علماً أنتفع به بإذن الله.
سماحة السيد أطل الله بعمركم الشريف..

في موضوع خلق الخلق بأكمله، هل المولى جلّ وعلا شأنه
محتاج إلى التدخل بكل تفاصيله بصورة مباشرة، أي تكون بيده
<كتعبير مجازي> دون وكيل؟!.. إذ لا يليق هذا الأمر بغير
الله جلّ وعلا شأنه..

أم أنه قد أوكل هذا الأمر إلى محمد وآل بيته عليهم أفضل
الصلاة والسلام؟!.. دون أن تنفي هذه الوكالة عنه أنه صاحب
الفعل أي خالق الخلق لأنه قد تم بأمره..

(١) الغيبة للطوسي، ص ٦٤ ، وأمالى المفيد،
ص ١٢٢.

مثلا إن الله هو المميت، لكن ملك الموت هو الموكل من قبل الله جلّ وعلا شأنه، وهذه الوكالة لا تنفي عن الله أنه صاحب الأمر إذ لا سلطة لملك الموت دون إرادة الله.

فهل نستطيع بهذه المقارنة أن نستدل على أن المولى جلّ وعلا شأنه قد أوكل خلق الخلق إلى أحب عباده، محمد وآله صلوات الله عليهم، دون أن تنزع عنه هذه الوكالة صفة الخالق لأنه صاحب الإرادة..

أخيراً.. أعتذر عن تضييع وقتكم الذي تفنوه في خدمة الدين وتبيان الحق..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

وبعد..

فإن الله عز وجل، غني عن خلقه، قادر على كل شيء.. ولا يحتاج الله سبحانه إلى شيء، فلا يصح قولكم: هل يحتاج الله في خلق الخلق إلى التدخل في كل تفاصيله بصورة مباشرة، بحيث يكون هو المباشر للخلق، فإن الجواب هو: لا، بل إن الأمر في ذلك إليه سبحانه، وليس هناك ما يحتم على الله سبحانه أي شيء.. ولكن المهم هو أن يكون هناك دليل على أن الله سبحانه قد

أذن لأحد من خلقه بأن يمارس أمر الخلق والرزق.. كما أذن لملك الموت بقبض أرواح البشر. وكما أذن للمدبرات أمراً بالتدبير في بعض المجالات.. وكما أذن للنبي عيسى* بأن يحيي الموتى ويرى الأكمه والأبرص..

وقد قال الله تعالى، حكاية عن النبي عيسى* : {أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَبْرَأُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَتَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ} (١).

وقال تعالى مخاطباً للنبي عيسى* : {وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي} (٢).

فترى أنه* قد نسب الخلق إلى نفسه، فقال: {أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ}.. وقد نسبته الله سبحانه إلى غيره في مورد آخر، كما يشعر به قوله تعالى: {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} (٣).

وحين يأذن الله لملك الموت بقبض الأرواح، فإن الأمر لا يكون من باب التوكيل له على نحو يكون هناك استقلالية للوكيل في الفعل والإيجاد، بل دور الملائكة في التدبير، كما يقول العلامة الطباطبائي، هو أنه حين تتنازع الأسباب في الأشياء وجوداً وعدمًا وبقاء وزوالاً، وفي مختلف أحوالها. فإن الملك يقرب

(١) آل عمران ، الآية ٤٩ .

(٢) المائدة ، الآية ١١٠ .

(٣) المؤمنون ، الآية ١٤ .

بعض تلك الأسباب، لتكون هي في موقع التأثير، وفقاً للحكمة، واستجابة للإرادة الإلهية فيقع ما أراده الله سبحانه^(١)..

وبالنسبة للنبي عيسى x أو لغيره، فإن ملك الموت لا يحقق الموت بذاته، كما أن النبي عيسى x لا يخلق الأشياء بذاته، بل إن الله سبحانه هو الذي يفيض عليها الوجود، فإرادة النبي عيسى x، هي من مبادئ الإرادة الإلهية..

وفي جميع الأحوال نقول: إنه إن كان تعالى قد أوكل أمر الخلق إلى محمد ، وآل محمد ٨، فلا بد أن يكون على هذا السبيل، ولكن المهم هو أن يوجد الدليل القاطع الدال على هذا الأمر، ولا نجد فيما بين أيدينا ما يمكن الاعتماد عليه في إثبات ذلك..
والحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله..

من كان حجة الله بعد عيسى x

السؤال (١٨٩):

بسمه تعالى

ورد في الروايات لو خلت الأرض طرفة عين من حجة لساخت بأهلها. فمن كان إذن حجة الله بعد عيسى x؟.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله

(١) راجع: تفسير الميزان ج ٢٠ ص ١٨١ و ١٨٢.

الطاهرين..

وبعد..

فإننا نقول في مقام الإجابة على سؤالكم ما يلي:

قال الله سبحانه عن الذين كفروا: {كُلَّمَا أَلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} (١) ..

وقال تعالى: {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} (٢) ..

١ - علماً أن هناك روايات كثيرة تدل على أنه قد كان في الفترة فيما بين النبي عيسى x ونبينا الأعظم ، حجج: أوصياء، وأنبياء أو علماء وقد ذكرت بعضها أسماءهم كما ستري ونذكر من هذه الروايات العامة والمصرحة ببعض أسماء هؤلاء، كما سيأتي:

غاية الأمر أن بعضهم قد يتستر على هذا الأمر، كما هو الحال بالنسبة لأبي طالب x كما سنرى، أو يغيب عن الأنظار كما دلت عليه الروايات أيضاً..

وقد يكون هذا العالم الحجة على الناس داخلاً في جملة أهل الإيمان، حين يكونوا كثيرين.. فلا يميز التاريخ لنا شخصه، ولا يصرح لنا باسمه.

(١) سورة الملك، الآيات ٨ و ٩.

(٢) سورة فاطر، الآية ٢٤.

وقد جاء في الروايات: أنه لا تخلو الأرض من حجة لله، إما ظاهر مشهور، وإما غائب مستور^(١)..

والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة جداً، فلترجع في مصادرها^(٢).

٢ - وفي نهج البلاغة، أن الإمام علياً x، قال:

«ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبي مرسل، أو كتاب منزل، أو حجة لازمة، أو محجة قائمة، رسل لا تقصر بهم قلة عددهم، ولا كثرة المكذبين لهم، من سابق سمى له من بعده، أو غابر عرفه من قبله، على ذلك نسلت القرون، ومضت الدهور، وسلفت الآباء، وخلفت الأبناء، إلى أن بعث الله نبيه محمداً»^(٣).

٣ - ومن الأنبياء الذين تذكر الروايات: أنهم بعثوا قبل رسول الله، خالد بن سنان الذي بعث قبل النبي، بخمسين سنة..

وتذكر الروايات: أنه نبي ضيعه قومه^(٤).

(١) راجع: نهج البلاغة ص ٤٩٧ رقم الحديث ١٤٧

والإرشاد ج ١ ص ٢٢٨ والخصال ص ١٨٦.

(٢) راجع: بصائر الدرجات ص ٥٠٤ حتى ٥٠٩

والكافي ج ١ ص ١٧٧ - ١٨٠ وغير ذلك كثير.

(٣) تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٥٧٦ ونهج البلاغة ج ١

ص ٢٤ وبحار الأنوار ج ١١ ص ٦١.

(٤) راجع نور الثقلين ج ١ ص ٦٠٢ و ٦٠٣ عن علي

بن إبراهيم في تفسيره، وعن إكمال الدين

والبحار ج ١٤ ص ٤٤٨ و ٤٤٩ و ٤٥٠ عنه، وعن

عجائب المخلوقات، وعن السيوطي في شواهد

المعني، وروضة الكافي ص ٣٤٢ و ٣٤٣.

٤ - وأورد في إكمال الدين وإتمام النعمة حديثاً عن النبي ، ذكر فيه الأنبياء: عيسى، ثم يحيى، ثم العزير، ثم دانيال ٨، إلى أن قال:

«وكانت الفترة بين النبي عيسى x، ومحمد ، أربعماية سنة، وثمانين سنة، وأولياء الله يومئذ في الأرض ذرية (أنشوا بن مكixa) يرث ذلك منهم واحد بعد واحد، ممن يختاره الجبار»^(١).

٥ - وذكر حديثاً طويلاً آخر عن النبي ، وفي آخره يقول:

وأوصى عيسى إلى شمعون بن حمون الصفا، وأوصى شمعون إلى يحيى بن زكريا، وأوصى يحيى بن زكريا إلى منذر، وأوصى منذر إلى سليمة، وأوصى سليمة إلى بردة، ثم قال رسول الله ، ودفعها إليّ بردة، ودفعنها أنا إليك يا علي»^(٢).

وستأتي الإشارة إلى أن ذكر يحيى x - إن لم يكن اشتباهاً من الراوي، فإنه جار وفق الرواية التي ذكرها المسعودي من أن يحيى x قد كان بعد عيسى x وكذلك الرواية التي رواها الصدوق في إكمال الدين، وهي المتقدمة برقم (٤).

٦ - وحين سئل الإمام الصادق x، عن المجوس، قال x: «ما

(١) تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٦٠٣ وإكمال الدين ص ٢٢٦ وبحار الأنوار ج ١٤ ص ٥١٨.

(٢) نور الثقلين ج ١ ص ٦٠٣ و ٦٠٤ وراجع: البحار ج ١٤ ص ٣٤٥ / ٣٤٦ وج ٢٣ ص ٥٨ وج ١٧ ص ١٤٨ والإمامة والتبصرة ص ٢٣ وأمالى الصدوق ص ٤٨٨ وإكمال الدين ص ٢١٣ وأمالى الطوسي ص ٤٤٣.

من أمة إلا خلا فيها نذير، وقد بعث إليهم نبي بكتاب من عند الله،
فأنكروه وجحدوا كتابه>^(١)..

٧ - وفي نص آخر: <أن عيسى x قد أوصى إلى شمعون بن
حمون x، فلما مضى شمعون غابت الحجج بعده فاشتد الطلب،
وعظمت البلوى الخ>.^(٢)..

وغيبة الحجج ليس معناه أنهم لم يكونوا موجودين، بل المراد
هو تخفيهم عن أعين الجبارين، ويوضح ذلك ذيل الرواية التالية:
٨ - وفي نص آخر عن الإمام الصادق x، قال: <كان بين عيسى
x، وبين محمد x خمس مئة عام، منها مئتان وخمسون عاماً ليس فيها
نبي، ولا عالم ظاهر.

قلت: فما كانوا؟!>

قال: كانوا متمسكين بدين عيسى x.

قلت: فما كانوا؟!>

قال: مؤمنين.

ثم قال x: ولا تكون الأرض إلا وفيها عالم>.^(٣)

(١) نور الثقلين ج ٤ ص ٣٥٩ عن الاحتجاج وبحار
الأنوار ج ١٠ ص ١٧٩ وج ١٤ ص ٤٦٢.

(٢) البحار ج ١٤ ص ٣٤٦ / ٣٤٧ عن كمال
الدين. ص ١٦٠.

(٣) راجع: البحار ج ١٤ ص ٣٤٧ و ٣٤٨ عن كمال
الدين. وكمال الدين ص ١٦١ وتفسير نور
الثقلين ج ٥ ص ٣١٤.

٩- قال المسعودي، بعد أن ذكر في كتاب: إثبات الوصية جملة من أحوال المسيح x:

«وأوصى إلى شمعون، وأمرهم بطاعته، وسلم إليه الاسم الأعظم والتابوت، وذكر بعد شمعون يحيى بن زكريا x، ثم منذر بن شمعون، ثم دانيال، ثم قال: وروي في خبر آخر: أن العزيز ودانيال كانا قبل المسيح، ويحيى بن زكريا >٨..»

١٠ - ومما نذكره هنا. هو أن الروايات قد أشارت إلى أن أبا طالب قد كان من الأوصياء، فقد روي أنه قد قيل لأمير المؤمنين x: من كان آخر الأوصياء قبل النبي؟ فقال: أبي^(١).

١١ - عن درست بن أبي منصور: أنه سأل أبا الحسن الأول - الإمام الكاظم x - : أكان رسول الله ' محجوجاً بأبي طالب؟ فقال: لا. ولكنه كان مستودعاً للوصايا، فدفعها إليه.

فقال: قلت: فدفع إليه الوصايا على أنه محجوج به؟!..

فقال: لو كان محجوجاً به ما دفع إليه الوصية.

قال: قلت: فما كان حال أبي طالب؟!..

قال: أقر بالنبي وبما جاء به، ودفع إليه الوصايا، ومات من يومه.. >(٢).

(١) راجع: الغدير ج ٧ ص ٣٨٩ عن ضياء العالمين للفتوني.

(٢) الكافي ج ١ ص ٤٤٥ والغدير ج ٧ ص ٣٩٤.

وإذا كان أبو طالب من الأوصياء فكيف يكون حال عبد المطلب أيضاً الذي يحشر وعليه هيبة الملوك، وسيماء الأنبياء^(١)..

١٢ - <قال الصدوق في هذا الكتاب يعني الفترة: إنه لم يكن بينهم رسول، ولا نبي، ولا وصي ظاهر مشهور، كمن كان قبله. وعلى ذلك دل الكتاب المنزل: إن الله عز وجل بعث محمداً، على حين فترة من الرسل، من الأنبياء والأوصياء. ولكن قد كان بينه وبين النبي عيسى x، أنبياء وأئمة مستورون خائفون، ومنهم خالد بن سنان العبسي نبي، لا يدفعه دافع، ولا ينكره منكر، لتواطى الأخبار بذلك عن الخاص والعام، وشهرتهم عندهم؛ وكان بين مبعثه ومبعث نبينا، خمسون سنة>^(٢).

وبعدما تقدم نقول:

إن كان ثمة من فترة فيما بين عيسى x، ونبينا الأعظم، فإنما هي فترة انقطاع الرسل..

أما الأنبياء فكانوا يبعثون، وأما الأوصياء فكانوا موجودين أيضاً، يحضرون أو يغيبون، حسبما تقتضيه الأمور..

بل قد يقال: إن المراد بالفترة، هي فترة غيبة أولئك الأوصياء، حينما كان يستفحل فيها الفساد والانحراف.

(١) الكافي ج ١ ص ٤٤٦ و ٤٤٧.

(٢) نور الثقلين ج ١ ص ٦٠٤ وكمال الدين ص ٦٥٩ والتفسير الصافي ج ٢ ص ٢٤.

وعلى كل حال، فإن هناك أحاديث أخرى رواها السنة
والشيعة، تدخل في هذا السياق، غير أننا نكتفي نحن هنا بهذا
القدر..

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

علم جبرئيل x وعلم الرسول ‘

السؤال (١٩٠):

بسمه تعالى

إذا كان جبرئيل x هو الذي يأتي بالقرآن للرسول ‘، فهذا
يعني أنه قد تعلمه قبل الرسول ‘، وأن علومه مساوية لعلوم
الرسول ‘.. فهل هذا صحيح؟!..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

أولاً: إن من البديهي: أن كثيراً من الناس يقرؤون القرآن،
ولكن مقدار استفادتهم منه يختلف من شخص لآخر.. فإذا كان
جبرئيل x قد حمل القرآن إلى النبي ‘، فذلك لا يعني أنه أعلم منه
بمعانيه، ومرامييه، وإشاراته، ودلائله..

ثانياً: إن معاني القرآن قد نزلت أولاً على قلب رسول الله ‘،
ولعل ذلك بطريقة الوحي الإلهامي، أو بغيرها من طرق الوحي،

وليس بالضرورة أن يكون جبرئيل هو الوسيلة في إيصالها، ولعل
وساطة جبرئيل x كانت في نزول آخر للقرآن، وهو النزول
التدريجي، فلا دليل على أن جبرئيل x قد تلقى القرآن قبل رسول
الله ‘ ..

ثالثاً: إن عظمة جبرئيل x: هي في أنه هو حامل الوحي للنبي
الخاتم ‘، وذلك هو شرفه العظيم، وفخره ومجده.. وكان هو
يعرف لرسول الله ‘ منزلته وشرفه، ومعاملته له تشهد على ذلك..
والحمد لله رب العالمين.

القسم الثاني:

قرآنيات

القرآن وحده المعجزة الخالدة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإن لدي عدة أسئلة، هي:

السؤال الأول (١٩١):

لماذا لم تكن معجزة النبي عيسى x خالدة كما كانت معجزة

النبي محمد؟!..

السؤال الثاني (١٩٢):

لماذا لم تكن التوراة هي معجزة النبي موسى x، والإنجيل

معجزة النبي عيسى x، كما كان القرآن معجزة رسول الله؟!..

السؤال الثالث (١٩٣):

إن بعض المطارنة يقول: إن المسلمين يعترفون بالمسيح

وبالمسيحية، فهذا يدل على صحة الدين المسيحي، أما المسيحيون،

فلا يعترفون بالإسلام، فيبقى الإسلام مجرد دعوى، فإن اعترف

لهم المسيحيون بشيء فلا بد من الاختصار عليه..
فكيف تجيبون على هذه الأسئلة؟!..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله.. **وبعد..**

فإنه لا يمكننا معرفة العلل، والأسباب الحقيقية لكثير من الأمور، غير أننا نحتمل أن يكون من أسباب ذلك عدم خلود معجزة النبي موسى والنبي عيسى '، وعدم كون المعجزة هي نفس التوراة والإنجيل.

ولو كانت معجزة النبي عيسى x هي الإنجيل، ومعجزة النبي موسى x هي التوراة، لشعرت هذه الديانات بالاستغناء عن الإسلام، ولانسدت أبواب الهداية على أتباع تلك الديانات عبر العصور، فلم يجدوا في أنفسهم حاجة إلى النظر في معجزة رسول الله '.

ولكن لما كانت معجزة النبي عيسى والنبي موسى ' هي مجرد أحداث قد انتهت في وقتها، فانحصر العلم بها بالنقل، وهو مما يتطرق إليه في كثير من حالاته الشك والترديد، وتتأكد فيه التهمة حين يكون الناقل ممن يجبر النار إلى قرصه، مع احتمال اعتماده فيما يخبر به على ما لا يصح الاعتماد عليه، سواء في ذلك الأشخاص، أو غير ذلك من وسائل الإثبات..

فكان من نتيجة ذلك هو أن احتاج الذين يعتبرون أنفسهم أتباعاً للنبي موسى والنبي عيسى ' لإثبات صحة ما يدّعون أنه إلى اعتراف دين الإسلام به، وقبوله له بنقلهم.. وذلك لأن معجزة الإسلام حاضرة، وماثلة للعيان، ويمكن لكل أحد أن يختبر أمر الإعجاز فيها.. فإذا ثبت دين الإسلام عن طريق إدراك هذا الإعجاز، ودلت البراهين على أنه منزل من عند الله، فإذا أخبر بصحة هذا الأمر أو ذاك، فلا بد من قبوله والتدين به.. ولا بد من رد ورفض ما يرده ويرفضه..

فتحتاج كل من المسيحية واليهودية إذن.. إلى تصديق الإسلام لها.. لأنها عاجزة عن إثبات ما تدّعيه عجزاً واقعياً..

أما الإسلام فإن المعجزة الحاضرة وهي القرآن.. هي التي تثبته في كل عصر وزمان.. فيمكن لكل أحد أن ينظر فيه، وأن يدرك إعجازه ولو بأن يتعلم اللغة العربية..

ولكن معجزة النبي عيسى x التي هي إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، وكذلك معجزة النبي موسى x التي هي العصا، وكذلك فلق البحر له. وغير ذلك، تبقى مجرد نقول وأحاديث، تحتل الصدق والكذب، فإذا أقرأها القرآن، المعجز، والثابت أنه كلام الله تعالى، فإنها تثبت بذلك، لأنها إخبار من علام الغيوب..

فظهر بذلك:

أولاً: إن الإسلام لا يحتاج في إثبات نفسه إلى إقرار المسيحية واليهودية به من حيث هي أديان..

ثانياً: إن المسيحية واليهودية عاجزة عن إثبات نفسها، أو أي شيء مما تدّعيه إلا إذا اعترف الإسلام لها بذلك من حيث هو دين إلهي ثابت بالدليل..

ثالثاً: إن على المسيحية واليهودية أن تهتم بإثبات الإسلام وإعجاز القرآن، وأنه كتاب منزل لكي تملك الدليل على إثبات نفسها..

رابعاً: إنه لا يثبت من اليهودية والمسيحية إلا بمقدار ما أثبتته القرآن والإسلام..

خامساً: إن خلود معجزة النبيين موسى وعيسى '، قد يمنع الكثيرين من النظر في معجزة رسول الله '،
والحمد لله رب العالمين.

أردت - أردنا - أراد الله

السؤال (١٩٤):

ورد في الآيات التي تتحدث عما جرى بين النبي موسى x والعبد الصالح، ثلاثة تعابير مختلفة.

فإنه حين تحدث عن خرق السفينة، قال العبد الصالح:
{فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا} (١).

(١) سورة الكهف، الآية ٧٩.

وحين تحدث عن الغلام وقتله، قال: {فَارَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ} ^(١).

وحين تحدث عن الجدار والكنز، قال: {فَارَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي} ^(٢).

فما هذا التنويع في التعبير، والعدول في كل مورد إلى صيغة تختلف عن الصيغة التي استفيد منها في المورد السابق؟!

الجواب:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.. وبعد..

ربما يكون السبب في هذا التنويع هو الإلماح إلى:

١- إنه حين خرق السفينة، فإنما كان ذلك بقرار شخصي منه، فإن التكليف بحفظ أولئك المساكين من ذلك الظالم تكليف عام لجميع الناس، والخضر واحد منهم، ولكن المكلف هو الذي يختار الكيفية والطريقة المجدية، والموجبة لسقوط ذلك التكليف، فالخضر x قد بادر إلى هذا الأمر من حيث هو إنسان مكلف، لا بصفته نبياً حاكماً.. وهذا نظير قول الله سبحانه: {إِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا..} ^(٣) فإن التحيات هي من اختراع الناس، والرد عليها أيضاً هو من اختراعهم..

(١) سورة الكهف، الآية ٨١.

(٢) سورة الكهف، الآية ٨٢.

(٣) سورة النساء، الآية ٨٦.

وكذلك الحال في قولهم ٨: أحيوا أمرنا. فإنه أمر عام، نحن نخترع مصاديقه فننشد الشعر فيهم تارة، ونعلق اللافتات المعبرة عن منزلتهم، ومقامهم أخرى، وننظم المسيرات الثالثة، وقد نؤلف كتاباً، أو نكتب ونخرج مسرحية أو فيلماً عنهم.. وما إلى ذلك..

٢- وحين قال x عن قتله للغلام: {فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ} (١) فإنه قد تحدث عن أمر ذي جنبتين:

إحداهما: ترتبط بالله سبحانه، من حيث إنه تعالى هو الذي حدّد حكم من يعتدي على والديه، ويظلمهما ظلماً فاحشاً، يصل بهما إلى حد إرهابهما بالطغيان والكفر الذي لا يطيقانه {فَحْشَيْنَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا} (٢).

فإن حكم إنسان كهذا هو القتل، خصوصاً إذا كان المستهدف بظلمه وطغيانه هو والديه.

فالحكم بقتل إنسان كهذا لا شك في أنه صادر من الله سبحانه، وهو قرار إلهي بكل ما لهذه الكلمة من معنى..

وثانيتهما: ترتبط بالخضر نفسه x فإنه المكلف بإجراء هذا الحكم وتنفيذه من موقع الولاية والحاكمية والسلطة المجعولة له من قبل الله، وقد أطلعه الله على هذا الطغيان والكفر، بالوسائل التي تخوله إجراء حكم الله سبحانه بالفاعل..

(١) سورة الكهف، الآية ٨١.

(٢) سورة الكهف، الآية ٨٠.

فصح نسبة الإرادة إليه، لأنه هو المتصدي لإجراء حكم الله، ونسبته أيضاً إلى الله لأن القرار قرار إلهي لا مجال للتردد فيه، ولا للتخلف عنه..

٣- وحين قال الخضر في قصة إقامة الجدار: {فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا..} ^(١) فإنه قد نسب الإرادة إلى الله سبحانه، وأن الله سبحانه هو الذي أخبره بهذا الكنز الذي هو عبارة عن لوح مكتوب فيه عبارات شريفة تشير إلى كلمة التوحيد، وإلى مسألتي الموت والقدر.. وقد أراد الله سبحانه حفظ اليتيمين - في بلد ظهر حال أهله الفاسد من موقفهم من النبي موسى x والخضر x، حيث إنهما استطعما أهلها، فأبوا أن يضيفوهما، ومن كان كذلك فهل يرحم هذين اليتيمين؟! اللذين استحقا الرعاية الإلهية وفاءً لأبيهما الذي كان صالحاً.. - فأمر وليه بحفظ الكنز لهما، بإقامة الجدار.

فالله إذن هو الذي أراد حفظ الكنز لليتيمين، فأجرى الخضر الإرادة الإلهية، مستنداً فقط إلى الأمر الإلهي، وإلى ما أطلعه الله عليه من غيبه في أمر الغلامين، وأبيهما والكنز ولزوم حفظه لهما..

وقد صرح الخضر x بهذا الأمر بالذات، حين قال: {وَمَا

(١) سورة الكهف، الآية ٨٢.

فَعَلَّاهُ عَنْ أَمْرِي^(١). والحمد لله رب العالمين.

أَفْرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ

السؤال (١٩٥):

بسمه تعالى

قال الله تعالى: {أَفْرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ
الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ}^(٢).

وقال أيضاً: {أَفْرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ
الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ}^(٣).

فلماذا قال في المرة الأولى: <لجعلناه> بإثبات اللام، ثم قال
في المرة الثانية <جعلناه> بحذفها؟!..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فربما يكون السبب في ذلك هو: أن الآيات الأولى قد تحدثت
عن الحرث، وحصول الزرع، مما يعني أن العناصر التي يتكون
منها هذا الزرع قد توفرت.. فيأتي قوله تعالى: {لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ

(١) سورة الكهف، الآية ٨٢.

(٢) سورة الواقعة، الآيات ٦٣-٦٥.

(٣) سورة الواقعة، الآيات ٦٨-٧٠.

حُطاماً^(١).. ليقول: إننا لو شئنا لألغينا تلك العناصر، ودمرنا كل نتائجها، وما تحقق منها، أو نشأ عنها..

فإنهم يقولون: إن اللام حرف يدل على ما كان سيقع لأجل وقوع الأول.

فهي تربط بين الحالة الأولى - وهي ما كان سيقع - وهي جعله حطاماً، من خلال المشيئة المتعلقة بالتدمير للزرع ونتاجه، على سبيل العقوبة لهم.. وبين الحالة الثانية، وهي رؤيتهم زرعهم وحرثهم.

فدخلت اللام لتفيد التأكيد على التصميم الإلهي على إحداث هذه العقوبة، وتحويل الزرع وتبديله من حالة إلى حالة، وعلى أن الله لو شاء لألغى السنن الطبيعية وتجاوزها وتصرف بصورة مباشرة في تدمير ما نشأ عنها..

وبما أن هذا الأمر قد يصعب قبوله للوهلة الأولى، لأن الإنسان لا يخضع بسهولة، ولا يقنع بوجود ما يبرر الإقدام على إجراء كهذا.. فقد احتاج إلى التأكيد عليه باللام..

وخلاصة الأمر: هناك حالتان تصل اللام بينهما، وتؤكد على التبادل والانتقال من إحداها إلى الأخرى.

ولكنه حين تحدث عن الماء، في الآية الثانية، فإنما قصد أن يجعله أجاباً بنفس إفاضة الخلق عليه، وإيجاده، لا أنه يريد نقل

(١) سورة الواقعة، الآيات ٦٥.

الماء الموجود من حالة إلى حالة.. بأن يزيل العذوبة عنه، ويجعل مكانها الأجابية..

فلا توجد حاجة إلى التأكيد، لأن الاختيار الإلهي هو الذي يحدد طبيعة المخلوق وحالاته، ومواصفاته. ولا يبقى سوى الإشارة إلى طبيعة الأمر الذي اختاره الله سبحانه..

وربما يقال: إن ثمة إجابة أخرى على السؤال المذكور أعلاه، وهي:

أنه في المورد الأول يظن الناس أن لهم الدور الأساس في الحصول على نتاج الزرع، لأنهم هم الذين يحرثون ويزرعون.. فالتسبيب يكون منهم، والاختيار والتعرف يكون لهم.. فاحتاج إلى التأكيد على التدخل الإلهي لإبطال آثار فعلهم.

وأما في المورد الثاني.. فإن إنزال الماء من السحاب خارج عن دائرة خيارهم واختيارهم.. وهو مرتبط بالله سبحانه، فهو الذي يتصرف فيه وفي حالاته وخصوصياته.. فيكفي تذكيرهم بهذا الأمر المستقر في نفوسهم، ولا تنكره عقولهم، من دون حاجة إلى التأكيد باللام أو بغيرها..
والحمد لله رب العالمين.

لا إكراه في الدين

السؤال (١٩٦):

بسمه تعالى

قال تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} ^(١) ..

والسؤال هو: لماذا هذا القهر للناس؟! وكيف يصح إعلان الحرب عليهم، في حين أن الله سبحانه يقول في آية أخرى: {لَا إِجْرَاءَ فِي الدِّينِ} ^(٢) .. ويقول: {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ} ^(٣) .. ويقول: {مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ} ^(٤) ..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله الطاهرين..

وبعد..

إنه إذا كان من يؤمن أو من يكفر يريد التعدي على أهل الإيمان، ويريد سلب حريتهم، وأن يفسد في الأرض.. فلا بد من وضع حد له، ومنعه عن ممارسة هذا الظلم والقهر للآخرين، والذي لا يرضاه هو نفسه..

(١) سورة التوبة، الآية ٢٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٣) سورة الكهف، الآية ٢٩.

(٤) سورة العنكبوت/ ١٨ وسورة النور/ ٥٤
وسورة المائدة/ ٩٩.

أما بالنسبة لآية سورة التوبة، فإنها إنما تتحدث عن لزوم مواجهة من يعلن الحرب على أهل الحق بالقتال.. ولا تتحدث عن قتال المسالمين منهم، كالذين يكون بينهم وبين المسلمين هدنة، وعهد وعقد..
فهي تقول: إن أهل الكتاب إذا كانوا محاربين لكم، فعليكم أن تقاتلوهم.. ثم بيّن سبحانه للناس أموراً تدفع تحرجهم من ذلك..
وهو أن أولئك المحاربين لا يؤمنون بالله، ولا باليوم الآخر، وأنهم يستحلون المحرمات، وأنهم لا يدينون دين الحق.. فإذا أعلن هؤلاء الحرب على أهل الإيمان فلماذا يتحرج ويتردد أهل الإيمان، في قتالهم، ودفع شرهم؟!
والحمد لله رب العالمين..

العلم الإلهي وجعل الكعبة قياماً

السؤال (١٩٧):

بسمه تعالى

قال تعالى: {جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (١) ..

فما هي العلاقة بين علم الله سبحانه ما في السماء والأرض، وبين جعله تعالى الكعبة البيت الحرام قياماً للناس!..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله الطاهرين..

وبعد..

فإن الله سبحانه قد وضع الكعبة المشرفة والبيت الحرام في تلك البقعة المباركة من لدن آدم x..

وهو مكان يستحيل بحسب العادة أن يكون مهذاً للحضارات، ومصدراً للرقى الإنساني، وموضعاً لنشوء المجتمعات المتحضرة والراقية.. لأنه يفقد أدنى المقومات المطلوبة لذلك..

ولكن الإرادة الإلهية، والهدى الرباني قد أعطى في هذا المجال نتائج مذهلة، وغير قابلة للتصور أو الإدراك والفهم لها، وفقاً لما يملكه البشر من معايير..

فقد أصبح هذا الموضع الذي يفترض فيه أن لا يكون فيه أي أثر للأمن، هو مصدر الأمن، بل إن الأمن يتجلى فيه بمستويات، لا يمكن أن ينتجها المحيط الذي وضع فيه ذلك البيت، قال تعالى: { أَوَلَمْ نُمْكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا }^(١) و { وَيُخَفِّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ }^(٢)..

وأصبح البلد الذي هو القلب للمجتمع الجاهلي، مصدراً للعلم والوعي والمعرفة، ليس للمحيط الذي هو فيه وحسب، بل للبشرية

(١) سورة القصص، الآية ٥٧.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٦٧.

كلها، وعبر الأزمان والأحقاب!!

وأصبح البلد الذي هو نقطة الارتكاز للمحيط الجاهلي الغارق بالانحرافات، ويهيمن عليه طغيان الهوى، والشهوات، والتمرد على الخالق، وهو مصدر الظلم، والشر، والجريمة والرذيلة.. نعم، لقد أصبح هذا البلد بالذات مصدراً للهدى، ومنارة للقيم، ومعدناً للطهر، وأسوة وقدوة في كل خلق كريم، ومدرسة في الزهد، والالتزام، وعلماً وأنموذجاً في الاستسلام لإرادة الخالق، والعبودية له..

وأصبح أيضاً هذا البلد الفاقد لأي من مقومات أية حياة إقتصادية مهما كانت ضعيفة وهزيلة، مكاناً رغيداً سعيداً يجبى إليه ثمرات كل شيء، حسبما ورد في دعاء النبي إبراهيم x..

وأصبح لهذا البلد الفاقد لأي مبرر لإنشاء علاقات، وإيجاد روابط، أو دوافع للتواصل مع أهله.. أصبح مهوى للأفئدة، وتشد الرحال إليه، ويأتيه الناس من كل فج عميق، قال تعالى حكاية لدعاء النبي إبراهيم x: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ} (١).

وقال تعالى: {وَقَالُوا إِن نَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطِفُ مِنْ أََرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ

لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (١).

وقال تعالى حكاية لقول النبي إبراهيم x أيضاً: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} (٢).

وبعدما تقدم نقول:

لو أننا عرضنا على أي إنسان يريد أن يقوم بحركة إصلاحية عامة وشاملة على مستوى العالم بأسره، متحدياً بها وبتعاليمها طواغيت الأرض، ويريد أن يغير الإنسان من خلالها بصورة جذرية وحقيقية، وتتدخل في عمق شخصيته الإنسانية، وفي أسلوب حياته، نعم.. لو أننا عرضنا عليه أن يتخذ بلداً يشبه مكة منطلقاً لحركته ولدعوته، ألا تراه يسخر منا، أو على الأقل سوف يعتبر ذلك مزحة ممجوجة وثقيلة!!

ولكن الله سبحانه قد اختار مكة بالذات والفاقة لكل شيء، لتكون مصدراً للعطاء في كل شيء..

فخلق من الموت حياة، وأنشأ من الضعف قوة ونشر الهدى من حيث كان ينتشر الضلال.. وأوجد الأمن في موضع الخوف، والرجاء في موقع اليأس.

(١) سورة القصص، الآية ٥٧.

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٣٧.

أفلا يكفي ذلك لكي نعلم أن الله يعلم ما في السموات والأرض؟! والحمد لله رب العالمين..

الدنيا لهو ولعب

السؤال (١٩٨):

بسمه تعالى

قد تحدث القرآن الكريم عن الدنيا، ووصفها بأنها لهو ولعب، والسؤال هو: ما معنى أن تكون الحياة الدنيا لعباً ولهواً، أليس فيها عمل وبناء، وفشل ونجاح؟!..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله الطاهرين..

وبعد..

أولاً: لا شك في أن الحياة الدنيا هي أدنى مستوى من الحياة الآخرة، ولأجل ذلك سميت <دنيا> في إشارة إلى سقوط منزلتها وهبوطها.. وقد قال الله سبحانه وتعالى عن الآخرة: {وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} ^(١)..

فالحدث الذي تراه مصوراً على شاشة التلفاز، لا يصل في مستوى تأثيره، وحكايته عن الواقع إلى مستوى رؤية الواقع

(١) سورة العنكبوت، الآية ٦٥.

بصورة حية ومباشرة.

وفي الحياة الآخرة تتكشف الحجب المؤثرة في مستوى إدراك الإنسان للحقائق، وفي تضاول نسبة التفاعل معها. قال تعالى {فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} (١) ..

ثانياً: إن قيمة كل شيء إنما هي بملاحظة ما خلق ذلك الشيء من أجله، فإذا كانت الدنيا مخلوقة لأجل التهيؤ للحياة الأخروية، والإعداد لها؛ فإذا أراد الإنسان أن يعيشها لنفسها، وأن يستبعد هدفها الحقيقي، فإنها تصبح لعباً ولهواً بكل ما لهذه الكلمة من معنى..

والتعاطي معها يصبح أشبه بتعاطي الولد مع لعبته، فإن الولد حين يلعب، لا يكون هدفه من لعبه صالحاً لأن يقصده العقلاء في سعيهم في الحياة وحين يبذلون جهداً فيها.

وكذلك الحياة الدنيا، فإنك حين تتعامل معها على أساس أنها هي كل شيء، وحين تغفل، وتسقط من حسابك هدفها الحقيقي، فإن العمل فيها يصبح بلا هدف صالح ومرضي عند العقلاء إذ إن حكمتهم تمنعهم من صرف الوقت والجهد في سبيل لذة عابرة، وشيء زائل.

وهم يرون أن الفشل والنجاح والعمل والبناء فيها يشبه عمل الأطفال حين يلعبون، فإنهم لا يتوخون من عملهم هذا هدفاً

عقلانياً، ولا هو ينتج لهم نتيجة يحسن السكوت عليها..
 وقد قال تعالى: { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ }^(١).. فاعتبر سبحانه أن عدم وجود آخرة، ومثوبة وعقوبة بمثابة عمل عبثي، يجعل الحياة الدنيا غير صالحة لأن يعطيها الإنسان كل ما يملك من طاقات وكنوز أعطاه الله إياها، وكأنه لو أعطاها ذلك لاعتبره العقلاء عبثاً ولاعباً..
والحمد لله رب العالمين..

القسم الثالث

القرآن .. والإمامة

{اليوم أكملت..}

هل نزلت قبل: {.. فما بلغت رسالته}..

السؤال (١٩٩):

بسمه تعالى

إنكم تقولون: إن قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} ^(١)..

قد نزلت بعد نصب النبي ، الإمام علياً x إماماً في يوم الغدير..

وإن آية: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ

تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ} ^(٢).. قد نزلت قبل يوم الغدير..

مع أن آية الإكمال قد وردت في أول سورة المائدة، وآية

الأمر بإبلاغ إمامة الإمام علي x قد جاءت في وسطها.

والمفروض هو أن يكون العكس، لاسيما وأن القرآن كان ينزل

نجوماً، وبالتدريج..

فكيف تفسرون ذلك؟!..

(١) سورة المائدة ، الآية ٣ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٦٧ .

الجواب:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله
الطاهرين..

وبعد..

فإن الإجابة على هذا السؤال تحتاج إلى بعض التفصيل، بقدر
ما يسمح لنا به المجال..

فبقول:

مرتكزات الإيمان:

إن الإيمان بنبوة رسول الله ، يرتكز إلى أحد أمرين:

أحدهما: الإيمان المستند إلى إدراك العقل، وقضاء الفطرة
بصحة الحقائق التي جاء بها..

وهذا هو ما كان إيمان أبي طالب، وحمزة وجعفر، وخديجة..
و.. و.. مرتكزاً عليه، فإنهم قد أدركوا صحة ما جاء به رسول الله
‘ بعقولهم، وقضت به فطرتهم، ولم يحتاجوا إلى إظهار معجزة،
ولا طلبوا من النبي ‘ ذلك، خصوصاً مع ما صاحب ذلك من
معرفة قريبة، واطلاع مباشر على حياة الرسول ‘، ومزاياه،
وصدقه، ثم رؤية كرامات الله له، وألطافه به، ثم ما حباه به من
رعاية وتسديد ومن نصر وتأيد..

وهذا هو إيمان أهل البصائر، الذين يزنون الأمور بموازين
العدل، ويعطون النصفة من أنفسهم، وهو ما يفترض بالناس كلهم

أن يكونوا عليه، أو أن يسعوا للوصول إليه.. وأن يلتزموا به ولا يتجاوزوه..

ولو أن الناس سلكوا هذا النهج لاستغنوا عن طلب الآيات والمعجزات، خصوصاً في ما يرتبط بأمر التوحيد والانقياد لله، والطاعة، والعبادة له، وما يتبع ذلك من تفاصيل تفيد في التعريف بصفات ذاته، وصفات فعله تبارك وتعالى.. فضلاً عن كل ما حدثهم به الله ورسوله مما يرتبط بالعلاقة والرابطة بين الخالق، ومخلوقاته..

وتدبير شؤون الحياة وفق الحكمة.. وهداية الكائنات كلها، ورعايتها وتربيتها.. فإن ذلك كله مما تفرض الفطرة السليمة والعقول المستقيمة الخضوع له، والإيمان به، وعقد القلب عليه.

فإذا قال لهم الله: **{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ}**^(١).. فهو إنما يخاطب عقولهم، ويتحدث عن أمر يمكنهم أن يدركوه، وأن يؤمنوا به.. وكذلك حين يقول لهم: **{قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ}**^(٢).. وغير ذلك مما تحكم به العقول، وتؤيده الفطرة البشرية الصافية والمستقيمة..

والأمر الآخر: الإيمان المستند إلى ظهور المعجزة القاهرة،

(١) سورة المؤمنون، الآية ١١٥.

(٢) سورة يس، الآيتان ٧٨ و ٧٩.

والقاطعة للعدر، والتي تضطر العقل إلى الإقرار بالعجز،
والبخوع والخضوع والاستسلام. وهذا ما يحتاج إليه أو يطلبه
نوعان من الناس:

النوع الأول:

الذين يرغبون في إبقاء الأمور على ما كانت عليه.. ممن يثقل
عليهم الانقياد إلى دعوات الأنبياء، ويأنفون من الالتزام بأحكام الله.
وهؤلاء هم الذين كانوا يقترحون على الأنبياء أن يأتوهم بالآيات،
وأن يظهروا المعجزات، ثم يكونون هم أول الجاحدين بها،
والمكذبين لها..

النوع الثاني:

أولئك الذين يرغبون في معرفة الحق، ولا يأبون عن الالتزام
به لو ظهر لهم.. ولكنهم ليسوا مثل جعفر، وحمزة، وخديجة و..
في وعيهم، وفي نظرتهم إلى الأمور، وإدراكهم للحقائق.
فيحتاجون إلى عوامل تساعد على تحصيل اليقين بحقانية
الدعوة، وواقع ارتباطها بالله سبحانه. من خلال المعجزة التي
تقهر عقولهم، وتسوقهم إلى التسليم، لأن بها يتم إخضاع وجدانهم
للغيب الإلهي..

وبما أن هذا القرآن هو معجزة رسول الله، ولم يكن بإمكان
كل هؤلاء أن ينالوا معانيه، ولا أن يدركوا مراميهِ ومغازيه.. لأن
فيهم الكبير والصغير، وفيهم الذكي والغبي، وكانوا في أسوأ

حالات الأمية والجهل، والبداءة.. فكان لا بد من الرفق بهم،
وتيسير الإيمان لهم، وفتح أبواب الهداية أمامهم..

فاحتاج الأمر إلى وسيلة إقناع، يفهمها هذا النوع من الناس -
الذين لا يمكنهم إدراك حقائق القرآن، ومستوى إعجازه التشريعي،
أو العلمي، أو البلاغي، أو غير ذلك.. ولم يكن يمكن تأجيل
إيمانهم وإسلامهم إلى حين تحقق بعض الإخبارات الغيبية
المستقبلية، الأمر الذي قد يمتد إلى سنوات كثيرة كالإخبار عن
غلبة الروم في قوله تعالى: {غَلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ
مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ} ^(١).. ولا.. ولا.. الخ..

ولا بد أن تكون وسيلة الإقناع هذه بحيث يدركها، ويفهمها
جميع الناس بمختلف فئاتهم، وطبقاتهم، وأن تكون في متناول يد
أعلم الناس، وأعقلهم كما هي في متناول يد أكثر الناس سطحية
وسذاجة، ولو كان بعمر تسع سنوات للفتاة، وبعمر خمس عشرة
سنة للفتى..

وقد اختار الله سبحانه أن تكون هذه الوسيلة هي أن تنزل
السورة في بادئ الأمر بتمامها، فيقرأها النبي ' على الناس، ثم
تبدأ الأحداث بالتحقق، فكلما حدث أمر، ينزل جبرئيل x، بالآيات
التي ترتبط بذلك الحدث، فيرى الناس: أن هذه الآيات هي نفسها
التي كانت قد نزلت في ضمن تلك السورة قبل ساعة، أو يوم، أو

(١) سورة الروم، الآيتان ٢ و٣.

شهر مثلاً.. فيدرك الذكي والغبي، وكل من يملك أدنى مستوى من العقل، بأن هذا القرآن لا بد أن يكون من عند الله، لأن الله وحده هو الذي يعلم بما يكون في المستقبل. وها هو قد أنزل الآيات المرتبطة بأحداث بعينها قبل أن تحدث..

وهم يعرفون النبي ' عن قرب، ويعيشون معه، ويرون أنه مثلهم، ويملك الوسائل التي يملكونها، ويعيش نفس الحياة التي يعيشونها.

وبعدما تقدم نقول:

إننا من أجل توضيح هذه الإجابة، نشير إلى العديد من القضايا ضمن الفقرات التالية:

نزول سورة المائدة:

إن سورة المائدة قد نزلت دفعة واحدة كما يظهر مما رواه:

١- عبد الله بن عمرو، قال: أنزلت على رسول الله ' سورة المائدة، وهو راكب على راحته، فلم تستطع أن تحمله، فنزل عنها^(١)..

٢- عن أسماء بنت يزيد، قالت: إني لأخذة بزمام العضباء، ناقة رسول الله '، إذ نزلت المائدة كلها، فكادت من ثقلها تدق عضد الناقة^(٢)..

(١) الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٢ عن أحمد.
 (٢) الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٢ عن أحمد، وعبد بن حميد، وابن جرير، ومحمد بن نصر في الصلاة، والطبراني، وأبي نعيم في الدلائل، والبيهقي

٣- عن أم عمرو بنت عيس، عن عمها: أنه كان في مسير مع رسول الله ، فنزلت عليه سورة المائدة، فاندق كتف راحلته العضباء، من ثقل السورة^(١)..

٤- عن محمد بن كعب القرظي، قال: نزلت سورة المائدة على رسول الله ، في حجة الوداع، فيما بين مكة والمدينة، وهو على ناقته، فانصدعت كتفها، فنزل عنها رسول الله ،^(٢)..

٥- عن الربيع بن أنس قال: نزلت سورة المائدة على رسول الله ، في المسير من حجة الوداع، وهو راكب راحلته، فبركت به راحلته من ثقلها^(٣)..

تاريخ نزول سورة المائدة:

وقد اختلفوا في تاريخ نزول سورة المائدة، وما يهمنا هنا هو الإشارة إلى أمرين:

الأول: ما روي من أن سورة المائدة قد نزلت منصرف رسول الله ، من الحديبية^(٤)..

الثاني: قال القرطبي: <ومن هذه السورة ما نزل في حجة

في شعب الإيمان .

- (١) الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٢ عن ابن أبي شيبة في مسنده، والبغوي في معجمه، وابن مردويه، والبيهقي في دلائل النبوة .
- (٢) الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٢ عن أبي عبيد .
- (٣) الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٢ عن ابن جرير .
- (٤) الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٣٠ .

الوداع، ومنها ما نزل عام الفتح>^(١)..

وذلك يشير إلى أن آيات هذه السورة قد نزلت نجوماً أيضاً..
وهذا نزول آخر غير نزول السورة بتمامها، كما هو واضح..

ضعوا هذه الآية في سورة كذا:

ومن جهة أخرى، فإنهم قالوا: <الإجماع والنصوص
المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي، لا شبهة في ذلك>^(٢)..

وقد رووا: أن رسول الله '، كان يقول: ضعوا هذه الآيات في
السورة التي يذكر فيها كذا..

وقد روي ذلك عن ابن عباس^(٣)..

وروي عن عثمان بن عفان^(١)..

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٣٠.

(٢) الإتيان ج ١ ص ٢٤.

(٣) راجع: الدر المنثور ج ١ ص ٧ عن الحاكم
وصححه، وعن أبي داود، والبزار،
والطبراني، والبيهقي في المعرفة وفي شعب
الإيمان والجامع الصحيح للترمذي ج ٥ ص ٢٧٢
وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٣ والإتيان ج ١ ص ٦٢
والبرهان للزركشي ج ١ ص ٢٤١ عن الترمذي
والحاكم، والتمهيد ج ١ ص ٢١٣ وتاريخ
القرآن للصغير ص ٨١ عن: مدخل إلى القرآن
الكريم لدراز ص ٣٤، لكن في غرائب القرآن
للنيسابوري، بهامش جامع البيان للطبري ج ١
ص ٢٤ ومناهل العرفان ج ١ ص ٢٤٠ هكذا:
<ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر
فيه كذا>..

وفي نص آخر: أن جبرئيل كان هو الذي يقول: ضعوا هذه الآية في مكان كذا..

وفي بعض الروايات أن المسلمين كانوا لا يعرفون ابتداء

(١) مستدرک الحاکم ج ٢ ص ٣٣٠ و ٢٢١ وتلخيصه للذهبي بهامشه وغريب الحديث ج ٤ ص ١٠٤، والبرهان للزركشي ج ١ ص ٢٣٤ / ٢٣٥ وراجع ص ٦١ وغرائب القرآن بهامش جامع البيان ج ١ ص ٢٤ وفتح الباري ج ٩ ص ١٩ و ٢٠ و ٣٩ و ٣٨، وكنز العمال ج ٢ ص ٣٦٧ عن أبي عبيد في فضائله، وابن أبي شيبة، وأحمد، وأبي داود، والترمذي، وابن المنذر، وابن أبي داود، وابن الأنباري معاً في المصاحف، والنحاس في ناسخه، وابن حبان، وأبي نعيم في المعرفة، والحاكم وسعيد بن منصور، والنسائي، والبيهقي، وفواتح الرحموت بهامش المستصفى ج ٢ ص ١٢ = عن بعض من ذكر، والدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٧ و ٢٠٨ عن بعض من ذكر، وعن أبي الشيخ، وابن مردويه ومشكل الآثار ج ٢ ص ١٥٢ والبيان ص ٢٦٨ عن بعض من تقدم، وعن الضياء في المختارة، ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٢ ص ٤٨ وراجع: بحوث في تاريخ القرآن وعلومه ص ١٠٣ ومناهل العرفان ج ١ ص ٣٤٧ ومباحث في علوم القرآن ص ١٤٢ عن بعض من تقدم، وتاريخ القرآن للصغير ص ٩٢ عن أبي شامة في المرشد الوجيز... وجواهر الأخبار والآثار بهامش البحر الزخار ج ٢ ص ٢٤٥ عن أبي داود والترمذي وسنن أبي داود ج ١ ص ٢٠٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ٤٢ وأحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ١٠ ومسند أحمد ج ١ ص ٥٧ و ٦٩.

السورة وانتهاء غيرها، إلا بذلك، روي ذلك عن ابن عباس^(١)..

وعن سعيد بن جبير^(٢)..

وعن ابن مسعود^(٣)..

ولكننا لا نجد إلا موارد يسيرة تحدثت عن ذلك^(٤)..

الدوافع والأهداف:

وهذا معناه: أن النبي ، الذي لا ينطق عن الهوى، ولا يفعل شيئاً من تلقاء نفسه، أو أن جبرئيل × قد كان يأمر بذلك انطلاقاً من مصلحة اقتضت وضع الآية في خصوص ذلك الموضع، فإذا كان قد تعمد وضع آية الإكمال قبل آية الأمر بالتبليغ، فلا بد أن يكون قد راعى المصلحة في ذلك أيضاً..

لماذا قدم آية الإكمال:

وإذ قد عرفنا: أن هذا التفريق بين آية {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}.. وآية: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}.. قد جاء وفق سياسة إلهية، ورعاية لمصالح بعينها، فإننا نقول: لعل

(١) الدر المنثور ص ٧ عن الحاكم وصححه، والبيهقي في السنن.

(٢) راجع الدر المنثور ج ١ ص ٧ عن أبي عبيد.

(٣) الدر المنثور ج ١ ص ٧ عن الواحدي والبيهقي في شعب الإيمان.

(٤) راجع: حقائق هامة حول القرآن الكريم ص ٧٨.

المصلحة هي حفظ الإمامة، وحفظ إيمان الناس.. وتيسير سبل الهداية لهم كما سيتضح..

وربما تكون المصلحة فيما يرتبط بإمامة أمير المؤمنين x هي حفظ القرآن عن محاولات التحريف فيه، فإن الإسلام كما يحتاج إلى صيانة حقائقه ومقدساته، فإنه كان يحتاج أيضاً إلى جهاد الإمام علي x وتضحياته..

هذا الجهاد الذي حمل معه الخزي والعار والذل، لأهل الطغيان والجحود، فأورثهم الحقد والضغينة، حتى ظهرت حسيكة النفاق هذه بأبشع صورها بعد رسول الله، ولا حاجة إلى البيان أكثر من هذا..

غير أننا نقول: إن الخيارات أمام رسول الله، كانت هي التالية:

١- أن يباشر الرسول، بنفسه قتل المعتدين، ويرد بسيفه كيد الطغاة والجبارين، فيقتلهم ويستأصل شأفتهم، ويبيد خضراءهم..

وهذا يعني أن لا تصفو نفوس ذويهم له، وأن لا يتمكن حبه، من قلوبهم، فضلاً عن أن يكون أحب إليهم من كل شيء حتى من أنفسهم!!.. كما هو الواجب، الذي يفرضه الالتزام بالإسلام، والدخول في دائرة الإيمان..

وسوف تنتهي الفرصة أمام شياطين الإنس والجن لدعوة هؤلاء الموتورين إلى الكيد له، والتآمر عليه، وإلى خيانتة، ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً..

كما أنهم إذا ما اتخذوا ذلك ذريعة للعزوف عن إعلان

إسلامهم واستسلامهم.. فإنهم سوف يمنعون أقواماً كثيرين من التعاطي بحرية وبغفوية مع أهل الإيمان، ثم حرمانهم وحرمان من يلوذ بهم من أبناء وأرحام، من الدخول الجدي في المجتمع الإسلامي، والتفاعل معه، والذوبان فيه.

٢- أن يتولى هذا الأمر الآخرون من رجال القبائل المختلفة، فيقاتلون وحدهم الناس لأجل الإسلام، ودفاعاً عن المسلمين، وهذا خيار لا مجال للمصير إليه أيضاً، فإن احتفاظه '، بأهل بيته وذوي قرابته سيكون مثاراً لتساؤلات كثيرة، من شأنها أن تضعف عامل الثقة، وتؤثر سلباً على حقيقة الاعتقاد بالنبوة، ودرجة الانقياد لها، والالتزام بأوامرها، ومستوى صفاء النية والاستبسال في المواقف الحرجة، حيث لا بد من خوض اللجج، وبذل المهج..

ثم هو بالإضافة إلى ذلك سوف يهيء لزيادة حدة التمزق من داخل الكيان الإسلامي، الذي لم يزل يعيش الناس في داخله روح الجاهلية، ومفاهيمها. وتتحكم بهم العصبية العشائرية والقبلية، ولم يقطع مراحل كبيرة في مسيرة السمو الروحي، وتزكية النفوس، وإخلاصها لله في ما تحجم عنه، أو تقدم عليه..

وسيؤسس ذلك لجولات ولحروب، وتعديات ومأس لا تنتهي، ولأحقاد لا تزول، بل تتضاعف باطراد، حيث ستدفعهم عصبيتهم للانتقام المتبادل.. وستكون النتيجة هي قتل الأبرياء، والتمزق والتشرذم، ولضعف أهل الدين، والسقوط في مستنقع الجريمة.. ثم

الرديلة بأبشع الصور، وأكثرها إثارة للقرف والاشمئزاز والتقزز..

وقد لاحظنا: أن أمير المؤمنين x يصر في حرب صفين - مثلاً - على أن يقابل تميم الشام بتميم العراق، وربيعه الشام، بربيعه العراق.. وهكذا بالنسبة لسائر القبائل، فإنه كان يقابلها بمثلها.. لا لأجل أنه يتعامل x بالمنطق القبلي - حاشاه - بل لأنه يريد:

أولاً: أن لا يمعن الناس في قتل بعضهم البعض، لأن المهم عنده هو وأد الفتنة بأقل قدر من الخسائر..

ثانياً: أن لا يكون هناك حرص من القبائل على إدراك ما تعتبره ثارات لها عند القبائل الأخرى، الأمر الذي سيهيء للمزيد من التمزق والصراع من داخل المجتمع الإسلامي..

٣- وقد كان الخيار الأقل ضرراً، هو أن يدفع بأهل بيته الأبرار، ليكونوا هم حماة هذا الدين، والمدافعين عنه، وأن لا يحرم الآخرين من فرصة للجهاد في سبيل الله تعالى.. ضمن الحدود المقبولة والمعقولة. فكان يقدم أهل بيته، والإمام علياً x، ليكونوا هم أنصار دين الله.. وقتلة أعداء الله، ثم ليكونوا هم الشهداء على هذه الأمة، والحافظين لوحدها، والمحافظين على عزتها وكرامتها.

وإذا ما سعى الناس للانتقام من الإمام علي x، وذريته، وتآمروا عليهم، فإن الإمام علياً وأهل بيته ٨، لن يعاملوهم بغير

الرفق، ولن يكون همهم الانتقام لأنفسهم، بل سوف يكون همهم حفظ الدين، ونشر أعلامه..

وبذلك يكون ، قد حفظ الناس من الجحود والعناد، وجنبهم مخاطر إبطان الحقد عليه ، أو السعي لتحريف كتاب الله، أو الإعلان بالخروج على الدين وأهله، لأن ذلك - لو حصل - سوف يزيد من صعوبة نشر هذا الدين إن لم يكن سبباً في أن يسقط الكيان كله، ولتبطل من ثم جهود الأنبياء، وتُطلّ دماء الشهداء..

فالأخذ بهذا الخيار إذن يجسد رحمة الله للناس، ورفقه بهم، وتيسير الإيمان لهم، ولذرياتهم، ولمن يلوذ بهم، ولعله لأجل ذلك لم يذكر اسم الإمام علي x في القرآن.. حفظاً للقرآن من أن يحرقه من هو أشد وأضر ممن رمى القرآن بالنبل وهو يقول:

تهددني بجبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جنت ربك يوم حشر فقل: يا رب مزقني الوليد

نعم، إنه من أجل ذلك وسواه لم يذكر اسم الإمام علي x في القرآن بصراحة، مع أنه تحدث عن أمور صنعها الإمام علي x، كتصديقه بالخاتم حين صلاته.. وأنزل آيات كثيرة فيه، ومنها آية: اليوم أكملت لكم دينكم.. وآية الأمر ببلاغ الرسالة.. وتحدث عن الإمامة كأساس للدين، وركز مفهومها، وأوضح معالمها..

ومما يؤيد حقيقة: أن عدم ذكر اسم الإمام علي x في القرآن قد جاء وفق سياسة بيانية إلهية.. ما روي بسند صحيح عن الإمام

الصادق x، حيث أوضح أن الله تعالى قد ذكر الإمامة للناس بصراحة تامة، وأوكل تفسير ذلك إلى نبيه ، تماماً كما فعل في الصلاة، والزكاة، وغير ذلك..

ولعل ذلك يدخل - كما قلنا - في السياسة القاضية بحفظ القرآن: **{وَأَنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}**^(١).. والقاضية أيضاً بالرفق بالأمة، واللفظ بالناس، وتألفهم على هذا الدين، وفسح المجال أمام من يلوذ بهم للتأمل، والتدبر، بعيداً عن الحواجز والموانع، وعن العُقد، وغير ذلك، والحديث الصحيح الذي أشرنا إليه، يقول:

قيل للإمام الصادق x، إن الناس يقولون: فما له لم يسم علياً وأهل بيته ٨ في كتاب الله عز وجل..

قال: فقال: قولوا لهم: إن رسول الله ، نزلت عليه الصلاة، ولم يسم الله لهم ثلاثاً، ولا أربعاً، حتى كان رسول الله ، هو الذي فسر ذلك لهم، ونزلت عليه الزكاة ولم يسم لهم من كل أربعين درهماً درهم، حتى كان رسول الله ، هو الذي فسر ذلك لهم..

ونزلت: **{أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}**^(٢).. ونزلت في علي والحسن والحسين ٨ - فقال رسول الله ، في علي x: من كنت مولاه فعلي مولاه..

وقال : أوصيكم بكتاب الله، وأهل بيتي، فإني سألت الله عز

(١) سورة يوسف، الآية ١٢ .

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩ .

وجل أن لا يفرق بينهما، حتى يوردهما علي الحوض، فأعطاني ذلك..

وقال: لا تعلموهم فهم أعلم منكم.

وقال: إنهم لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم في باب ضلالة..

فلو سكت رسول الله ، فلم يبين مَنْ أهل بيته ٨، لادّعاها آل فلان، وآل فلان. لكن الله عز وجل، أنزله في كتابه تصديقاً لنبيه : **{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً}**^(١).. فكان علي والحسن والحسين، وفاطمة ٨ فأدخلهم رسول الله ، تحت الكساء في بيت أم سلمة الخ^(٢)..

النزول على النبي ، قبل الإبلّاغ:

قال تعالى: **{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ}**^(٣)..

وقال سبحانه: **{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}**^(٤)..

وقد دلت الآيات على أن القرآن: **{فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ}**^(٥)..

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٢) هذا الحديث في الكافي ج ١ ص ٢٨٧ و ٢٨٨ وتفسير الصافي ج ١ ص ٤٦٢ عنه، وعن العياشي، وراجع نور الثقلين ج ١ ص ٥٠٢ وكنز الدقائق ج ٣ ص ٤٤١ و ٤٤٢.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

(٤) سورة القدر، الآية ١.

(٥) سورة البروج، الآية ٢٢.

{وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ} ^(١) ..

وقد روى أهل السنة: أن القرآن قد نزل أولاً إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم صار ينزل نجوماً ^(٢) ..
وحكي الإجماع على ذلك ^(٣) ..

وهناك روايات تقول: إن القرآن قد نزل أولاً جملة واحدة إلى البيت المعمور، الذي هو في السماء الرابعة ^(٤) ..
ولم ير الشيخ المفيد أنه يمكن الاطمينان إلى صحة هذه الروايات ^(٥) ..

وقالوا أيضاً: إن القرآن قد نزل أولاً دفعة واحدة على قلب رسول الله ، لكنه لم يؤمر بتبليغه وربما يستأنس لهذا القول ببعض الشواهد ^(٦) .

(١) سورة الزخرف، الآية ٤ .

(٢) الإتقان ج ١ ص ٣٩ و ٤٠ عن الحاكم والبيهقي، والنسائي، وسعيد بن منصور، وابن أبي حاتم، وابن أبي شعبة، والطبراني، والبزار .

(٣) راجع: الإتقان ج ١ ص ٤٠ و ٤٤ .

(٤) راجع: الصافي ج ١ ص ٦٤ وعن كونه في السماء الرابعة . راجع: البحار ج ٥ ص ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ عن محاسبة النفس لابن طاووس . وتفسير القمي ج ٢ ص ٣٣١ وسفينة البحار ج ٢ ص ٢٧٧ .

(٥) راجع كلامه في تصحيح الاعتقاد ص ٥٨ .

(٦) راجع تفسير الميزان ج ٢ ص ١٨ وتفسير الصافي المقدمة التاسعة، وتاريخ القرآن

وهذه الروايات والأقوال.. قد يكون جلها، أو كلها صحيحاً، إذا اعتبرنا: أن جلال وعظمة القرآن اقتضت مراتب من النزول له، فنزل إلى اللوح المحفوظ، ثم إلى البيت المعمور، ثم إلى السماء الدنيا..

ثم يأتي النزول التبليغي للناس، فينزل الله في شهر رمضان، على قلب رسول الله ، ثم ينزل سورة سورة، ليقرأها النبي ، على الناس، ثم تنزل الآيات متفرقة، كلما حدث أمر..

متى كانت النبوة:

وإذا كانت نبوة النبي الأكرم ، لم تبدأ حين كان في سن الأربعين، بل هو نبي منذ صغره - أيده المجلسي بوجوه كثيرة^(١).. أو أنه كان نبياً وآدم بين الروح والجسد^(٢)..

وكان الله سبحانه قد خلقه قبل الخلق بألف دهر، وأشهده خلق كل شيء، كما في بعض الروايات^(٣)..

ثم جعله نوراً محدقاً بالعرش - عرش القدرة - ليطلع على المزيد من جلال وعظمة وقدرة وملك الله سبحانه، وذلك تكريماً

للزنجاني ص ١٠.

(١) البحار ج ١٨ من ص ٢٧٧ إلى ص ٢٨١.

(٢) راجع: الغدير ج ٩ ص ٢٨٧ عن مصادر كثيرة.

(٣) راجع الكافي ج ١ ص ٤٤١ والبحار ج ١٥ ص ١٩ وراجع كتاب: براءة آدم ص ٤١ - ٤٥ ففيه أحاديث أخرى..

منه تعالى له، وتجلةً وشرفاً استحقه ، وكان له أهلاً..

ومن خلال هذا الإشراف، وذلك المقام، فإنه ، يكون قد نال من المعارف الإلهية ما يليق بمقام النبوة الخاتمة، التي هي أعظم مقام..

ومن خلال نبوته الخاتمة هذه، فإن الله سبحانه يطلعه على غيبه، بكشف اللوح المحفوظ له ، ويكون بذلك قد علم بالقرآن قبل إنزاله إليه للتبليغ على يد جبرئيل x..

ولعل هذا يفسر لنا حقيقة أنه حين كان ينزل عليه القرآن في المرة التالية، كان يسبق جبرئيل x بالقراءة، بسبب معرفته به، فقد قال الله تعالى له: **{وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ}** ^(١).. وقال: **{لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}** ^(٢)..

أي أن النبي ، كان يعرف القرآن قبل هذا النزول، إما باطلاعه على اللوح المحفوظ، أو بإيداع القرآن في قلبه سابقاً بواسطة جبرئيل x، أو بواسطة الوحي الإلهامي..

فأراد الله سبحانه أن يعرف الناس بأن هذا النزول ليس هو النزول الأول، بل هو نزول اقتضته مصالح العباد في هدايتهم وإرشادهم، وفي تربيتهم بالصورة المناسبة لحالهم..

(١) سورة طه ، الآية ١١٤ .

(٢) سورة القيامة ، الآيات ١٦ — ١٨ .

النزول لأجل هداية الناس:

وحين يريد الله سبحانه أن يوصل القرآن إلى الناس، فإنه يستفاد من الروايات: أن ذلك يتم عبر إنزاله مرتين، فيكون له نزولان بالنسبة إليهم..

ألف: النزول للسورة بتمامها:

فقد ورد: أن سورة المائدة، والأنعام، ويونس، والتوبة، والكهف، وبضع وثمانون آية من أول سورة آل عمران، وجميع سور المفصل.. بل أكثر سور القرآن، ربما باستثناء سورتين أو ثلاثة - كالبقرة وآل عمران - إن جميع ذلك قد نزل سورة سورة.. وقد قال تعالى في أول سورة النور: **{سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا}**.. مع أن الأحداث التي ذكرت سبباً لنزول آياتها مختلفة ومتفرقة..

وقال تعالى أيضاً: **{وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا}**^(١).. فإنهم كانوا يقولون ذلك بمجرد فراغه، من تلاوة القرآن عليهم، ولم يكن هؤلاء القائلون ينتظرون الأيام والليالي حتى إذا اكتمل نزول السورة قالوا ذلك..

بل إنه حتى حين تنزل آيات السورتين أو الثلاث تدريجاً، فإنما هو تدريج بمعنى أن تنزل بتمامها ضمن مدة شهر مثلاً.. ثم تبدأ سورة أخرى بالنزول..

(١) سورة التوبة، الآية ١٢٤.

وليس المقصود أن ينزل بعض السورة، ثم ينزل بعض من غيرها.. ثم ينزل ما يكمل السورة الأولى مثلاً.. فإن هذا مما دلت النصوص على خلافه، خصوصاً تلك النصوص التي تقول: إنهم كانوا يعرفون انتهاء السورة وابتداء غيرها بنزول: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}..

لو كان لا بد من الانتظار:

كما أن السورة القرآنية كانت تؤخذ من رسول الله ، ويكتبها الناس في مصاحفهم، ويحفظونها، ويقرؤونها في صلواتهم.. وكان النبي ' يرشدهم إلى مواضع استحباب قراءتها.. وإلى كيفية القراءة، وأوقاتها، وحالاتها ومواردها..

وكانت تعرف بأسمائها في عهده، ويسافر بها أهل القبائل إلى منتجعاتهم، وأهل البلاد والقرى إلى بلادهم وقراهم..

ولم يكونوا ينتظرون زيادة شيء فيها، ولا كانوا يسألون عنه، كما أن النبي ' لم يرسل إليهم طالباً منهم إضافة شيء إلى أية سورة كانوا قد حملوها عنه، وأخذوها منه..

ولو أن الباب كان قد بقي مفتوحاً على التبديل والتعديل، لكان علينا أن نشهد وأن نقرأ في التاريخ الكثير من موارد السؤال عن الزيادة أو الإخبار عنها، وبها لهذا الصحابي، ولذلك إلى حين وفاته ..،

نزول السورة مرتين:

وبعد أن تنزل السورة دفعة واحدة كما قلنا، كانت تنزل تلك السورة نفسها مرة أخرى.. كما هو الحال في سورة الإخلاص، التي نزلت في مكة مرة وفي المدينة أخرى، وكذلك سورة الفاتحة.. فقد نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلاة، ومرة بالمدينة لما حولت القبلة^(١)..

نزول الآية أيضاً مرتين:

وكما كانت السورة تنزل أكثر من مرة، فإن الآية كانت تنزل أكثر من مرة أيضاً.. وقد رويوا ذلك في العديد من الموارد، مثل خواتيم سورة النحل، وأول سورة الروم، وآية الروح، وقوله تعالى: **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ}**^(٢).. فإن سورتي الإسراء وهود مكينتان، وسبب نزولهما يدل على أنهما نزلتا في المدينة..

قال السيوطي: ولهذا أشكل ذلك على بعضهم، ولا إشكال، لأنها نزلت مرة بعد مرة^(٣)..

(١) راجع: الإتقان ج ١ ص ٣٥، والدر المنثور ج ١ في تفسير سورة الفاتحة وج ٦ في تفسير سورة الإخلاص، فإنه قد روى ذلك عن مصادر كثيرة. وراجع أيضاً: شرح أصول الكافي لملا صالح المازندراني ج ١ ص ٤٦٣ وفتح الباري ج ٨ ص ١٢١ وتحفة الأحوزي ج ٨ ص ٢٢٨ ومجمع البيان ج ١ ص ٤٧ والبيان للسيد الخوئي ص ٤١٨.

(٢) سورة هود، الآية ١١٤.

(٣) الإتقان ج ١ ص ٣٥.

وقد صرحوا بأن مما يدخل في هذا السياق أنه قد تنزل الآية لأجل سبب بعينه، ثم يتجدد سبب آخر، فيقتضي نزولها مرة أخرى..

وقد مثلوا لذلك:

١- بقوله تعالى: **{فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ}**^(١).. فقد زعموا كذباً وزوراً أنها نزلت في النبي ' حينما غضب لتمثيلهم بعمه حمزة، فتوعدهم بالتمثيل بسبعين منهم. وهذا كذب على رسول الله .. ونزلت أيضاً في الأنصار في أحد، لنفس السبب^(٢)..

٢- مثلوا له أيضاً بقوله تعالى: **{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ}**^(٣)..

فزعموا: أنها نزلت في استغفار النبي ' لأبي طالب x..

وزعموا أيضاً: أنها نزلت في والدته رسول الله ..

وكلا الموردين من الكذب والافتراء..

وزعموا كذلك: أنها نزلت في رجل استغفر لأبويه، كما رواه الترمذي^(٤)..

(١) سورة النحل، الآية ١٢٦.

(٢) راجع في الموردين كتاب الإتيان ج ١ ص ٣٣ وكتابنا الصحيح من سيرة النبي ' في غزوة أحد.

(٣) سورة التوبة، الآية ١١٣.

(٤) راجع كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم '.. حين الحديث عن إيمان أبي طالب x.

غير أن ما يهمنا هنا هو تصريحهم بأن الآية والسورة قد تنزل أكثر من مرة لأسباب مختلفة..

٣- قالوا: إن آية {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} قد نزلت مرتين أيضاً: مرة في مكة، ومرة في المدينة^(١)..

٤- احتمل سبط ابن الجوزي، وغيره: أن آية: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}.. قد نزلت مرتين: في عرفة، وفي غدير خم^(٢)..

٥- قالوا: إن آية: {تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} قد نزلت مرتين، كما نقله الحافظ ابن حجر^(٣)..

٦- قالوا أيضاً: إن آية اللعان قد تكون نزلت مرتين^(٤)..

٧- وقالوا أيضاً عن آية الجزية: إنها يحتمل أن تكون قد نزلت مرتين، وكذا آية الروح وخواتيم سورة النحل^(٥)..

النزول التدريجي للآيات:

وقد ذكر الله سبحانه نزول آيات القرآن بصورة تدريجية في قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً

(١) راجع: تذكرة الخواص ص ٣٠.

(٢) تذكرة الخواص ص ٣٠ وشرح أصول الكافي لملا صالح المازندراني ج ١١ ص ٢٧٨.

(٣) تفسير الميزان ج ٣ ص ٢٦٧.

(٤) لباب النقول ص ٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٣٧٩.

وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا^(١).

وقال تعالى: {وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا^(٢)..

فإنه وإن كان نزول القرآن سورة سورة يكفي في صحة القول بأنه ' كان يقرؤه على مكث، وبأن الله تعالى قد فرقاه، وبأنه لم ينزل جملة واحدة.. ولكن الظاهر من الروايات المتواترة أن آياته كانت تنزل أيضاً متفرقة، وفق ما يستجد من أحداث..

وذلك بعد أن تنزل السورة بكاملها أولاً.

ونذكر من الشواهد على ذلك، ما يلي:

شواهد وأدلة:

ألف: إن سورة الأنعام قد نزلت جملة واحدة بمكة، وقد شيعها سبعون ألف ملك^(٣)..

(١) سورة الفرقان، الآية ٣٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية ١٠٦.

(٣) راجع: الدر المنثور ج ٣ ص ٢ و ٣ و ٤ والإتقان ج ١ ص ٣٧ عن ابن الضريس، وأبي عبيدة وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، والحاكم، وأبي الشيخ، والبيهقي في شعب الإيمان، والسلفي في الطيوريات، والإسماعيلي = = في معجمه، والخطيب في تاريخه، وعبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وغيرهم، عن ابن عباس، وابن مسعود، وأسماء بنت يزيد الأنصارية، وابن عمر، وأنس، وجابر، وعن الإمام علي ×،

والروايات تقول أيضاً: إن آيات هذه السورة قد نزلت في مناسبات مختلفة، ونذكر من ذلك على سبيل المثال ما يلي:

١- عن ابن إسحاق، قال: مر رسول الله ' فيما بلغني بالوليد بن المغيرة، وأمّية بن خلف، وأبي جهل بن هشام، فهمزوه واستهزؤوا به، فغاضه ذلك، فأنزل الله: **{وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}**^(١) {٢}..

٢- عن ابن إسحاق، قال: لما دعا الرسول ' قومه للإسلام، قال له زمعة بن الأسود، والنضر بن الحارث، وعبد بن عبد يغوث، وأبي بن خلف، والعاص بن وائل: لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس، ويرى معك. فأنزل الله في ذلك من قولهم: **{وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ}**^(٣) {٤}..

٣- عن الإمام علي x قال: قال أبو جهل للنبي ' : إنا لا نكذبك، ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله: **{فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ}**^(٥) {١}..

وعن أبي بن كعب، ومجاهد، ومحمد بن المكندر، وعطاء، وغيرهم .
 (١) سورة الأنبياء، الآية ٤١ .
 (٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٥ عن ابن المنذر، وابن أبي حاتم .
 (٣) سورة الأنعام، الآية ٨ .
 (٤) الدر المنثور ج ٣ ص ٥ عن ابن المنذر، وابن أبي حاتم .
 (٥) سورة الأنعام، الآية ٣٣ .

وعن أبي صالح قال: كان المشركون إذا رأوا رسول الله ، قال بعضهم لبعض، فيما بينهم: إنه لنبي، فنزلت هذه الآية: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ} ^(٢) {^(٣)} ..

٤- عن ابن مسعود، قال: مر الملاء من قريش على النبي ، وعنده صهيب وعمار، وبلال، وخباب، ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء.. إلى أن قال: فأنزل الله فيهم القرآن: {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ} ^(٤) .. إلى قوله: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ} ^(٥) ..

وفي نص آخر عن عكرمة قال: (ما ملخصه) مشى عتبة وشيبة، وقرضة بن عبد عمرو وغيرهم. إلى أبي طالب، وطلبوا منه أن يطرد أولئك الضعفاء من حوله.. وقال له عمر: لو فعلت يا رسول الله، حتى ننظر ما يريدون بقولهم، وما يصيرون إليه

(١) الدر المنثور ج ٣ ص ٩ و ١٠ عن الترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والحاكم وصححه، والضياء في المختارة وابن مردويه. وعن أبي ميسرة كما رواه عبد بن حميد، وابن المنذر وابن مردويه.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٣٣.

(٣) الدر المنثور ج ٣ ص ١٠ عن أبي الشيخ.

(٤) سورة الأنعام، الآيات ٥١ - ٥٨.

(٥) الدر المنثور ج ٣ ص ١٢ عن أحمد، وابن جرير، وابن أبي حاتم والطبراني، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وأبي نعيم في الحلية.

من أمرهم، فأنزل الله: {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا}.. الخ..

إلى أن قال: ونزلت في أئمة الكفر من قريش والموالي والحلفاء، {وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا..} الآية. فلما نزلت، أقبل عمر بن الخطاب فاعتذر من مقاتله، فأنزل الله: {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ..} (١) (٢) ..

٥- عن خباب قال ما ملخصه: جاء الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، فوجدا النبي ' قاعداً مع بلال وصهيب، وعمار وخباب، وغيرهم من ضعفاء المؤمنين. فخلوا بالنبي ' أن يجعل لهم مجلساً منه لا يكون فيه أولئك، فأجابهم إلى ذلك، فقالوا: <فاكتب لنا عليك بذلك كتاباً، فدعا بالصحيفة، ودعا علياً [x] ليكتب، ونحن قعود في ناحية، إذ نزل جبرئيل بهذه الآية: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ}.. إلى قوله: {فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}..

فألقي رسول الله ' الصحيفة من يده، ثم دعانا، وهو يقول: {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}.. فكنا نقعد معه، فإذا أراد أن يقوم، قام وتركنا. فأنزل الله: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ

(١) سورة الأنعام، الآية ٥٤.

(٢) الدر المنثور ج ٣ ص ١٣ عن ابن جرير، وابن المنذر.

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ^(١)..

قال: فكان رسول الله ' يقعد معنا بعد، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركانه حتى يقوم..

وهذا معناه: أن الآية قد نزلت مرة أخرى في المدينة^(٢)..

وفي نص آخر: عن عمر بن عبد الله بن المهاجر: أن النبي ' كان أكثر ما يصلي نافلته عند اسطوان التوبة. وكان إذا صلى الصبح انصرف إليها وقد سبق إليها الضعفاء والمساكين والضيغان، والمؤلفة قلوبهم وغيرهم؛ فيتحلقون حول النبي ' حلقاً بعضها دون بعض. فينصرف إليهم ويتلو عليهم ما أنزل الله عليه في ليلته، ويحدثهم، حتى إذا طلعت الشمس جاء أهل الطول والشرف والغنى، فلا يجدون إليه مخلصاً. فتاقت أنفسهم إليه، وتاقت نفسه إليهم، فأنزل الله: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ}.. إلى منتهى الآيتين..

فلما نزل ذلك فيهم قالوا له: لو طردتهم عنا ونكون من جلساءك وإخوانك ولا نفارقك، فأنزل الله: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ

(١) سورة الكهف، الآية ٢٨.

(٢) الدر المنثور ج ٣ ص ١٣ عن ابن أبي شيبة، وأبي يعلى، وابن ماجة، وأبي نعيم في الحلية، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل..

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ^(١) ..

وهذا معناه أن الآية قد نزلت في المدينة، وسورة الأنعام قد نزلت دفعة واحدة في مكة ..

وعن سعد بن أبي وقاص، قال: نزلت هذه الآية في ستة: أنا وعبد الله بن مسعود، وبلال، ورجل من هذيل، واثنين، قالوا: يا رسول الله، اطردهم، فإننا نستحي أن نكون تبعاً لهؤلاء، فوقع في نفس النبي ' ما شاء الله أن يقع، فأنزل الله: **{وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، - إِلَى قَوْلِهِ - أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ}**^(٢) ..
وهناك روايات عديدة أخرى كلها تصب في هذا الاتجاه^(٣) ..

٦- عن ماهان قال: أتى قوم إلى النبي '، فقالوا: إنا أصبنا ذنباً عظيماً، فما رد عليهم شيئاً، فانصرفوا، فأنزل الله: **{وَإِذَا**

(١) الدر المنثور ج ٣ ص ١٣ عن الزبير بن بكار في أخبار المدينة .

(٢) الدر المنثور ج ٣ ص ١٣ عن الفريابي، وأحمد، وعبد بن حميد، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والحاكم، وأبي نعيم في الحلية، والبيهقي في الدلائل .

(٣) راجع ما رواه في الدر المنثور ج ٣ ص ١٣ و١٤ عن مجاهد، والربيع بن أنس. ورواها عن ابن عساكر، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن جرير، فراجع ..

جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا}.. فدعاهم، فقرأها عليهم^(١).

٧- عن زيد بن أسلم، قال: لما نزلت: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا} ^(٢).. قال رسول الله: ' لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف.. فقالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله؟!.. قال: نعم.

فقال بعض الناس: لا يكون هذا أبداً. فأنزل الله: {انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ * وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ} ^(٣).. الخ^(٤).

٨ - عن ابن جريج قال ما ملخصه: كان المشركون يجلسون إلى النبي '، فإذا سمعوا منه استهزؤوا، فنزلت: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} ^(٥).. فجعلوا إذا استهزؤوا قام، فحذروا، وقالوا: لا تستهزؤوا فيقوم، فذلك قوله: {لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ} أن يخوضوا فيقوم.. ونزل: {فَلَا تَقْعُدُوا بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ

(١) الدر المنثور ج ٣ ص ١٤ عن الفريابي، وعبد بن حميد، ومسدد في مسنده، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ..

(٢) سورة الأنعام، الآية ٦٥.

(٣) سورة الأنعام، الآيتان ٦٥ و ٦٦.

(٤) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠ عن ابن جرير، وابن المنذر.

(٥) سورة الأنعام، الآية ٦٨.

شَيْءٌ^(١) .. الخ^(٢) .

٩- عن ابن عباس في حديث .. : <قالت اليهود: يا محمد، أنزل الله عليك كتاباً؟! قال: نعم. قالوا: والله، ما أنزل الله من السماء كتاباً. فأنزل الله: {قُلْ} يا محمد، {مَنْ أُنْزِلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى^(٣)} ..^(٤) .

وواضح: أن التعاطي مع اليهود والاحتجاج عليهم، إنما كان في المدينة بعد الهجرة، مع ملاحظة أن للآية مناسبة خاصة نزلت فيها، مما يدل على أن هذا قد كان نزولاً آخر لها غير نزولها في ضمن السورة..

١٠- وفي نص آخر، عن سعيد بن جبیر: أنها نزلت في مالك بن الصيف حينما ناشده النبي ' هل يجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟!، فغضب. (وكان حبراً سميناً) فأنكر، وقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال له أصحابه: ويحك، ولا على موسى؟. قال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فأنزل الله:

-
- (١) سورة الأنعام، الآيتان ٦٨ و ٦٩ .
 (٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠ و ٢١ عن ابن جرير، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وراجع ما رواه في الدر المنثور ج ٣ ص ٢١ عن أبي الشيخ عن مقاتل..
 (٣) سورة الأنعام، الآية ٩١ .
 (٤) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٩ عن ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه .

{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} ^(١) {^(٢)..

١١- وعن محمد بن كعب القرظي: جاء ناس من اليهود إلى النبي ، وهو محتب. فقالوا: يا أبا القاسم، ألا تأتينا بكتاب من السماء، كما جاء به موسى ألواحاً؟!..

فأنزل الله: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنِزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ} ^(٣) ..

فجثا رجل من اليهود فقال: ما أنزل الله عليك، ولا على موسى، ولا على عيسى، ولا على أحد شيئاً. فأنزل الله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} ^(٤) ..

وهناك رواية أخرى عن محمد بن كعب في شأن نزول هذه الآية، فراجع..

والكلام فيها كالكلام السابق، وهي أن مناقشاته ، مع اليهود قد كانت في المدينة لا في مكة. وأنه حتى لو كان ذلك قد حصل في مكة، فهو أيضاً يدل على أن للآية نزولاً آخر غير نزولها في ضمن السورة ^(٥) .

١٢- قد نزلت آية: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ

(١) سورة الأنعام ، الآية ٩١ .

(٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٩ عن ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم .

(٣) سورة النساء ، الآية ١٥٣ .

(٤) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٩ عن ابن جرير .

(٥) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٩ عن أبي الشيخ .

أَوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ^(١)..
 في سعد بن أبي سرح.. الذي كان يكتب القرآن لرسول الله ، ثم فر
 إلى مكة فسأله عن ذلك، فادعى أنه كان يكتب كيف شاء^(٢)..
 وفي نصوص أخرى أنها نزلت في مسيلمة الكذاب^(٣)..
 وربما يحمل ذلك على تعدد نزولها.

وفي جميع الأحوال نقول: إن ذلك إنما كان في المدينة بعد
 الهجرة، فهو نزول آخر للآية، حسبما ألمحنا إليه..

١٣- وتذكر بعض الروايات: أن آية: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ
 يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ} ^(٤).. قد نزلت حين مشى قريش
 إلى أبي طالب x، وكلمته في أمر ابن أخيه، ثم طلبوا منه أن يكف
 عن شتم آلهتهم، وإلا فسوف يشتمونه، ويشتمون من أمره^(٥)..
 وهذا معناه: أن للآية مناسباتها الخاصة التي أوجبت نزولها

فيها أيضاً. يضاف إلى نزولها في ضمن السورة.

١٤- قالوا: إن آية: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ..} إلى قوله:

(١) سورة الأنعام، الآية ٩٣.

(٢) راجع الدر المنثور ج ٣ ص ٣٠ عن الحاكم في
 المستدرک، وعن ابن أبي حاتم، عن شرحبيل
 بن سعد، وعن السدي.

(٣) راجع: الدر المنثور ج ٣ ص ٣٠ عن عبد بن
 حميد وابن المنذر، وابن جرير، وأبي الشيخ
 عن ابن جريج، وقتادة، وعكرمة.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٠٨.

(٥) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٨ عن ابن أبي حاتم.

يَجْهَلُونَ^(١).. قد نزلت حين طلب المشركون من النبي ، أن يجعل لهم الصفا ذهباً..

والكلام في هذا المورد كالكلام في سابقه^(٢)..

١٥- عن ابن عباس، قال: جاءت اليهود إلى النبي ، فقالوا: نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما يقتل الله، فأنزل الله: {فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ.. إلى قوله: وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ^(٣)}^(٤).

وثمة ورايات عديدة أخرى بهذه المضامين^(٥)..

(١) سورة الأنعام ، الآيات ١٠٩ - ١١١ .
 (٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٩٠ عن ابن جرير، وراجع ما رواه أيضاً عن أبي الشيخ. وما أخرجه أيضاً في نفس الموضع عن ابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، = = وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن أبي حاتم.
 (٣) سورة الأنعام ، الآيات ١١٨ - ١٢١ .
 (٤) الدر المنثور ج ٣ ص ٤١ و ٤٢ عن أبي داود والترمذي وحسنه، والبزار وابن جرير، وابن المنذر، ورواه ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والفريابي، وابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وأبو داود، وابن ماجة، والحاكم وصححه، والنحاس والطبراني، والبيهقي في سننه.. وفي نص آخر ج ٣ ص ٤٢ عن الضحاك، أن المشركين قالوا ذلك. روى ذلك أبو الشيخ، وعبد بن حميد، وابن جرير والطبراني، وابن مردويه، وأبو داود.
 (٥) راجع الدر المنثور ج ٣ ص ٤٢ عن مصادر

١٦- وقال ابن جريج: إن آية: {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} ^(١)..

نزلت في ثابت بن قيس بن شماس..

وذلك يعني: أنها قد نزلت في المدينة.. وأن لها نزولاً آخر

غير نزولها في ضمن السورة ^(٢).

ب: سورة الكهف نزلت في مكة:

وقد ذكروا: أن سورة الكهف قد نزلت بمكة ^(٣)..

وعن أنس عن النبي: قال: نزلت سورة الكهف جملة، معها

سبعون ألفاً من الملائكة ^(٤)..

وذكروا: أن قريشاً بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن أبي

معيط إلى يهود المدينة في أمره، فقالوا لهم: اسألوه عن ثلاث

مسائل، فإن أخبركم فهو نبي، والأسئلة هي عن أهل الكهف، وعن

ذي القرنين، وعن الروح، فرجعوا إلى مكة وسألوه عن هذه

المسائل، فجاء جبرئيل x بسورة الكهف بعد خمسة عشر يوماً ^(٥).

كثيرة .

(١) سورة الأنعام، الآية ١٤١.

(٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٤٩ عن ابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) الدر المنثور ج ٤ ص ٢٠٥ عن ابن مردويه، والنحاس في ناسخه، والإتقان ج ١ ص ٣٧ و ٣٨.

(٤) الدر المنثور ج ٤ ص ٢١٠ عن الديلمي في مسند الفردوس والإتقان ج ١.

(٥) الدر المنثور ج ٤ ص ٢١٠ عن أبي نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل، وابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر.

وبعد أن اتضح: أن سورة الكهف قد نزلت جملة واحدة،
نقول: إننا نجد أن عدداً من آياتها قد نزل في مناسبات مختلفة
أيضاً، ونذكر من ذلك على سبيل المثال:

١- أخرج ابن مردويه، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في شعب
الإيمان عن سلمان: أن قوله تعالى: **{وَأْتِلْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ..}** إلى قوله - **{إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا}**^(١).. قد نزل حينما جاء
المؤلفة قلوبهم، وهم عيينة بن بدر، والأقرع بن حابس، إلى النبي
واشترطوا عليه لكي يجالسوه هم ويحادثوه، ويأخذوا عنه، أن يجلس
في صدر المجلس، وأن يبعد الفقراء عنه؛ لأنهم كانوا يلبسون جباب
الصوف - يعنون سلمان وأبا ذر^(٢)..

وفي نص آخر: عن سلمان: نزلت هذه الآية في وفي رجل دخل
على النبي 'ومعي شيء من خوص، فوضع مرفقه في صدري
وقال: تتح حتى ألقاني على البساط، ثم قال: يا محمد إنا ليمنعنا من
كثير من أمرك هذا وضرباؤه، أن ترى لي قدماً وسواداً، فلو نحيتهم
إذا دخلنا عليك، فإذا خرجنا أذنت لهم إذا شئت، فلما خرج أنزل الله:
{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ..} - إلى قوله - **{وَكَانَ أَمْرُهُ
فُرْطًا}**^(٣)..

ومن الواضح: أن سلمان قد أسلم في المدينة، فالآيات قد

(١) سورة الكهف، الآيتان ٢٧ - ٢٩.

(٢) الدر المنثور ج ٤ ص ٢١٩.

(٣) الدر المنثور ج ٤ ص ٢١٩ عن عبد بن حميد.

نزلت هناك أيضاً، بالإضافة إلى نزولها السابق في ضمن
السورة..

٢- رروا: أن قوله تعالى: {وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ
ذِكْرِنَا} ^(١).. نزلت في أمية بن خلف، وذلك أنه دعا النبي ' إلى أمر
كرهه، من طرد الفقراء وتقريب صناديد أهل مكة ^(٢)..

ورروا أيضاً: أن النبي ' تصدى لأمية بن خلف وهو ساه
غافل عما يقال له: فأنزل الله: {وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ} ^(٣)..

٣- رروا: أن قوله تعالى: {وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ
ذِكْرِنَا}.. قد نزل في عيينة بن حصن. قال للنبي ' قبل أن يسلم: لقد
آذاني ريح سلمان الفارسي الخ..

والكلام في هذا المورد ظاهر، فإننا سواء أقلنا بتكرار نزول
الآية، أو قلنا بعدمه، فإن الآية قد نزلت في مناسبة خاصة،
بالإضافة إلى نزولها في ضمن السورة..

وقصة عيينة بن حصن إنما كانت في المدينة، والسورة قد
نزلت دفعة واحدة في مكة ^(٤)..

٤- عن السدي، قال: قالت اليهود للنبي ' : يا محمد، إنما تذكر

(١) سورة الكهف، الآية ٢٨.

(٢) الدر المنثور ج ٤ ص ٢٢٠ عن ابن مردويه.

(٣) الدر المنثور ج ٤ ص ٢٢٠ عن ابن أبي
حاتم.

(٤) الدر المنثور ج ٤ ص ٢٢٠.

إبراهيم وموسى، وعيسى، والنبیین، أنك سمعت ذكرهم منا، فأخبرنا عن نبي لم يذكره الله في التوراة إلا في مكان واحد، قال: ومن هو؟! قالوا: ذو القرنين، قال: ما بلغني عنه شيء، فخرجوا فرحين، وقد غلبوا في أنفسهم فلم يبلغوا إلى باب البيت، حتى نزل جبرئيل بهؤلاء الآيات: **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا}**^(١)..

وذلك معناه: أن هذه الآيات قد نزلت في مناسبة خاصة، وأن النبي، لم يذكر لهم نزول هذه الآيات في سورة الكهف قبل ذلك، ربما لأجل أنه لم ينزل بها جبرئيل بعد ليحدد مناسباتها الخاصة بها^(٢)..

٥- وقالوا: إن جندب بن زهير كان إذا صلى أو صام أو تصدق فذكر بخير ارتاح له، فزاد في ذلك لمقالة الناس، فلامه الله، فنزل في ذلك: **{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ}**^(٣)**{}**^(٤)..

وفي نص آخر، عن مجاهد، كان رجل من المسلمين، يقاتل وهو يحب أن يرى مكانه، فأنزل الله: **{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ**

(١) سورة الكهف، الآية ٨٣.

(٢) الدر المنثور ج ٤ ص ٢٤٠ عن ابن أبي حاتم، وروى نحوه من هذا ابن عمر أيضاً فراجع نفس المصدر عنه.

(٣) سورة الكهف، الآية ١١٠.

(٤) الدر المنثور ج ٤ ص ٢٥٥ عن ابن مندة، وأبي نعيم في الصحابة، وابن عساكر وأسد الغابة ج ١ ص ٣٠٣.

رَبِّهِ{^(١)..

فالآية نزلت في مناسبة خاصة.. وهي واقعة في ضمن سورة نزلت دفعة واحدة أيضاً، في مكة.

خلاصة أخيرة:

وتكون النتيجة هي: أن الله سبحانه كان ينزل السورة أولاً، فيقرؤها النبي ، بتمامها على الناس، ثم تبدأ الأحداث بالتحقق، فيأتي جبرئيل x إلى الرسول ، بالآيات التي ترتبط بتلك الأحداث، فيعرف الناس بذلك: أن هذا القرآن منزل من عند عالم الغيب والشهادة..

وحتى السور التي نزلت نجوماء، كسورة البقرة وسورة آل عمران، فإن نزولها كان يتم بصورة تتلاءم مع هذه السياسة، ولذلك قالوا: إن بضعاً وثمانين آية من سورة آل عمران قد نزلت دفعة واحدة.. ثم بدأت الأحداث تتوالى، ويأتي جبرئيل x بالآيات المرتبطة بها، مع أن هذه الآيات قد نزلت قبل حصول تلك الأحداث وذلك في ضمن البضع والثمانين آية المشار إليها..

وهذا بالذات هو حال سورة المائدة أيضاً، فإنها نزلت دفعة واحدة ثم صارت آياتها تنزل تدريجاً كلما حدث أمر يقتضي نزول آيات بعينها من تلك السورة..

(١) الدر المنثور ج ٤ ص ٢٥٥ عن ابن أبي حاتم.

وإنما جاءت آية إكمال الدين قبل آية تبليغ الرسالة، في نطاق
سياسة إلهية تهدف إلى حفظ القرآن، وإلى الرفق بالناس، وتيسير
أمر الهداية لهم، حسبما أوضحناه..
والحمد لله رب العالمين..

القسم الرابع:

الإمام.. والإمامة:

الدين كامل بدون ولاية الإمام علي × (!!)

السؤال (٢٠٠):

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة العلامة المحقق آية الله السيد جعفر مرتضى العاملي،
دامت بركاته..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

ما رأيكم فيما صدر مؤخراً من مقولات جعلت الإمامة ضمن
البرنامج العملي الذي لم يكمله النبي ' فكان يحتاج الأمر إلى من
يقوم بهذه المهمة من بعده ' وعلى أساس ذلك تم التفتيش بين
المسلمين عن هذه الشخصية التي تستطيع ملء الفراغ بعد النبي '
فلم يكن غير الإمام علي ×..

وحيث اعتبر أن البرنامج العملي للرسول ' مغايراً للدين .. -
بناء على ذلك - نتوجه إلى سماحتكم بهذه الأسئلة:

١- ما هو تعريف الدين؟

٢- ما هو تعريف البرنامج العملي للنبي ' وهل هو من الدين أم لا؟

٣- هل الرسول ' أكمل برنامجه العملي؟..

٤- ما الفرق بين كون الإمامة جزءاً من الدين وكونها - أي الإمامة - جزءاً من البرنامج العملي للنبي '؟ وهل يوجد هناك منافاة بينهما؟

نرجو منكم إفادتنا مأجورين، ودمتم ذخراً للإسلام والمسلمين..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله.. وبعد..

فإنه لا ريب في أن ولاية أمير المؤمنين x التي أمر الله سبحانه نبيه ' بأن يبلغها في يوم الغدير وغيره، جزء من دين الإسلام الحنيف، وقد دلت نفس الآيات القرآنية التي نزلت في مناسبة الغدير على ذلك.. فلاحظ:

١- قوله تعالى لنبيه ' : {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (١).

فقد دلت هذه الآية:

أولاً: على أن عدم تبليغ ولاية أمير المؤمنين علي x يوازي عدم تبليغ الدين كله. فلو كانت الحاجة إلى الإمام علي x هي

مجرد حاجة إلى مساعد في إكمال البرنامج العملي، فإن ذلك يتم عبر الاستعانة به، وتمهيد الأمور له ليمسك بزمامها، ولا يحتاج ذلك إلى نص عليه، ولا إلى تبليغ ما أنزل إليه من الله تعالى، ولا يكون ترك ذلك التبليغ بمثابة ترك تبليغ الرسالة كلها..

إذ أن الحديث في الآية إنما هو عن قيمة مجرد الإبلاغ، وليس الحديث عن نفس الاستعانة بالإمام علي x في إكمال البرنامج العملي، في حركة الرسالة في الواقع!!

ثانياً: إنه تعالى قد جعل الآخرين الذين لا يرضون بولاية الإمام علي x من القوم الكافرين، وهم إنما يكفرون بإنكار حقائق الدين، لا بمجرد الاعتراض على أن يكون الإمام علي x هو المكمل للبرنامج العملي، إذا كان ذلك ناشئاً عن حسد، أو هوى، لا عن تكذيب للرسول ، وإنكار لصدقه فيما يبلغهم إياه..

ثالثاً: إن الظاهر هو أن السبب في اعتبار عدم إبلاغ ولايته x مساوياً لعدم إبلاغ الرسالة كلها، هو أن أعمال العباد لا تقبل بدون ولاية الإمام علي x، فلو أن أحداً قام ليله، وصام نهاره، وحج دهره، ولم يأت بولاية الإمام علي x فإن ذلك كله لا ينفعه شيئاً..

كما أن ولايته صلوات الله وسلامه عليه شرط لاكتمال التوحيد، وفقاً لما روي عن الإمام الرضا x، عن آبائه ٨، عن جبرئيل x، عن الله سبحانه وتعالى: <كَلِمَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَصْنِي،

فمن دخل حصني أمن من عذابي>.

ثم قال الإمام الرضا x: <بشروطها، وأنا من شروطها>^(١).
وفي نص آخر: <ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل
حصني أمن من عذابي>.

ومعنى ذلك أنه لا فرق بينهما لجهة: أن كلا منهما - أي
التوحيد، وولاية الإمام علي x - حصن الله سبحانه.

فقوله تعالى: {وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ} ^(٢) يعطينا: أن
حقائق الإسلام وشرائعه وأحكامه بمثابة الجسد، المكتمل في
تكوينه، والجامع لكل الميزات، والحائز على جميع الإمكانيات
والطاقات.. ولكنه يبقى خامداً هامداً، لا فائدة فيه إلا إذا نفخت فيه
الروح، فتبدأ اليد بالحركة، وتدب فيها القوة، وتصبح العين قادرة
على الرؤية، والأذن متمكنة من السمع، وتعطيه اليقظة في العقل
وفي المشاعر والأحاسيس و.. و.. الخ..

فولاية الإمام علي x إذن بمثابة هذه الروح التي تجعل كل
أحكام الدين وشرائعه، وحقائقه وقضاياه مؤثرة في الغايات
المتوخاة منها، موصلة إلى الله تعالى، هادية إليه..

فإذا لم يبلغ الرسول ' هذه الولاية، فإنه لم يبلغ أي شيء من
رسالة الله سبحانه.. لأن جميع ما بلغه يكون بلا فائدة ولا عائدة،

(١) راجع مصادر الرواية في كتابنا: الحياة

السياسية للإمام الرضا x ص ١٤٥.

(٢) سورة المائدة، الآية ٦٧.

إذ ليس فيه روح وحركة وحياة، ولا يثمر ثمرة، ولا يؤدي إلى نتيجة..

٢- الآية الثانية: وهي قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} (١) ..

فقد أفادت هذه الآية المباركة بملاحظة نزولها بمناسبة تبليغ ولاية الإمام علي x يوم الغدير:

أولاً: إن ولاية الإمام علي x جزء من الدين ولا يكمل الدين إلا بها..

ثانياً: إن الإسلام كله لا يكون ديناً مرضياً لله سبحانه بدون هذه الولاية.. فلو كانت الحاجة إلى الإمام علي x هي لمجرد المساعدة في إكمال البرنامج العملي في حركة الرسالة في الواقع، فلا معنى لربط رضا الله لدينه بها، فإن الدين إذا اكتمل، فإنه يصبح مرضياً، سواء طبّقه الناس، أم عصوا الله في ذلك..

أضف إلى ذلك أن الكل يعلم: أن الإمام علياً x قد أقصي عن مركزه الذي جعله الله تعالى له.. فهل بقي هذا الرضا الإلهي لدين الإسلام، أم أنه قد ذهب وزال بسبب ذلك الإقصاء أيضاً.. فإنه لا شك في أن رضاه له قد بقي، وذلك يعني أن نفس إبلاغ الولاية هو الذي يكمل به الدين، وليس لطاعة الناس ومعصيتهم أثر في ذلك..

ثالثاً: إن رضاه تعالى للإسلام ديناً قد حصل بمجرد حصول ذلك الإبلاغ. وقد نزلت الآية الدالة على ذلك بمجرد حصول ذلك الإبلاغ، ولم يكن البرنامج العملي قد أكمل بعد. وذلك يعني أن الذي حصل به هو إكمال الدين به فقط.. وذلك ظاهر لا يخفى.

وبذلك يتضح: أن ما ذكره ذلك البعض من أن آية {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} قد نزلت قبل نصب علي x يوم الغدير وأن رسول الله ' قد بلغ الرسالة للناس^(١)، ينافي الآيتين المتقدمتين منافاة ظاهرة، ولا أقل من أنه ينافي صريح الآية الثانية..

على أن مقتضى كلامه هو أن الإمام علياً x لم يكن هو الإنسان الذي اصطفاه الله قبل خلق الخلق، إذ إنه يقول: إن الأمر لا ينحصر بالإمام علي x، فأأي إنسان سواه يمكنه أن يساعد في إكمال البرنامج العملي، فإنه يمكن الاستعانة به، وقد يكون هناك اثنان أو أكثر كان بإمكانهم - لو اجتمعوا - أن يقوموا مقام الإمام علي x في ذلك..

ويشير إلى ذلك قول ذلك البعض: <فلا بد أن يتم التفتيش بين المسلمين عن الشخصية التي تستطيع ملء الفراغ بعد رسول الله الخ>..^(٢).

وهذا يخالف ما عليه مذهب شيعة أهل البيت ٨، وما هو

(١) نظرة إسلامية حول الغدير، ص ١٦/١٨.

(٢) المصدر السابق ص ١٩.

الثابت لهم بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة من القرآن ومن السنة الشريفة..

ويبقى أن نشير إلى أن ما ورد في السؤال من طلب معرفة الفرق بين الدين، وبين البرنامج العملي.. فنقول:

إن ذلك من أوضح الواضحات، وأبده البديهيّات، فإن الدين هو مجموعة الأحكام والشرائع، والحقائق الإيمانية، الثابتة، التي يطلب من الناس الإيمان والعمل بها، إلى يوم القيامة..

وأما البرنامج العملي، فهو ما يطلب من خلاله تهيئة الظروف والمناخات لحمل الناس على قبول تلك الحقائق والإيمان بها، وعلى الالتزام العملي بتلك الشرائع والأحكام..

وهذا الأمر لا يحتاج إلى جعل، ولا إلى تشريع، بل هو نتيجة جهد بشري، سواء في مجال التخطيط، أو في مجال التنفيذ والتدخل الإلهي في هذه الصورة إن كان، فهو إنما يأتي على سبيل المعونة والتسديد، وليس على سبيل الجعل والتشريع..

وأين هذا من الدين الذي لا بد من الرجوع فيه إلى الله سبحانه، والانتهاء إليه..

وعلى كل حال نقول:

لو كانت القضية قضية إكمال برنامج عملي لرسول الله ، يرتبط بتعميق الإسلام لدى أناس كانوا حديثي عهد بالجاهلية.. لم يكن الناس في الأجيال اللاحقة بحاجة إلى ولاية الإمام علي x، لا

من حيث الاعتقاد، ولا في دائرة العمل والممارسة.. ولكانت قضية ولايته محصورة بذلك الجيل من الناس دون سواهم..
والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

ثلاثة (!!) يجبرون الصحابة على البيعة!

السؤال (٢٠١):

بسمه تعالى

كيف يجبر ثلاثة أشخاص هم أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة، من حضر في السقيفة، وهم الأوس والخزرج على البيعة لأبي بكر؟!..

بل كيف يجبر هؤلاء الثلاثة، مئة وعشرين ألفاً كانوا قد حضروا الغدير، وبايعوا الإمام علياً x هناك؟!..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإننا بالنسبة للسؤال المذكور، نقول:

أما بالنسبة إلى المئة وعشرين ألفاً الذين بايعوا الإمام علياً x، في الثامن عشر من ذي الحجة في غدير خم بحضور رسول الله ، فنقول: إنهم لم يكونوا في المدينة حين وفاة رسول الله ، بل كانوا قد رجعوا إلى بلادهم.

وقد كان القائلون بالانقلاب لا يحتاجون إلى أكثر من إعلام أهل تلك البلاد، بأنه قد استجبت أمور فرضت على الرسول، العدول عن ما كان قرره.. وسارت الأمور باتجاه جديد، وفقاً لإرادته، وتوجيهاته..

وأما بالنسبة لأهل المدينة أنفسهم، الممثلين بمن له رأي وموقع من رجال الأوس والخزرج، فنقول:

أولاً: إن المدينة كانت قرية صغيرة قد لا يصل عدد سكانها بجميع أصنافهم وانتماءاتهم الدينية، وغيرها.. إلى ألفين أو ثلاثة آلاف، كباراً وصغاراً، شيوخاً وشباناً، ورجالاً ونساء..

والمسلمون البالغون من جميع هذه الأصناف، قد لا يصلون إلى الألف في أكثر التقديرات تقاولاً..

ويشير إلى ذلك: ما هو معروف من أن النبي، قال: أكتبوا لي كل من تلفظ بالإسلام. فكتب له حذيفة بن اليمان ألفاً وخمس مئة رجل.. وفي رواية أخرى: ونحن ما بين الست مئة إلى السبع مئة^(١).

كما أن الذين بايعوا النبي، تحت الشجرة قد كانوا ألفاً وأربع مئة أو خمس مئة، وقيل ألف وثمان مئة، على أبعد التقادير.. وقد كان من بينهم المهاجرون، وهم يعدون بالمئات أيضاً،

(١) راجع: السوق في ظل الدولة الإسلامية ص ٦٨.

وكان من بينهم أيضاً جماعات من القبائل القريية من المدينة، وربما غير هؤلاء، وأولئك أيضاً..

ثانياً: إن هؤلاء الثلاثة لم يجبروا أهل السقيفة على البيعة لأبي بكر، بل ما حصل هو أن أبا بكر قد أوقع الخلاف بين الأوس والخزرج، بتذكيرهم بإحن الجاهلية، وخوف بعضهم من بعض، ثم بايعه عمر وأبو عبيدة، وأسيد بن حضير، وربما بلغ الأمر إلى ثمانية أشخاص، كما تشير إليه بعض الروايات.. ثم تركوا الأوس والخزرج مختلفين، وخرجوا مسرعين إلى بيت أمير المؤمنين x، في المسجد، ليفرضوا عليه البيعة، قبل أن يبلغه الخبر، ويتكلم بما يفسد عليهم أمرهم..

وجرى لهم معه ومع السيدة الزهراء ÷ ما جرى، وكانوا قد هياؤا بني أسلم، ليخرجوا على الناس فجأة في الصباح، ويفرضوا البيعة لأبي بكر بالقوة والقهر، وصار الناس يسحبون إلى البيعة لأبي بكر في أجواء من الرعب والخوف والإهانة، لا يحسدون عليها..

وقد غاب عن هذه البيعة بنو هاشم، وكثيرون غيرهم.. وقام بها لأبي بكر جماعة من المهاجرين الحاقدين على الإمام علي x، وأهل بيته..

فإجبار الأوس والخزرج على البيعة، لم يحصل في اجتماع السقيفة، وإنما حصل في اليوم التالي حينما حضر الألوف من بني

أسلم فجأة، كما ذكرنا.

ولهذا البحث وبيان تفصيلاته المثيرة مجال آخر..

والحمد لله رب العالمين.

هل كان النبي يريد الوصية لعلي؟

السؤال (٢٠٢):

بسمه تعالى

إن الشيعة يدعون: أن النبي '، قد أراد في مرض موته أن يصرح بالوصية للإمام علي x، وأن يكتب ذلك في كتاب، لكن عمر منعه من ذلك، وقال: إن النبي ليهجر، أو غلبه الوجع، أو ما يقرب من ذلك..

مع أنه ليس في الحديث أن النبي '، قد أراد أن يكتب خلافة الإمام علي x، فهذا لا يعدو كونه مجرد تخرص ورجم بالغيب من الشيعة أنفسهم، رغبة في التتويه بأمر الإمامة، ولو من غير دليل.. وبذلك تبطل حجتهم هذه..

أضف إلى ذلك: أن النبي '، قد ترك سنة غير مكتوبة، فلماذا يكتب هذا الكتاب؟!..

فهل من جواب على هذا القول وذاك؟!..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإن ما ذكر في السؤال لا يصلح رداً على الشيعة، وذلك لما يلي:

أولاً: إن هناك تصريحات من قبل الخليفة الثاني بأنه كان يعلم بأن النبي '، قد أراد في مرض موته أن يصرح باسم الإمام علي x فمنعه..

وقد روى ذلك أهل السنة أنفسهم^(١)..

ثانياً: لنفترض أن النبي '، لم يرد أن يكتب في الكتاب إمامة الإمام علي x، ولكن لا شك في أن قول عمر: إن النبي ' ليهجر، أو غلبه الوجد.. أو أنه قال كلمة معناها غلبه الوجد..

نعم إن هذا القول يعتبر جرأة عظيمة وخطرة جداً على مقام النبي الأعظم '.. وهو يظهر بصورة لا تقبل التردد والشك، عدم صلاحية عمر بن الخطاب لمقام الخلافة، وهذا كاف فيما يرمي إليه الشيعة من إثبات بطلان خلافة عمر بن الخطاب..

وليس ثمة ما يثبت أنه قد أصبح أهلاً لهذا المقام، لا سيما وأنه لم ينقل عنه توبة عما صدر منه في حق رسول الله '..

بل الثابت أنه قد واصل جرأته على الرسول '، وذلك حينما

(١) فراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٢ ص ٢١ وقاموس الرجال ج ٦ ترجمة عبد الله بن عباس..

هاجم بيت السيدة الزهراء ÷، التي قال فيها الرسول الكريم، ' : من أغضبها أغضبني، أو نحو ذلك..

ثالثاً: إن النبي '، قد ترك سنة مكتوبة، وقد أمر عبد الله بن عمرو بن العاص، بأن يكتب كل ما يخرج من بين شفتيه، قائلاً:
أكتب فوالله، لا يخرج من بين هاتين إلا حق. أو نحو ذلك..
وقال: أكتبوا لأبي شاه. وقد أمر الناس بالكتابة فقال: قيدوا العلم بالكتاب..

وقد كتب عنه أمير المؤمنين x، الجفر والجامعة وكتب أيضاً الكتاب الذي كان في ذؤابة سيفه، وفيه أمور من السنة.. وغير ذلك كثير.. وقد ذكرنا شطراً وافياً من ذلك، في الجزء الأول من كتاب: <الصحيح من سيرة النبي الأعظم>..

فما معنى قولهم: إن النبي ' لم يترك سنة مكتوبة؟!..

رابعاً: لنفترض أن النبي '، قد أمضى حياته دون أن يكتب أي شيء، وأراد في آخر لحظة أن يكتب أمراً بعينه، فما هو المانع من ذلك؟ وهل يصح قياس هذه الفترة على الفترات السابقة، بحيث لا بد أن تأخذ حكمها؟!..

خامساً: إذا كان يحق لعمر بن الخطاب، أن يمنع النبي '، من كتابة الكتاب، فهل يحق له أن يعطل ذلك بأنه ' يهجر، أو غلبه الوجد.. أو أن يقول كلمة هذا معناها؟!..

سادساً: إن النبي '، يقول للناس: إنه إذا كتب الكتاب، فلن

يضلوا بعده..

فكيف يقول له عمر: حسبنا كتاب الله؟!.. فهل هو أعرف من النبي ، فيما يكون فيه الهداية والضلال؟!..

ألا يدل قول النبي :‘ لن تضلوا بعدي.. على أن القرآن لا يغني عن كتابة الكتاب، باعتبار أن الكتاب هو تدبير نبوي، تنفيذي وإجرائي، من شأنه أن يمنع من ادعاء الناس أموراً تخالف الواقع.. أما القرآن فإنما يتحدث عن الأصول، والمباني، والقواعد والضوابط..

سابعاً: وأخيراً، نقول لأجل التذكير فقط: إن من يتجرأ على رسول الله ، ألا يتجرأ على السيدة الزهراء ÷، وعلى الإمام علي x، فضلاً عن سواهما؟!
والحمد لله رب العالمين.

لماذا سمي

الإمام علي x أولاده بمثل أسمائهم؟!!

السؤال (٢٠٣):

بسمه تعالى

لماذا سمي الإمام علي x أولاده باسم أبي بكر، وعمر، وعثمان، ألا يدل ذلك على كمال محبته لهم؟! وعلى كمال الانسجام فيما بينه وبينهم.. وعلى بطلان ما يدّعيه الشيعة عليه،

من أنه كان له رأي سلبي تجاههم؟! بسبب ما يزعمونه من اعتدائهم على بيته أو زوجته، وغضب الخلافة منه؟!..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإننا نجيب على سؤالكم هذا بما يلي:

أولاً: إن تسمية إنسان ولده باسم شخص لا تكشف عن محبته لذلك الشخص، إلا إذا ثبت بالتصريح منه أن السبب في تسميته له باسمه، هو حبه له، ولا شيء غير ذلك..

أو أن يخبرنا بذلك علام الغيوب، والمطلع على الأسرار والسرائر، وعلى خفيات الضمائر..

ثانياً: إنه قد يكون السبب في التسمية باسم ما، هو استلطاف ذلك الاسم، وإن لم يكن يعرف من يفعل ذلك، أن أحداً قد سُمِّي به أصلاً، والأسباب والدوافع تختلف باختلاف الأشخاص وحالاتهم، وما يفكرون به، وما يعرض لهم..

ثالثاً: إن هذه الأسماء ليست حكراً على هؤلاء الأشخاص، فقد ذكر لنا التاريخ المكتوب أسماء كثيرين من الصحابة كانت لهم هذه الأسماء.. وقد كان فيهم من يحبهم الإمام علي x، ويهتم بهم..

مثل عمر بن أبي سلمة ربيب الرسول ، وقد شهد مع الإمام علي x ، حرب الجمل واستعمله x على البحرين، وعلى فارس، وكان من الذين يثق فيهم الإمام علي x ، ويحبهم.. بل ما أكثر اسم عمر فيما بين الصحابة، وكذلك الحال بالنسبة لغيره من الأسماء^(١)..

رابعاً: قد ورد أن الإمام علياً x ، قد قال عن سبب تسميته ولده باسم عثمان: إنما سميته باسم أخي عثمان بن مظعون^(٢).. وأما اسم أبي بكر، فلم يسم الإمام علي x ، ولده بهذا الاسم، بل كانت هذه كنية لمحمد الأصغر.

وليس ثمة ما يدل على أن الإمام علياً x ، هو الذي كناه بها. أما التسمية بعمر فلعلها كانت لأجل عمر بن أبي سلمة أو غيره، حسبما أشرنا إليه..

خامساً: وأخيراً، فإن كثيراً من النساء اللواتي يرزقن أولاداً يرغبن في تسمية أبنائهن باسم بعض من يعز عليهن، كالأب، أو الأخ، أو الجد.. أو ما إلى ذلك.. فلعل تسمية بعض أولاده x ، قد جاءت استجابة لرغبة كهذه..

وعلى كل حال.. فإن على من يدّعي سبباً بعينه أن يأتي

(١) راجع الإصابة للعسقلاني، وأسد الغابة لابن الأثير، والاستيعاب لأبي عمر بن عبد البر، وغير ذلك.

(٢) قاموس الرجال ج ٦ ص ٢٨٧ عن أبي الفرج.

بالنص المثبت لما يدّعيه..
والحمد لله رب العالمين.

لا مشكلة بين الإمام علي x وعمر

السؤال (٢٠٤):

بسمه تعالى

إننا حين نناقش بعض أهل السنة حول إمامة الإمام علي x، وما جرى بينه وبين الخلفاء، فإنهم يحتجون علينا بقضية تزويج الإمام علي x ابنته أم كلثوم لعمر بن الخطاب.. ويقولون: لو كانت هناك مشكلة فيما بين الإمام علي x وعمر، لم يزوجه ابنته أم كلثوم..

كما أنه لو كان عمر قد تجرأ على السيدة الزهراء ÷، وضربها، وأسقط جنينها فإن الإمام علياً x، لا يزوجه بنت السيدة الزهراء ÷ بالذات، فيؤذي بذلك روح الأم، ويؤذي ابنتها أيضاً..
فهل هذا الاستدلال صحيح؟!..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإن هذا الكلام لا يصح الاستدلال به، ولا ينبغي الالتفات

إليه، وذلك:

أولاً: إن للتزويج أسبابه وظروفه، فقد يكون عن ميل ورغبة، وقد يكون عن حاجة وضرورة تلجئ إلى ذلك.. وقد يكون عن رضا، وقد يكون عن إكراه وإجبار..

وربما يكون الداعي إلى قبول ذلك هو رعاية مصالح عامة أو خاصة.. إلى آخر ما هنالك من أسباب، ودواع، تختلف من شخص لآخر، ومن حالة لأخرى..

فلا يمكن الجزم بأن تزويج أم كلثوم من عمر، كان عن ميل ورغبة منها ومن أبيها، إلا بالتصريح من صاحب القرار بذلك..

ثانياً: هناك تصريحات عديدة بأن عمر بن الخطاب قد مارس ضغوطاً كبيرة للحصول على هذا الزواج..

وإن من يرمي النبي ' بالهجر، ويهاجم السيدة الزهراء ÷، ويؤذيها بالضرب وإسقاط الجنين، لا بد أن يُخاف منه لو أطلق أي تهديد، ولا بد أن يسعى إلى دفع المكروه الآتي من قبله باختيار أهون الشرور..

ثالثاً: إن عمر قد سعى أيضاً - كما يروي أهل السنة - إلى التزوج من أم كلثوم بنت أبي بكر، فلم يمكنهم دفعه عن ذلك، حتى توسلت عائشة بعمر بن العاص، فدفعه عنها بطريقته الخاصة..

فإن قيل: إن هذا كذب..

فإنه يقال: إن الشيعة لم يدونوا ذلك في كتبهم، ولا روه في

أخبارهم، وإنما رواه لهم أهل السنة، فلماذا يكذب أهل السنة على عمر، وأي نفع له أو لهم في ذلك؟!...
والحمد لله رب العالمين.

علم الأئمة ٨ حين كانوا أنواراً

السؤال (٢٠٥):

بسمه تعالى

إنه حين كان الأئمة ٨ أنواراً محدقين بعرش الله، هل كانت لديهم علوم يستحقون بها ذلك المقام؟!..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإنه ليس لدينا طريق لمعرفة طبيعة ما يجري في ذلك العالم إلا النقل عن المعصوم، ولكن مما لا شك فيه، أن الله سبحانه حين خلقهم قد أودع فيهم استعداداً لتلقي العطايا الإلهية، التي هي استجابة منه تعالى إلى حاجاتهم، وإمدادهم بمعارف وعلوم تتناسب مع حالهم، وتلائم حقائقهم، وتجردهم، وإشرافهم على سائر المخلوقات، حيث أشهدهم الله خلق كل شيء، كما ورد في الروايات..

وهم في موقع الرضا والطف الإلهي الغامر، الذي يكون منه

الفيض لكل ما تتطلبه تلك الموجودات العالية، وهي لا تتطلب إلا
أسمى المعارف وأسناها، وأشرفها وأعلاها، وخيرها وأبقاها..
وبهذا اللطف، وبتلك الفيوضات الإلهية، يتأكد استعدادهم،
وتتنامي قابلياتهم، فهم في حالة سمو متواصل، وتكامل مستمر..
أنالنا الله شفاعتهم، وحشرنا معهم، إنه ولي قدير..
والحمد لله رب العالمين.

دور المهدي # مع وجود الخضر x

السؤال (٢٠٦):

إذا كان الخضر حياً في هذه الأيام، فلا يبقى دور للإمام المهدي
لأنه مع وجود النبي، فليس للإمام أن يتقدم عليه..

الجواب:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله
الطاهرين.. وبعد..

فإن الأحاديث الشريفة قد دلت على أن الخضر x لا يموت حتى
ينفخ في الصور، أو حتى الصيحة، وعن الإمام الرضا x في حديث:
«وسئونس الله به وحشة قائمنا في غيبته، ويصل به وحدته»^(١).

وبعض الروايات المروية من طرق العامة تقول: إنه قد نسئ

(١) البحار ج ١٣ ص ٢٩٩ وج ٥٢ ص ١٥٢ عن
كمال الدين ج ٢ ص ٦١.

له في أجله لكي يكذب الدجال^(١).

وفي الدر المنثور ج ٤ ص ٢٣٩ أيضاً: أن الخضر في البحر، وإلياس في البر.

ورواية أخرى عن كعب: أن دواب البحر قد أمرت أن تسمع له وتطيع، وتعرض عليه الأرواح غدوة وعشية^(٢).

وروي: أن الخضر قال للنبي موسى x: إني وكلتُ بأمر لا تطيقه، ووكلتُ بأمر لا أطيقه^(٣).

وأنه قال له: إن لي علماً لا ينبغي أن تعلمه، وإن لك علماً لا ينبغي أن أعلمه^(٤).

وذلك كله يدل على أن للخضر x دوراً يختلف عن دور النبي موسى x.. وله دور أيضاً في إيناس وحشة الإمام # في غيبته، بالإضافة إلى شؤون أخرى يمارسها، دلت بعض الروايات على بعض منها..

فلا مجال لادعاء أن دور الإمام المهدي المنتظر # يبطل دور الخضر، ولا لادعاء عكس ذلك أيضاً..

ولو صح هذا الإشكال لأبطل إمامة أمير المؤمنين x، وباقي

(١) راجع الدر المنثور ج ٤ ص ٢٣٤ عن الدارقطني وابن عساكر.

(٢) الدر المنثور ج ٤ ص ٢٣٩.

(٣) تفسير القمي ج ٢ ص ٣٨.

(٤) الدر المنثور ج ٤ ص ٢٣٠.

الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم، لأن الخضر كان حياً في أيام
إمامتهم^٨..

كما أن ذلك لو صح لم يكن مجال لنزول النبي عيسى x في
آخر الزمان، حيث سيصلي خلف الإمام المهدي[#] أيضاً..
والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد
 وآله الطاهرين..

القسم الخامس:

العصمة..

الخضر، وموسى'

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى سماحة العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي دامت
بركاته.

السلام عليكم ورحمة الله.

نتمنى من سماحتكم أن تجيبونا بأسرع وقت على بعض
الأسئلة العقائدية التي تثار:

السؤال (٢٠٧):

ماذا يعني قول موسى x في قوله تعالى: {لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا
نَسِيتُ} ^(١) فهل يجوز على النبي النسيان؟؟

السؤال (٢٠٨):

بالنسبة إلى صاحب موسى x، الذي هو يوشع بن نون،
وصي موسى، وهو نبي.. كيف تسلط عليه الشيطان فأنساه
الحوت، فقال: (وما أنسانيه إلا الشيطان)؟

(١) سورة الكهف، الآية ٧٣.

السؤال (٢٠٩):

٣- كيف قتل الخضر الغلام على ذنب لم يرتكبه؟ وهل يجوز القصاص قبل الجناية؟ فلو كان من أجل حفظ إيمان الأبوين يجوز قتله، فلماذا لم يقتل أمير المؤمنين عبد الرحمن بن ملجم، حيث إنه سوف يقتل أمير المؤمنين وهو يعلم به؟

وفي قتل أمير المؤمنين انتشار للفساد كبير، وأمير المؤمنين كان يقول بالمعنى: لا قصاص قبل الجناية؟
ولكم منا جزيل الشكر والاحترام. نسألكم الدعاء في أمان الله.

الجواب:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.. وبعد..

أما بالنسبة للسؤال الأول، عن قول النبي موسى x: {لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ} ^(١)، وهل يجوز على النبي النسيان؟ وكذلك الإجابة على بعض الأسئلة الأخرى، فنقول: إن ذلك يحتاج إلى إيراد بعض الكلام حول الآيات المباركة، التالية:

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ

الْحَوْتَ وَمَا أُنْسَانِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ
عَجَبًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا
عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا *
قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا * قَالَ
إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ
خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا *
قَالَ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا *
فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ
أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ
صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا
* فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيََا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ
نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ
صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ
لَدُنِّي عُذْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا
أَنْ يُضَيِّقُوا لَهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ
شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ
بِتَأْوِيلَ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ
يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أُعْيِبَهَا وَكَانَ رِءَاهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ
سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ
يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءَ

وَأَقْرَبَ رَحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ
وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا
أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي
ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا^(١)..

وقبل أن نشرع في بيان ما نرمي إليه، نلفت نظر الأخ الكريم
إلى الأمور التالية:

١ - إنهم يقولون: إن الفتى الذي كان مع النبي موسى × هو
وصيه يوشع بن نون.

٢ - إن الله سبحانه قد أمر النبي موسى × بأن يذهب للقاء
العبد الصالح - وهو الخضر × وكان نبياً حسبما ذكرته الروايات -
وكان ظهور الآية للنبي موسى × في أمر الحوت، حيث عاش،
واتخذ سبيله في البحر بصورة عجيبة، ونسيان يوشع أن يذكر
ذلك للنبي موسى × - كان ذلك هو العلامة التي مكنت النبي
موسى × من أن يصل من خلالها إلى العبد الصالح - الخضر × -

٣ - إن ذلك العبد الصالح قد رزقه الله سبحانه طول العمر،
فهو حي لم يموت، وسيبقى إلى الصيحة، أو إلى حين نفخ الصور،
حسبما دلت عليه الروايات..

٤ - إن الله تعالى قد أتى ذلك العبد الصالح رحمة موهوبة من

(١) سورة الكهف الآيات ٦٠-٨٢.

عنده، ومن صنعه وعطائه. وأعطاه أيضاً علماً لدنياً، موهوباً له منه سبحانه، وهو علم غير اكتسابي، لا ينال بالفكر ولا بالسعي.

وقد أشارت بعض الروايات إلى أن مهمات العبد الصالح كانت تختلف عن مهمات النبي موسى x. وقد روي في تفسير القمي: أنه قد قال للنبي موسى x: إني وكلتُ بأمر لا تطيقه، ووكلتُ بأمر لا أطيعه.

وقد كان النبي موسى x أعلم من الخضر بصورة عامة، لكن كان لدى الخضر علم بأمور تتناسب مع مهماته، كانت معرفة النبي موسى x بها أيضاً من موجبات نيّله لمقامات أسمى وأرفع. وقد كان يكتفي لتعلمها أن يعرف مبادئها، وأصولها، لتتفتح له أبواب تفصيلاتها وفروعها، ويدل على ذلك ما ورد من أن رسول الله ' قد علم علياً أمير المؤمنين x ألف باب من العلم، يُفتح له من كل باب، ألف باب..

٥ - الإمر - بكسر الهمزة - الداهية العظيمة.

٦ - إن مهمة الأنبياء ليست هي مجرد إبلاغ الأحكام، أو قيادة الناس في مجال السياسة وليس النبي حاكماً أو سلطاناً، أو ما إلى ذلك، بل النبي مبلغٌ وهادٍ، وراعٍ، ومربٍ للخلق، وحافظ ومدبر لهم، ومهيمن على مسيرتهم، وله درجة من المسؤولية عن سائر الموجودات المحيطة به، حتى الشجر والحجر، والطير والحيوان، والماء والهواء.. و.. كل ذلك من موقع العلم والمعرفة،

والقدرة، والهيمنة، والمحبة، والتدبير الحكيم..

ولأجل ذلك عُلِّم الأنبياء منطق الطير، والحيوان، ولغات البشر، وسخر الله لهم الريح، وغير ذلك.. وما يذكر للنبي ' من كرامات في هذا السياق، هو من شواهد ذلك أيضاً.

٧ - إن ما يظهر لهم ٨ من معجزات، فإنما هي تصرفات اقتضتها حكمتهم، ودورهم، ومسؤولياتهم. ومن ذلك طي الأرض لهم، وتكلم الشجر والحجر معهم، وإطعام الجيش كله من كف من تمر، أو من شاة عجفاء..

فتلك الأحوال تعدّ إعجازاً بالنسبة لنا، وهي مسؤوليات بالنسبة لهم، وحضور عملي في موقع الحاجة إلى المبادرة وإلى التصرف.

٨ - إن الأنبياء جميعاً يشتركون في علم الشريعة، والدين والأحكام، وكل ما يحتاجون إليه في مهماتهم في هداية الأمة ورعايتها.. والتفاوت فيما بينهم إنما هو في العلوم الراقية، التي يحصلون عليها بفضل من الله عليهم، وبها وبالسعي من خلالها ينال الأنبياء المقامات السامية عند الله تعالى..

والمفروض بالنبي موسى x وهو النبي العارف بالله تعالى، أن يسعى لنيل تلك المقامات من خلال توفير المعارف التي تتطلبها، وقد عرفه الله تعالى أنه قد أعطى العبد الصالح علوماً من عنده، وأن عليه أن يطلبه، ويتعلمها منه.. وهكذا كان..

فالعلم الذي يريد النبي موسى x أن يتعلمه من الخضر، لا
يوجب فقده x في تلك الحال قدحاً أو نقصاً في نبوته x، لأن علم
النبوة وكل ما يحتاج إليه كان حاضراً لديه x بصورة تامة، ولكنه
أراد الحصول على علم يعطيه القدرة على الوصول إلى مقامات
أسمى وأرفع.. ولا بد أن تتوقع من الأنبياء أن يكونوا طموحين
وساعين بكل جهدهم لتلك المقامات، وأن يحبوا الوصول إليها،
ولو لم يكن لديهم هذا الطموح لما استحقوا مقام النبوة، بل ما هو
أقل بكثير من ذلك.

على أنه قد روي عن الإمام الصادق x أنه قال: <كان
موسى أعلم من الخضر>، أو قال: <كان موسى أعلم من الذي
اتبعه>^(١).

٩ - إن للأنبياء ٨ شاهدة على الخلق، وهو يقتضي أن يكون
لهم اطلاع على جميع أعمال الخلائق، حتى على المشاعر
والنوايا، فهم يرون أعمالهم حتى في حال نومهم ٨ وقد ورد أن أبا
ذر طلب النبي '، فوجده في حائط (أي بستان) نائماً، فأراد أن
يستبرئ نومه من يقظته، فتناول عسيباً يابساً، فكسره ليسمعه
صوته، يستبرئ به نومه، فسمعه رسول الله '، فرفع رأسه، فقال:
<يا أبا ذر، تخذعني؟! أما علمت أنني أرى أعمالكم في

(١) البحار ج ١٣ ص ٣٠٣ و ٣٠٩ عن تفسير
العياشي.

منامي، كما أراكم في يقظتي، إن عيني تتامان، ولا ينام قلبي>^(١).
وعلم الشاهدية هذا مهم جداً في السياسة الإلهية للبشر،
وصيانة إيمانهم وتعميق ارتباطهم برسله وبأوليائه.

١٠ - إن العلم الذي يحصل عليه المعصوم x بالطرق غير
العادية، الخاصة به، كالذي يأتيه من الله على سبيل الإلهام، أو
الوحي، أو من خلال إشرافه على لوح المحو والإثبات أو على أم
الكتاب، أو حديث الملك، أو من خلال شهاديته، ورؤيته لأعمال
الخلائق في نومه ويقظته x - إن هذا العلم لا يحق له أن يتعامل
به مع الناس على ما يقتضيه.. ولذلك نجد أن النبي ' لم يحد زانياً،
ولا قطع سارقاً، ولا جلد شارباً للخمر، ولا قتل قاتلاً بالاستناد إلى
شهاديته، أو إلى علمه بالغيب من خلال إلهام النبوة، أو إخبار
جبرئيل x، أو نحو ذلك..

وقد كان ' يعرف المنافقين، ويعرف الذين نفروا به ليلة
العقبة، وقد أخبر حذيفة بأسمائهم، ولكنه لم يعاملهم وفقاً لما
تقتضيه هذه المعرفة، بل عاملهم وفق الوسائل العادية التي تقع
تحت اختيار الناس، وفي متناول أيديهم، مثل الرؤية البصرية، أو
ما يسمع بواسطة الأذن، أو ما تقوم به البيئة، وغير ذلك..

ولأجل ذلك لم يتخذ الإمام علي x من ابن ملجم أي موقف
سلبي، رغم أنه كان يخبر الناس بأنه قاتله، كما أن الإمام الرضا

(١) البحار ج ٢٢ ص ٤١١، ورجال الكشي ص ٢٩.

x يشرب ماء الرمان، أو يأكل العنب رغم أنه يخبرهم بأنه مسموم^(١).

كما أن الإمام الحسين x، يقدم على المسير إلى كربلاء، رغم علمه وإخباره بما يلاقيه هو وأهل بيته، وصحبه، ثم بما يجري على نسائه وأطفاله من بعده.

ولكن لأن ذلك كله قد جاءهم بطرق غير عادية، فليس لهم أن يرتبوا عليه الآثار في مجال التعامل مع الآخرين، لأن ذلك يدخل في دائرة التسلط عليهم بالطرق التي لا ينالها اختيارهم، ويجعل من التعامل معهم منافياً للعدل الإلهي. من حيث إنه يسقط إرادتهم، ويفقدهم حريتهم بمؤثرات خارجية قاهرة، لم تأت من خلال حركة السنن الطبيعية، بل جاءت بفعل إرادة قاهرة لإرادتهم، واختيار يعطل قدرتهم على الاختيار.

أما السبب في أن الأئمة والأنبياء يخبرون الناس بتلك الأمور - بأن العنب مسموم مثلاً، وبأن ابن ملجم هو قاتل الإمام x و.. - فهو إقامة الحجة عليهم، وتأكيد يقين الناس بإمامتهم. والإعلان لكل أحد بأنهم هم الذين يملكون علم الإمامة، وأن المأمون والآخرين متوثبون على أمر ليس لهم، وظالمون معتدون

(١) إن من القريب أن يكون المأمون قد بذل محاولتين لقتل الإمام x، إحداهما: بواسطة السم في العنب. والأخرى، بواسطة السم في ماء الرمان.

متجرؤون عليهم، وعلى الناس، وعلى الله في حاكميته وسلطانه..
 لكن لو أن أحداً من الناس جاء وأخبر الإمام x بأن العنب
 مسموم، أو أن الإمام x نفسه قد رأى المأمون يضع السم في
 العنب، أو في ماء الرمان أو أن المأمون قد اعترف بذلك، فإنه لا
 يجوز للمعصوم في مثل هذه الأحوال أن يشرب ماء الرمان، أو
 أن يأكل من ذلك العنب، ولكان وجب على الإمام اتخاذ
 الإجراءات المشروعة ضد ابن ملجم وهكذا الحال في سائر
 الموارد..

ولأجل ذلك نجد أن النبي ' يقول للناس: <إنما أقضي بينكم
 بالبينات والأيمان، وبعضكم ألحن بحجته من بعض، فأیما رجل
 قطعت له من مال أخيه شيئاً، فإنما قطعت قطعة من النار>^(١).

وبعدما تقدم نقول:

هنا نقطتان لا بد من معالجتهما:

إحداهما: ما يقال من أن النبي موسى x، قد نكث العهد الذي
 أعطاه للعبد الصالح بأن لا يعترض عليه..

الثانية: أنه x يقول للعبد الصالح: لا تؤاخذني بما نسيت، فإن

(١) وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ٢٣٢ وفي هامشه عن
 الكافي ج ٧ ص ٤١٤ وتهذيب الأحكام ص ٢٢٩ و ٢٥٢
 ومعاني الأخبار ص ٢٧٩ والتفسير المنسوب
 للإمام العسكري x ص ٢٨٤ والسنن الكبرى
 للبيهقي ج ١٠ ص ١٤٣ وصحيح مسلم، وصحيح
 البخاري وغير ذلك.

ذلك ينقض ما يقوله شيعة أهل البيت تبعاً للأئمة الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، من أن النسيان لا يجوز على الأنبياء..

كما أن قول فتى موسى: {أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَصَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ..} ^(١) فقد ورد أن هذا الفتى هو يوشع بن نون وصي النبي موسى x الذي يفترض أن يكون معصوماً أيضاً..

كما أن علينا أن نجيب على السؤال عن الفرق بين قضية قتل الخضر x للغلام، وقضية قتل ابن ملجم لأمير المؤمنين x وغير ذلك.

وبيان وجه الحق في هذه الأمور وسواها نورده فيما يلي:

إنك لن تستطيع معي صبراً:

إنه حين طلب النبي موسى x من الخضر x أن يتبعه قال له الخضر (العبد الصالح): {إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} ^(٢)، فنفى بذلك قدرته على جميع مفردات الصبر، لأن كلمة <صبراً> قد جاءت نكرة في سياق النفي، وهو يفيد العموم.

ثم بين سبب ذلك بقوله: {وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا} ^(٣).

(١) سورة الكهف، الآية ٦٣.

(٢) سورة الكهف، الآية ٦٧.

(٣) سورة الكهف، الآية ٦٨.

فقد يتخيل البعض: أن عدم قدرة النبي موسى x على تحمل مثل هذه الأمور يثير الشك في استحقاقه للنبوة، لأن الأنبياء يجب أن يكونوا الأمثلة في الصبر والتحمل..

ولكنه خيال زائف، إذ أن قوله: {وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِط بِهِ خُبْرًا} قد بين أن السبب في عدم صبره x ليس هو أنه لا يملك أي طاقة أو قدرة على أي نوع من أنواع الصبر (كما هو مفاد النكرة في سياق النفي حسبما أشرنا إليه)..

بل هو يقول: إن الاستعداد، والقدرة على الصبر بجميع مراتبه، متوفر لديك يا موسى، ولكن هناك مانع يمنعك من استعمال قدراتك هذه، ويجعله صبراً غير معقول ولا مقبول من أمثالك من الأنبياء أولي العزم، وهو أن صبرك هنا ينافي عصمتك، وعدلك، وقناعاتك، ويخل بتوازن شخصيتك، ويفقدك الصلاحية لمقام النبوة..

لأنك لو صبرت لكنت مداهنأ في دين الله، غير مبال بمخالفة شرعه وأحكامه، مع أنك ترى المخالفة رأي العين.. فصبرك يتنافى مع تكليفك، ودينك، وشريعتك..

إذ إن عدم اطلاعك على باطن الأمر، وهو وجود ملك يأخذ كل سفينة غصبأ، يجعل من خرق الخضر للسفينة مخالفة ظاهرية لا بد لك من التصدي لها، والاعتراض عليها ولو بمستوى استيضاح الأمر عنها، حتى إذا جاءك البيان بأن ثمة ما يبرر هذا

التصرف، فإن بإمكانك في هذه الحالة فقط أن تسكت.. وهكذا كان.

وهذا ما يفسر لنا ما كان يرمي إليه العبد الصالح في قوله: {وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا} فإنه استدلال بأمر بديهي فطري، إذ مع عدم الإحاطة بواقع الأمر، والوقوف على دوافعه وكوامنه وأسراره، فإن الفطرة والشرع والعقل تدعوك إلى المواجهة، وتأبى الفطرة والعقل والشرع السكوت عنه، فضلاً عن الإقدام عليه..

فلا بد من الاستيضاح عن سبب المخالفة الظاهرية، هل هو سبب مشروع يخرجها عن دائرة التصرف بمال الغير، وقتل النفس المحترمة، بدون ذنب ظاهر، ويخرج موضوع إقامة الجدار عن دائرة التصرف غير المنطقي.. وبالإجابة على ذلك السؤال تتضح الأمور، فإن كان ثمة ظلم فلا بد من الردع عنه، وإن كان ثمة عذر مقبول، سقط التكليف.

وهكذا فعل النبي موسى x، فإنه وجه سؤالاً للعبد الصالح، وقبل منه إشارته إلى أن في الأمر سرّاً سوف يطلعه عليه.. وأعلمه بأن هذا هو أحد مفردات الأمور الصعبة، التي لا يحق للنبي موسى x الصبر عليها، لأجل عدم معرفته بسرّها، حيث قال له: {أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} ^(١).

(١) سورة الكهف، الآية ٧٢.

ولعلك تقول: ليس من حق النبي موسى x أن يفكر بهذه الطريقة، لأنه إنما يتهم العبد الصالح الذي أرشده الله إليه ليتعلم منه.. فكان المفروض عليه أن يصبر ويسكت..

والجواب عن ذلك: أن لزوم أخذ النبي موسى x العلم من العبد الصالح، لا يعني أن لا ينهيه النبي موسى x، أو فقل: أن لا يستفسر منه عن سبب صدور ما ظاهره المخالفة لقواعد الشرع وأحكامه.. إذ قد تقدم أنه لا يحق للنبي موسى x أن يتعامل مع الآخرين من موقع علم الشاهدية على الخلق، أو علم النبوة، الذي يستشرف الغيب، أو يمكنه من الحصول عليه.. بل عليه أن يعاملهم بمقتضيات ما يتوفر له من وسائل عادية للحصول على المعارف والعلوم.

فالاطلاع على سر تصرف الخضر من خلال علم الشاهدية، أو علم النبوة بالوحي، أو بالاطلاع - كالملائكة - على لوح المحو والإثبات، لا يسقط تكليفه بالسؤال عن سر ما صدر منه، وطلب السماع من فم العبد الصالح مباشرة.. لأن منشأ التكليف بالسؤال هو رؤية المخالفة بالعين - وليس هو الوحي ولا الشاهدية - فلا يسقطه إلا ما هو من سنخه أيضاً، وهو سماع التوضيح من الفاعل، وترتيب الآثار على ذلك، وفقاً لما قرره الشرع لسائر الناس في ممارساتهم في الأشباه والنظائر..

وبذلك يتضح: أن الله سبحانه قد أراد - في جملة ما أراده - من إيراد هذه الحادثة أن يظهر أن النبي موسى x قد كان دائماً

في خط الله، حتى وهو يعترض على الخضر.. ويسأله عن سبب ما صدر منه.

فالنبي موسى x لم يخطئ في تشخيص تكليفه، ولم يقصر في القيام بما يجب عليه، حتى مع العبد الصالح، النبي، ورغم أنه مأمور بالتعلم منه، وبذلك استحق النبي موسى x بنفس موقفه هذا أن يكون رسولاً نبياً، ومن أولي العزم أيضاً..

توضيحات ضرورية حول صبر النبي موسى x:

إننا نعود فنكرر الإشارة إلى أن الخضر x قد نفى جميع أفراد الصبر، حين أورده نكرة في سياق النفي، وقد أكد هذا النفي بالاستفادة من كلمة «لن» التي ادعى الزمخشري: أنها تقيد تأييد النفي، (ونحن نؤيد قول الزمخشري هذا، ونرى أن إطلاق النفي يفيد عدم الحصول في جميع آفات المستقبل، وهو معنى التأييد، إن قلت: فكيف صح تقيد منفيها باليوم في قوله تعالى: {فَلَنْ أَكَلَّمَ الْيَوْمَ إِنْشِيَاءً} ^(١). كما أنه لو صح ذلك لكان ذكر الأبد في قوله تعالى: {وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا} ^(٢) تكرار، والأصل عدمه..

قلنا: أما بالنسبة للتقيد باليوم، فنقول: إن لفظ اليوم قرينة صارفة عن التأييد لأن استفادة التأييد إنما هي من الإطلاق، وهو إنما ينعقد مع عدم وجود قرينة..

وأما بالنسبة للتكرار في قوله تعالى: {وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا} فإنه إذا

(١) سورة مريم، الآية ٢٦.

(٢) سورة الجمعة، الآية ٧.

كان التكرار لأجل التأكيد لم يكن فيه إشكال. بل هو من البلاغة المطلوبة.. ولا أقل من أنها تفيد نفي مدخولها في المستقبل المنظور.. وهو في الآية هنا نهى مغلل.. وتعليله أيضاً قد جاء على سبيل التعجب.

وهذا النفي قد انصب على القدرة والاستطاعة، ولم ينصب على الصبر نفسه، حيث لم يقل له: إنك لا تصبر، أو لن تصبر، بل قال له: إنك الآن، وفي جميع الآنات الآتية، فاقدر للقدرة على أي فرد من أفراد الصبر، مهما كان ضئيلاً وموهوناً..

كما أنه لم يقل له: لا تستطيع، لأن هذا النفي قد يفهم منه أنه يختص بنفي فعلية قدرته، وهذا لا ينافي صيرورته قادراً في بعض الآنات فيما يأتي.. كما أنه قد يفهم منه: إمكان الصبر في نفسه، ولكن محدودية قدرة النبي موسى x هي التي جعلته ممتنعاً عليه..

وإذا نظرنا إلى التعليل فسوف نجد أنه أيضاً تعليل بأمر حقيقي وواقعي، من شأنه أن يفهم النبي موسى x: أن حصول الصبر يصل إلى درجة الامتناع الحقيقي..

فهو يقول له: إن الصبر لا يمكن صدوره منك، حتى لو كنت قادراً عليه.. إذ أن القضية ليست قضية وجود أو عدم وجود طاقة وقدرة لديك يا موسى، بل القضية هي أنك أنت لا يمكن أن تختار الصبر، لوجود مانع من ذلك يجعل من اختيارك له أمراً ممتنعاً

حقيقة..

ويشير إلى هذا المعنى أيضاً: أن التعليل لم يكن ببيان حجم طاقة النبي موسى x، ومقارنته بحجم ذلك الأمر العظيم الذي يرد عليها، بل هو تعليل بأمر علمي إدراكي، معرفي. وهذا لا ربط له بالتحمل.. إذ أنه يرجع إلى أن عدم معرفة النبي موسى x بسر وسبب ما يصدر من الخضر يجعل فعل الخضر - الذي ظاهره المعصية والتعدي - مورداً لحكم الشارع بلزوم التصدي له، أو على الأقل يحتم على الناظر إليه طلب الإيضاح والبيان..

وإذا أصدر الشارع أمره للنبي موسى x بذلك، فإنه لا يبقى أمامه x أي خيار سوى الامتثال، وهذا ما حصل بالفعل..

ويتحدد تكليف النبي موسى x في المراحل التالية وفقاً للبيان الذي يسمعه من العبد الصالح..

فالنتيجة هي أن التعليل له مدخلية في اختيار النبي موسى x للصبر، وعدم اختياره له.. وليس له مدخلية في تحديد طاقة الصبر لدى النبي موسى x قوة وضعفاً..

أين هو عهد موسى:

وبعدما تقدم نقول:

قد يحلو للبعض أن يدعي أيضاً: أن النبي موسى x قد نقض العهد الذي كان قد أعطاه للعبد الصالح.

ونقول:

أن هذا الكلام ليس فقط غير دقيق، بل هو غير صحيح، والآيات الشريفة نفسها ترده وتنقضه.. وبيان ذلك:

إن الخضر قد قال للنبي موسى x: { إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا }^(١).

فقال له النبي موسى x: { سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا }^(٢).

فهو قد أخبره بوجود درجة من الصبر لديه، وأنها مرهونة بمشيئة الله سبحانه.. وقال له أيضاً: إنه سوف يلمس هذا الصبر في شخصيته، فلاحظ قوله: { سَتَجِدُنِي.. } الدال على أن لديه درجة من الصبر يمكن للخضر أن يتلمسها..

ثم هو لم يزد على أن أعطاه وعداً بأن لا يعصي له أمراً.. وقد وفى له بوعده هذا ولا يمكن أن يجد أحد أية إشارة إلى أية مخالفة، من النبي موسى x لأمر أصدره الخضر إليه..

ولعل مما يشير إلى عدم وجود تعاهد واتفاق أيضاً.. أن الخضر x بعد انتهاء حوارهم مع النبي موسى x قد قال له: { فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَانْطَلِقَا }^(٣).

فإنه استفاد من كلمة <إِنْ> الشرطية المفيدة للشك، لا من كلمة إذا التي تستعمل في مورد اليقين، فأفاد ذلك: أنه لم يكن هناك اتفاق، ولا تعاهد فيما بينهما، وأن الذي يقرر الاتباع وعدمه هو النبي

(١) سورة الكهف، الآيات ٦٧-٦٨.

(٢) سورة الكهف، الآية ٦٩.

(٣) سورة الكهف، الآيات ٧٠-٧١.

موسى x.. بعد أن علم من الخضر بوجود أمور لا يمكن الصبر عليها.

لكن الخضر x قد طلب من النبي موسى x: أن لا يسأله عن شيء حتى يحدث له هو منه ذكراً..

وقد سكت النبي موسى x عن التصريح بالرفض أو القبول لهذا الطلب.. ولكنه انطلق معه..

كما أن من الواضح: أن الخضر x لم يطلب من النبي موسى x: أن لا يأمره بالمعروف، وأن لا ينهيه عن المنكر.. حين يكون لابد من هذا أو ذاك، وذلك حين يخالف ظاهر الشرع..

فإن الخضر والنبي موسى 'يعرفان: أن هذا الأمر قد أصدر الله أو أمره فيه، وليس لأحد أن يلغي أوامر الله سبحانه، أو أن يعطلها. بل لو صدر مثل هذا الأمر من الخضر x، فإن على النبي موسى x أن يرفضه، وأن يسأل ويعترض، وعلى الخضر x أن يجيب..

فإذا كان لا يحق للخضر x أن يطلب من النبي موسى x أمراً كهذا، ولا يحق للنبي موسى x أن يستجيب له، فلا بد أن يحمل قوله: {فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا} على الأمور التي ليس فيها مخالفة لظاهر الشرع، فإنها هي التي يكون للنبي موسى x فيها الخيار، ويحق له فيها السكوت، كما يحق له الكلام.. فيقول له: أريدك أن تختار فيها السكوت

مثلاً.. أو عكسه.

أما ما ليس للنبي موسى x فيه سوى خيار واحد، فليس للخضر x أن يطلب السكوت عنه، وليس للنبي موسى x أن يعطي تعهداً بذلك.

كما أن من الواضح: أنه حين أعطى النبي موسى x وعداً للخضر x بأن لا يعصي له أمراً، فإن ذلك لا يجعل موسى x ملزماً بإطاعة الأوامر التي تتضمن معصية الله، أن يفى له بوعده، ويعصي الله بالفعل.

وكل ذلك يدل على أنه إنما وعده بأن يطيعه فيما يجوز له أن يطيعه فيه. فهو من قبيل قولك لمن يحفر بئراً: ضيق فم البئر، أي أوجده ضيقاً..

لا تؤاخذني بما نسيت:

وحين نصل إلى قول النبي موسى للخضر: '{لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً}'^(١) فإن علينا أن نلتفت إلى أنه سبحانه لم يقل: لا تؤاخذني لأنني نسيت، أو: لا تؤاخذني بنسياني..

إذ قد يفهم من ذلك: أن النسيان هو سبب صدور الاعتراض منه عليه.. وأن هذا النسيان هو المبرر لطلب العفو..

مع أن الحقيقة هي أن النسيان لم يكن هو السبب في اعتراض

(١) سورة الكهف، الآية ٧٣.

النبي موسى x على الخضر x، كما اتضح مما سبق، بل كان السبب في ذلك هو الأمر الإلهي والتكليف الشرعي.

ولأجل ذلك طلب منه أن لا يؤاخذه بالاعتراض، والسؤال.. وهو المدلول عليه بكلمة <ما> في قوله: <بما نسيت>.

أي أن ثمة شيئاً كان الخضر x قد طلبه من النبي موسى x وهو: <أن لا يسأله عن شيء حتى يحدث له منه ذكراً> وقد أزال النبي موسى x هذا الأمر من ذاكرته، وتركه، وأبعده عن مخيلته، فأصبح منسياً عنده بصورة عمدية، فرضها هو على نفسه، بعد أن ورد عليه أمر أهم منه، متضمن لتكليف إلهي بأن لا يلتفت إلى شيء، بل عليه أن ينشغل - فقط - بمعالجة ما ظهر في فعل الخضر x من مخالفة لظاهر الشريعة..

وهذا نظير قوله تعالى: {كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى} ^(١) حيث إن الله سبحانه لا يمكن أن ينساه حقيقة، ولكن المراد بيان: أنه لا بد أن يوضع الكافر في موقع النسيان، فلا يلتفت إليه، ولا يهتم له، ولا يفكر فيه أحد.

ولأجل ما ذكرناه نلاحظ: أن الخضر x لم يرتب أثراً على ما صدر من النبي موسى x، ولم يؤاخذه ولم يقل له: هذا فراق بيني وبينك في المرة الأولى. ولا في الثانية، وذلك لأنه لا يحق له ذلك، ولولا أن النبي موسى x قد وعده في المرة الثالثة بأن يحلله

(١) سورة طه، الآية ١٢٦.

من أمر مصاحبته، لتكررت هذه الحالات في عشرات المواضع، وكان على النبي موسى x أن يعترض، ولم يكن يحق للخضر أن يتخذ أي إجراء ضده، حتى إجراء المفارقة..

ومما يؤكد هذا الذي قلناه أيضاً: قول النبي موسى x: {وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً} ^(١) فَإِنْ مَوَازِدَ الْخَضِرِ x له تعني أنه يحمله من أمره ما يرهقه بالعسر، بحيث يغشاه من العسر ما لا يطيقه. وهو أمر مرفوض عقلاً وشرعاً.. وبذلك يكون النبي موسى x قد وضع الخضر x أمام الأمر الواقع، ولم يترك سوى خيار واحد هو خيار التسليم له، إذ لا يحق له اتخاذ أي موقف أو إجراء إلا ما ينسجم مع حكم العقل والشرع..

واللافت: أن الخضر اكتفى في المرتين الأولى والثانية بتذكير النبي موسى x بأنه قد أخبره بأن في الأمر سرّاً يخرج تصرفه في السفينة، وقتله للغلام عن دائرة المخالفة لظاهر الشريعة، لو علمه النبي موسى x، فإنه سيصبح قادراً على الصبر، حيث قال له مرة أخرى: {أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا}..

ويظهر من جميع ما قدمناه: أن النسيان الذي أشار إليه النبي موسى x في قوله: {لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ}. لازم وواجب، وهو من مظاهر كماله x، ومن موجبات التعظيم والتكريم والإجلال له. وليس من موجبات الطعن أو الانتقاص.

(١) سورة الكهف، الآية ٧٣.

وما أنسانيه إلا الشيطان:

وقد ذكرت الآيات أيضاً: أن فتى النبي موسى x - وهو يوشع بن نون على ما ذكرته بعض الروايات - قد قال حينما سأله النبي موسى x عن الحوت، وهو الزاد الذي كان معهم: {إِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ} ^(١).. ويوشع هو وصي النبي موسى x، فكيف ينسى، وهو معصوم؟ وكيف يتسلط عليه الشيطان، وينسيه أن يذكر ما شاهده من عجيب أمر الحوت للنبي موسى x؟ رغم أنه قد عاد إلى الحياة، واتخذ سبيله في البحر عجباً.. ولم يكن النبي موسى x بعيداً عن هذا الحدث الهائل والعظيم. فكيف ينسى أن يخبره بذلك بهذه السرعة..

وللإجابة على هذا السؤال أيضاً نقول:

أولاً: إذا ثبتت عصمة يوشع بالدليل والبرهان، ولم نستطع تفسير الظاهر القرآني بما يتلاءم مع تلك العصمة الثابتة، فلا بد أن نتهم أنفسنا بالقصور عن فهم المراد من الآية، ونصر على الاعتقاد بالعصمة.. وننتظر أن يفتح الله علينا في معنى الآيات..

ثانياً: إن المعصوم لم يزل يهضم نفسه، ويتهمها بالقصور وبالتقصير، ولا يدعي لنفسه الكمال، ولا يتعامل مع نفسه على أساس أنه معصوم.. فكان من الطبيعي أن يتهم يوشع هنا نفسه بالتقصير، وأن يعتبر ذلك النسيان من فعل الشيطان.. رغم أن الشيطان ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون.. ولا شك أن يوشع x

(١) سورة الكهف، الآية ٦٣.

من هؤلاء..

ومن الواضح: أن الله سبحانه قد أرسل النبي موسى x ليلتقي بالخضر x، وجعل له علامة للتعرف عليه، هي حصول أمر غير عادي، وغير مألوف، وكانت حياة السمكة التي كانت معهما وزهاها في البحر.. هي هذه العلامة، وكان نسيان يوشع إخبار النبي موسى x بهذا الأمر العظيم، رغم أنه وقع بالقرب منه، بل في حضوره تقريباً - علامة أخرى للنبي موسى x على ما جاء إليه - إذ أن هذا النسيان إما أن يكون بسبب شدة سذاجة يوشع إلى حد البله، أو أنه ناشئ عن تصرف إلهي فيه.. والثاني هو الصحيح كما هو ظاهر..

فهو إن شاء من الله ليوشع، وتصرف إلهي في نفسه الشريفة، فهو كالموت الذي يفعله الله سبحانه بأنبيائه مع أنهم لا يجوز لهم إماتة أنفسهم، وكالنوم الذي يلقيه الله عليهم بالرغم عنهم، وكالمرض الذي يأتيهم من الله، مع أن النبي لا يجوز أن يمرض نفسه..

إذا كان هذا النسيان قد عرض ليوشع بتصرف إلهي قاهر له.. ليجعل ذلك علامة وطريقاً وسبيلاً للنبي موسى x للوصول إلى ما هو أهم وأعظم، فلا دليل على أن هذا من موارد النقص في المعصوم، لاسيما إذا لاحظنا بأن موارده ليس هو التكليف الشرعي، كما أنه ليس في مورد التعاطي والتعامل مع الناس..

وهذا بالذات هو ما قصده الشيخ الصدوق حين تحدث عن

إسهاء الله تعالى لنبيه، وإن كان & قد عمم الكلام في ذلك إلى الإسهاء في الصلاة الأمر الذي لم يقبله منه علماءنا الأبرار رضوان الله تعالى عليهم.

وبالتأمل بما ذكرناه تظهر الإجابة على السؤال عن قوله تعالى: حكاية عن النبي موسى x: {لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ}؟!..

وعلى سؤال: كيف تسلط الشيطان على يوشع بن نون وصي النبي موسى x وهو نبي معصوم؟!.

وعلى سؤال: كيف قتل الخضر x الغلام على ذنب لم يرتكبه؟!.

وعلى السبب في أن الإمام علياً x لم يقتل ابن ملجم، تفادياً للفساد الذي يحدث من قتل ابن ملجم للإمام x..

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين..

العصمة عند السيد الخوئي

السؤال (٢١٠):

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة العلامة المحقق حجة الإسلام والمسلمين السيد جعفر مرتضى العاملي دام عزه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

سيدنا الجليل إني في رسالتي هذه أطلب منك براءة ذمتي أمام الله عز وجل، فإني قد تجرأت على سماحتكم، وأسباب هذا التجروء أنني كنت من مقلدي السيد محمد حسين فضل الله وكان يقول: إن الذين يردون عليه إما أنهم فيهم عقد نفسية.. أو لأغراض شخصية، أو أنهم حقودون، وحسودون، أو أنهم مخابرات دولية أو غيره، وأن الذين يردون عليه لا يعرفون غير الشتم والسب ومن ناحية أخرى إنهم دائماً يقطعون كلامه ويحرفونه!! وأنا (وللأسف الشديد) صدقته من غير تفحص لأنه كان محل ثقة!..

وللأسف أنني لم أنتبه - إلا متأخراً - أنه هو الذي يشتم ويسب وليس المراجع العظام والعلماء الأجلاء..

وبعد أن اطلعت على كتب سماحتكم، رأيت عكس ذلك، فإني بعد أن قرأت كتابكم القيم (مأساة الزهراء صلوات الله عليها) وكتابكم (لست بفوق أن أخطئ من كلام علي x) وغيرهما، لم أر أي شتم وأي سب! وإنما هي ردود علمية رصينة، ورأيت أنكم لا

تحرّفون كلامه أو تقطعونّه كما يدعي هو وأتباعه.

بل إني تحدّيت المدافعين عنه أن يأتوا لنا بالشتّم والسب والتحرّيف الذي يفتريه السيّد فضل الله على سماحتكم ولكن لم نر أي شيء. (وأعتقد أننا لن نرى)..

ومن هنا أرجو من سماحة العلامة المحقق أن يبرئ ذمتي أمام الله تعالى هذا أولاً..

وثانياً: إن كتب جعفر الشاخوري منتشرة كالنمل في البحرين ولكن للأسف الشديد لا نجد الكتب التي ترد عليها مثل (حتى لا تكون فتنة)، فما هو السبب؟

وثالثاً: ما صحة القول بأن السيّد الخوئي قدس سره يقول بسهو النبي، كما ينقل جعفر الشاخوري في كتابه (مرجعية الضلال وغبار الانحراف)^(١)؟

ورابعاً: هل يوجد كتاب يرد على الكتاب الثاني للشاخوري وهو (السيّد فضل الله والعقل.. الخ)، وما هو تعليقكم على هذا الكتاب؟

وأنا أنتظر ردكم الشريف على أحر من نار ونسألكم الدعاء..

خادمكم وابنكم ..

(١) يقصد السائل: كتاب (مرجعية المرحلة وغبار التغيير) للشيخ الشاخوري.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإنني أسأل الله سبحانه أن يحفظكم ويرعاكم ويأخذ بيدكم إلى صراط الحق والخير والنجاة، وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وأن يشملكم بعين رعايته، إنه ولي قدير..
أخي الكريم..

إنني أعتقد أن ما كان من جرأتكم علي لم يكن بدافع هوى وعصبية، بل كان الدافع هو أنكم رأيتم أن من واجبكم نصره الدين، والدفاع عن معتقدون أنه مظلوم ومفتري عليه.. فلما تبين لكم خلاف ذلك رأيتم أن من واجبكم أن تكونوا مع الحق أينما كان..

فجزاكم الله خير جزاء العاملين الغيورين على دينهم، وجعل الله سبحانه أئمة الهدى شفعاءكم، وحشركم مع محمد وآله الطاهرين، وسقاكم من حوضه من يد علي أمير المؤمنين x، وصلى الله على الأئمة من ولده المعصومين المكرمين، ولعن الله أعداءهم، الذين أزالوهم عن مراتبهم، ومنكري فضائلهم،

ومصغري شأنهم، من الآن إلى قيام يوم الدين..

أخي الكريم..

بالنسبة لإيصال الكتب من قبلنا إلى البحرين نقول لكم: إن قدراتنا محدودة، وجهدنا فردي، بكل ما لهذه الكلمة من معنى، وليس لدينا معارف واسعة، ونحن نهتم بهذا الأمر، ولكننا لم نستطع إلى الآن أن نجد الوسيلة المناسبة إلى ذلك..

ونحن نطلب من كل إخواننا الطيبين أن يفكروا معنا لإنجاز هذا المهم.. فإن كان لديك أي اقتراح عملي في هذا الاتجاه، فنرجو إتحافنا به..

أخي الكريم..

بالنسبة لكتاب الشيخ جعفر الشاخوري <السيد فضل الله.. والعقل..> أحب أن أعلمكم.. أننا لسنا معنيين بتتبع ما يكتبه الشيخ الشاخوري وأمثاله.. وما يهمنا من الرد على السيد محمد حسين فضل الله هو فقط تحصين الناس من الوقوع في الخطأ في أمور حساسة، كان هو ولا يزال يسعى إلى جر الناس إليها..

أخي الكريم..

بالنسبة لما ذكرتموه عن كلام السيد الخوئي حول سهو النبي، نقول: إن السيد الخوئي & قد ذكر ذلك في صراط النجاة ج ١ ص ٤٦١ حين أجاب على سؤال مطول حول هذه المسألة بقوله:

<القدر المتيقن من السهو الممنوع على المعصوم هو السهو

في غير الموضوعات الخارجية والله أعلم>.

ونشير هنا إلى ما يلي:

١- إن السيد الخوئي إنما تحدث عن القدر المتيقن هنا.. أي يشير إلى الأمر الذي لا شبهة فيه، أو لم يقع فيه خلاف، فهل هو بالنسبة لما عدا القدر المتيقن يرى جواز السهو فيه، أو أنه يرى عدمه، إن هذا ما لم يشر إليه بشيء. فلا يصح نسبة القول بالجواز إليه فيه.

٢- إن السؤال الموجه إلى السيد الخوئي إنما كان عن قضية ذي الشمالين وسهو النبي، في الصلاة، وقد نفى السيد الخوئي أن يكون ذلك داخلاً في القدر المتيقن، ومعنى ذلك: أنه يكذب قضية ذي الشمالين التي هي مورد السؤال.

٣- لنفترض جدلاً: أن السيد الخوئي & يقول بجواز السهو على النبي أو بغيره، فإن ذلك يكون خطأ بلا ريب ومجرد قوله & به لا يجعل الخطأ صحيحاً، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا المعصوم. والحجة هي قول المعصوم دون سواه.
والحمد لله رب العالمين.

نوم علي × بين النبي ' وعائشة

السؤال (٢١١):

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي..

السلام عليكم ورحمة الله..

أعتذر فإنني أعتبر نفسي متطفلاً على العلم..

لقد ورد في كتاب مختصر مفيد الجزء الثاني ص ٧٨ - ٨٠ تحت عنوان تشنيعات حاقدة السؤال رقم (١١١) .. وقد نقل السائل رواية عن كتاب: <الله ثم للتاريخ> نقلاً عن بحار الأنوار وقال فيها: إن النبي <كان يقوم من فراشه ويضع إصبعه بيني وبين عائشة>.

لكننا نرى أن لا وجود لهذا الكلام في الرواية بل إن الذي ورد في كتاب البحار وغيره من المصادر هو:

<فإذا قام إلى صلاة الليل يحط بيده اللحاف من وسطه بيني وبين عائشة حتى يمس اللحاف الفراش الذي تحتنا>.

ثم أوردتم في مقام الجواب أنكم راجعتم كتاب البحار فوجدتم الحديث في موردين أحدهما في ج ٣٨ ص ٣١٤ والآخر في ج ٤٠ ص ٢ وكلاهما من طريق كتاب سليم بن قيس..

ولكن الرواية وردت في البحار في أكثر من موردين وعن غير طريق سليم فإن أحد طرق الرواية هو ابن شهر آشوب وهو لا يذكر أنه نقل ذلك عن سليم.. والروايات بالإضافة للذي ذكرتموه كالتالي:

١ - مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب ج ٢ ص ٥٩:

<وروي أنه سافر ، ومعه علي x وعائشة فكان النبي ينام

بينهما>.

(نفس الرواية في البحار وردت في ج ٣٨ ص ٢٩٧.
ومستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي ج ٧ ص ٣٨١).

٢ - بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ١٠١ ص ٤٩:
<برواية ابن أبي عياش عنه قال: سألت المقداد عن علي x، قال:
كنا نسافر مع رسول الله ' قبل أن يأمر نساءه بالحجاب وهو يخدم
رسول الله ' ليس له خادم غيره وكان لرسول الله ' لحاف ليس له
لحاف غيره ومعه عائشة فكان رسول الله ' ينام بين علي x
وعائشة ليس عليهم لحاف غيره فإذا قام رسول الله ' من الليل
يصلي حط بيده اللحاف من وسطه بينه وبين عائشة حتى يمس
اللحاف الفراش الذي تحتهم ويقوم رسول الله ' فيصلي>.

أما روايات سليم كما ورد في كتاب سليم هي على النحو
التالي:

١- كتاب سليم بن قيس - تحقيق محمد باقر الأنصاري
ص ٣٤٣: <دعاء رسول الله ' لعلي x أبان عن سليم، قال: سألت
المقداد عن علي x، قال: كنا نسافر مع رسول الله ' - وذلك قبل
أن يأمر نساءه بالحجاب - وهو يخدم رسول الله ' ليس له خادم
غيره، وكان لرسول الله ' لحاف ليس له لحاف غيره، ومعه
عائشة. فكان رسول الله ' ينام بين علي وعائشة ليس عليهم لحاف
غيره، فإذا قام رسول الله ' من الليل يصلي حط بيده اللحاف من

وسطه بينه وبين عائشة حتى يمس اللحاف الفراش الذي تحتهم، ويقوم رسول الله ' فيصلي. فأخذت علياً x الحمى ليلة فأسهرته، فسهر رسول الله ' لسهره، فبات ليلة مرة يصلي ومرة يأتي علياً x يسليه وينظر إليه حتى أصبح. فلما صلى بأصحابه الغداة قال: (اللهم اشف علياً وعافه، فإنه قد أسهرني مما به من الوجع). فعوفي، فكأنما أنشط من عقال ما به من علة>.

٢- كتاب سليم بن قيس- تحقيق محمد باقر الأنصاري ص ٤٢٢ و ص ٤٢٣: <أفضل منقبة له x من رسول الله ' قال: فأخبرني بأفضل منقبة لك من رسول الله '. قال x: نصبه إياي بغدير خم، فقام لي بالولاية من الله عز وجل بأمر الله تبارك وتعالى. وقوله (أنت مني بمنزلة هارون من موسى).

وسافرت مع رسول الله ' - وذلك قبل أن يأمر نساءه بالحجاب - وأنا أخدم رسول الله ' ليس له خادم غيري. وكان لرسول الله ' لحاف ليس له لحاف غيره..

ومعه عائشة، وكان رسول الله ' ينام بيني وبين عائشة ليس علينا ثلاثة لحاف غيره. وإذا قام رسول الله ' يصلي حط بيده اللحاف من وسطه بيني وبين عائشة ليمس اللحاف الفراش الذي تحتنا ويقوم رسول الله ' فيصلي. فأخذتني الحمى ليلة فأسهرتني، فسهر رسول الله ' لسهري. فبات ليلته بيني وبين مصلاه يصلي ما قدر له. ثم يأتيني فيسألني وينظر إلي. فلم يزل دأبه ذلك إلى أن

أصبح. فلما أصبح صلى بأصحابه الغداة ثم قال: (اللهم اشف علياً وعافه فإنه قد أسهرني الليلة لما به من الوجع)، فكانما نشطت من عقل ما بي قبله.. إلخ>.

(ونقل هذه الرواية الأخيرة أيضاً الشيخ الطبرسي في كتاب الإحتجاج ج ١ ص ٢٣١-٢٣٣ ومحمد محمديان في كتاب حياة أمير المؤمنين x عن لسانه ج ١ ص ٥٥).

ثم قلتم إن الحديث في كلا الموردين لا يملك السند الذي يجعله في عداد الأحاديث الصحيحة..

— لماذا اعتبرتم الحديث لا يملك السند بمستوى الأحاديث

الصحيحة؟

- هل لمجرد أنه روي هذا الحديث عن كتاب سليم اعتبرتم ذلك؟؟
- فإذا كان كذلك فإن هذا يتناقض مع ما ذكرتموه في كتاب <مأساة الزهراء> حول كتاب سليم.. حتى إنكم وجهتم الموارد التي كان من الممكن أن تكون مدخلاً للطعن في الكتاب؟؟
وقلتم هناك:

(ثانياً: كتاب سليم يعد من أوائل ما ألفه قدماء الأصحاب، وهو يعبر عن أصول وثوابت المذهب بصورة عامة، وقد تلقاه العلماء بالقبول والرضا، ولا نجد فيه أي أثر لهذا الخلط المزعوم، ولم يقدم لنا مدعيه أي مورد يصلح شاهداً على مدعاه، حيث لم يظهر لنا من هذا الخلط سوى دعواه ذلك). (مأساة الزهراء ص ١٤١).

وقلتم أيضاً:

(ثالثاً: إننا إذا رجعنا إلى كتاب سليم بن قيس، فلا نجد فيه إلا ما هو سليم وموافق للمذهب، وليس فيه ما يحتمل أن يكون غلوّاً في شأن الأئمة حتى على زعم من يرى ذكر بعض هذه المعجزات غلوّاً ومع هذا فإنك ترى في الكافي وغيره من كتب الشيعة أضعاف ما ورد في كتاب سليم ولا طريق لنا إلى رده). (مأساة الزهراء ص ١٤٢).

- إذا كان حال الرواية هو حال جميع الروايات في التصحيح والتضعيف كروايات الكافي وغيره فإن مجرد وجود الرواية في كتاب سليم لا يجعل الرواية ضعيفة سنداً..

وأول الكلام أن الرواية تخالف وتتنافى مع الأصل الاعتقادي في العصمة.. مع وجود توجيه أن ما فعله النبي ' هو العمل بمقتضى العصمة.. وإن ذلك يدل على عصمة أمير المؤمنين x..

ولماذا لا يصار إلى تعليل ما ورد في الرواية من أنه ' إذا قام إلى صلاة الليل يحط بيده اللحاف من وسطه بيني وبين عائشة حتى يمس اللحاف الفراش الذي تحتهم. وبذلك ينتفي المحذور.

ولماذا لا يقال إن ذلك كان في يوم بارد أو كان في مرض أمير المؤمنين علي x وكان ذلك لضرورة حينئذٍ..

إلا أن يقال إن المرض مرفوع والإمام x لا يمرض لأن النبي ' كان قد دعا له فمن حين دعائه ' لم يمرض..

ولكن يمكن أن يجاب أن هذا الحدث كان قبل دعاء النبي ' له بأن لا يصيبه لا مرض ولا برد ولا حر بدليل أن الرواية تصرح أن هذه الحادثة كانت قبل نزول الأمر بالحجاب؟ ولماذا لا يتم توجيه الرواية بأن ذلك كان قبل أن يأمر نساءه بالحجاب كما صرحت الروايات الواردة؟؟

ولماذا لا يكون النقض على أهل العامة بأنه قد ورد عندهم بأسانيد صحيحة أن رسول الله أدخل الزبير مع بعض نسائه تحت لحاف واحد وذلك للروايات الآتية؟:

١ - المستدرک - الحاكم النيسابوري ج ٣ ص ٣٦٤:
<حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا محمد بن سنان القزاز ثنا اسحاق بن ادريس ثنا محمد بن حازم ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن ابيه قال أرسلني رسول الله ' في غداة باردة فأتيته وهو مع بعض نسائه في لحافه فأدخلني في اللحاف فصرنا ثلاثة>.

(هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

٢ - كتاب السنة - عمرو بن أبي عاصم ص ٥٩٧: <١٣٩٤ -
ثنا محمد بن المثنى، ثنا إسحاق بن إدريس، ثنا أبو معاوية، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير قال: بعثني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حاجة في يوم بارد قال: فجئت ومعه بعض نسائه في لحافه. قال: فأدخلني في

لحافه>.

٣ - تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر ج ٨١ ص ٣٩٢ وص ٣٩٣: <أخبرنا أبو يعلى حمزة بن علي بن هبة الله أنا أبو القاسم بن أبي العلاء أنا أبو محمد بن أبي نصر أنا عمي أبو علي محمد بن القاسم أنا أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد القاضي أنا أبو موسى بن المثنى الزمن أنبأ إسحاق بن إدريس الأسواري أنا أبو معاوية الضرير ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال بعثني رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) في حاجة في يوم بارد فجئت ومعه بعض نسائه في لحاف فأدخلني في لحافه (صلى الله عليه [وآله] وسلم)>.

٤ - مجمع الزوائد - الهيثمي ج ٩ ص ١٥١: <وعن الزبير قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة باردة أو في غداة باردة فذهب ثم جئت ورسول الله صلى الله عليه وسلم معه بعض نسائه في لحاف فطرح على طرف ثوبه أو طرف الثوب>.

٥ - الكامل - عبد الله بن عدي ج ١ ص ٣٣٤: <حدثنا عبد الوهاب بن أبي عصمة وموسى بن هارون الثوري قالوا حدثنا محمد بن المثنى حدثنا إسحاق بن إدريس الإسواري حدثنا أبو معاوية الضرير حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة في يوم بارد فجئت ومعه بعض نسائه في لحاف فأدخلني

في لحافه>.

٦ - سبل الهدى والرشاد - الصالحى الشامى ج ٧ ص ٣٥٧:

<وروى ابن عدي عن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم بارد في حاجة، فجنّت، ومعه نسائه في لحاف، فأدخلني في لحافه>.

وعذراً على التناول أطلب منكم السماح..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وبعد..

فقد تلقيت رسالتك الكريمة، وسررت لاهتمامك بالشأن العلمي، أسأل الله تعالى أن يزيدك من فضله تأييداً وتسديداً ورعاية وتوفيقاً، إنه ولي قدير..

أخي الكريم..

إن رسالتك تتعلق بسؤال ورد عن موضوع كنت في وقت سابق قد آثرت أن أجيب عنه بطريقة تقطع الطريق أمام تداوله، وإشاعته، لأنني رأيت أن ذلك قد يسيء إلى مقام النبي ، ويجرنا إلى الحديث عن أمور غير لائقة به، وبالإمام علي صلوات الله

وسلامه عليهم أجمعين..

غير أنك أثرت الدخول في بعض التفاصيل، ولك أنت الخيار في ذلك، سلمك الله..

أخي الكريم..

لقد قرأت رسالتك، فوجدت فيها بعض ما يحتاج إلى بيان وتوضيح، أو إلى استدراك أو تصحيح.. وحيث إن المقام ليس مقام تطويل، ولا توجد رغبة في تقديم بحث شامل حول هذا الموضوع وأشباهه.. فلا بد من الاكتفاء بما يلي:

١- قد ذكرت سلمك الله: أن كتاب البحار قد روى الرواية أيضاً عن المناقب لابن شهر آشوب، وذلك في ج ٣٨ ص ٢٩٧ ومستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ٣٨١.

وأقول: إن رواية المناقب لم تذكر محل الشاهد الذي ينصبّ الاعتراض من أولئك الحاقدين عليه، وهو أن النبي '، كان يقوم وتبقى عائشة والإمام علي x، نائمين في فراش واحد، وتحت لحاف واحد، غير أن النبي '، كان يضع إصبعه بينهما!!.. كما زعموا!! قبحهم الله..

٢- قد ذكرت أن المجلسي قد أورد في البحار ج ١٠١ ص ٤٩ رواية أخرى عن ابن أبي عياش، وظاهر كلامك أنها غير روايات سليم..

ولكننا حين راجعنا كتاب البحار في نفس ذلك الجزء

والصفحة، وجدناه يصرح بأنه يروي ذلك عن سُلَيم بالذات، فيقول: <وجدت في كتاب سُلَيم بن قيس، برواية ابن أبي عياش عنه، قال: سألت المقداد عن علي الخ>.

ثم ساق الكلام كما ذكرت أنت - وقال في آخره: <أقول: تمام الكلام في باب أن علياً x أخص الناس بالرسول >..>.

ثم راجعنا كلامه في ذلك الباب، وهو في البحار ج٣٨ ص٣١٤ فوجدناه عين الكلام الذي نقلناه عنه، فهما حديث واحد.. وقد ذكره & في الموردين، منبهاً على اتحادهما بصراحة ووضوح..

وهذا معناه: أنه ليس في البحار حديث آخر سوى ما ذكرناه، وأن روايات البحار كلها عن سُلَيم، دون سواه.. وأن رواية واحدة لسليم قد نقلها في كتابه مرتين، لأجل مناسبة اقتضت ذلك.

٣- ثم إنك ذكرت أن الرواية موجودة أيضاً في كتاب سُلَيم بتحقيق محمد باقر الأنصاري. وحسب الطبعة التي في حوزتنا في ج٢ ص٨١٤ و٩٠٣ وأنها منقولة في الاحتجاج ج١ ص٣٦٩ حسب الطبعة التي في حوزتنا أيضاً..

ونقول:

إن هذا لا ربط له فيما نحن فيه، فإننا لم ننكر وجود الرواية في كلا الكتابين، ولا أشرنا إلى ذلك لا بالسلب ولا بالإيجاب، ولم نكن في وارد تتبع مصادر الرواية، بل كنا بصدد الرد على السؤال الذي وردنا..

غير أننا نشير هنا، إلى أن الاحتجاج أيضاً لم يروها بسند خاص به، بل نقلها هو الآخر أيضاً عن سُلَيْم بن قيس، فليست هذه في مقابل تلك، بل هي عيناها..

وكذلك الحال في إثبات الهداة ج ٢ ص ١٨٥، فإنه قد نقلها عن سُلَيْم أيضاً..

ونحن قد أشرنا ضمناً إلى رواية الاحتجاج حين قلنا: إن المجلسي قد ذكرها في البحار ج ٤٠ ص ٢.

إذ أن المجلسي إنما نقلها في هذا المورد عن الاحتجاج، فأغنانا ذلك عن التنصيص عليه..

٤- وأما قولنا: إن هذا الحديث لا يملك السند الصحيح، فلعلنا لم نوضح مقصودنا منه بالشكل الكافي، لأننا - كما قلنا - كنا نتوخي حسم الأمر، من دون تعرض للتفاصيل، ونقول هنا:

إن مرادنا أن إحدى الروایتين قد رواها سليم عن المقداد، ولم يكن المقداد حاضراً، ولا رأى نوم النبي، مع الإمام علي x، وعائشة، ولم يصرح بالسماع من أي منهم، فلعله نقل ذلك عن عائشة، أو عن غيرها..

وأما الرواية الأخرى التي نقلها في البحار، فهو إنما نقلها عن الاحتجاج، وقد ظننا: أنها رواية للاحتجاج نفسه، ومن المعلوم: أن صاحب الاحتجاج لا يذكر الأسانيد..

كما أننا لم نلتفت إلى أنه قد رواها عن سليم، أو أنه أخذها، أو

لم يأخذها من كتابه.. وقد أخطأنا التوفيق في ظننا هذا، فجزاك الله خيراً، لأنك قد نبهتنا إلى أمر كنا قد غفلنا عنه..

غير أننا نضيف هنا: أن صحة نسبة الكتاب إلى مؤلفه شيء.. وصحة الحديث الموجود فيه شيء آخر..

فالكافي هو للكليني جزماً، ولكن ذلك لا يعني الجزم بصدور جميع مضامينه عن الأئمة ٨.. إما لضعف بعض رجال الأسانيد.. وإما لخلل في مضمون الحديث نفسه.. أو لوجود معارض يسقط الحديث المذكور عن الاعتبار.. وقد يتحتم رد الحديث لمنافاته لما هو ثابت ومقطوع به، كالعصمة، أو نحو ذلك..

فإذا كان هذا الحديث قد رواه سليم في كتابه، وعلمنا بأن الكتاب هو لسليم جزماً، فذلك لا يعني صدور ذلك الحديث، أو سلامته من التحريف أو السقط.. بل لا بد بعد الفحص والتدقيق في وثيقة سليم، ووثيقة من يروي عنه سليم. ووثيقة من روى الكتاب عن سليم - لا بد لنا - بعد ذلك أن نثبت أن الحديث لا ينافي ما ثبت بالأدلة القطعية.. وإلا فلا بد من الحكم عليه بالسقوط كما قلنا..

وعن سليم نفسه، نقول: إن العلماء لا يرون أنه في دقته في النقل، وفي الوثيقة بمستوى الكليني، مثلاً.

وحتى لو كانا في مستوى واحد، فإنه إذا كان الحديث الذي يرويه هذا مخالفاً لأصل من أصول العقيدة كالعصمة مثلاً، فلا بد

من رده ورفضه، والحكم بوجود واسطة قد وقعت في الاشتباه، أو أنها كانت ضحية تزوير الآخرين أو غير ذلك..

والنتيجة هي أن الحديث الذي هو موضع البحث يبقى مشكوكاً فيه، لأكثر من سبب فهو:

١- لا ينسجم في ظاهره مع ما هو ثابت بالدليل القطعي، من النهي عن النوم في فراش واحد، وتحت لحاف واحد..

٢- وعلى هذا الأساس فإن النبي '، لا يمكن أن يفعل أمراً ممنوعاً عنه شرعاً، أو غير لائق..

٣- إن درجة أحاديث سليم في الاعتبار لا تصل إلى درجة روايات الكافي مثلاً، لأن رواية الكتاب المذكور إنما كانت بواسطة أبان بن أبي عياش الذي هو من العامة^(١).. - كما قيل -
ولسنا بصدد تحقيق ذلك..

فإذا عارضت روايته ما يرويه عدول وثقات الخاصة، في مثل الكافي، فإن روايته تسقط عن الاعتبار، أو تحمل على وقوع السقط أو الغلط فيها، أو نحو ذلك..

(١) هل نقل ابن أبي عياش لمثل كتاب سليم، الذي فيه إسقاط لأشياخه، يبقيه على عاميته؟! ولماذا يتورط بمثل هذه الورطة، وليس له غاية أو مصلحة؟! وهل وصل الإنصاف برواة العامة، إلى تحمل مثل روايات سليم؟!!! إننا لهذه المعطيات نشك في عاميته، أو ربما كان يتقي من جماعته، بأن كان شيعياً في الباطن..

وذلك، وإن كان لا يؤثر في أصل نسبة الكتاب إلى مؤلفه. ولكن يبقى للاحتتمالات في ما يرتبط بالدقة في النقل، وفيما يرتبط بأبان بن أبي عياش نفسه تأثيرها، في مقام التعارض مع أخبار عدول رواتنا رضوان الله عليهم..

٤- وبعد، فقد يمكن توجيه الرواية المذكورة - لو فرض صحتها وغضضنا النظر عن حقيقة أن أحداً لم يروها لنا غير سليم - بما يلي:

أولاً: إنه إذا كان النبي '، ينام في الوسط، بين الإمام علي x، وعائشة، فلا بد أن يكون له مكان يكفيه للتقلب على فراشه.. وسيكون الفصل بين الإمام علي x، وبين عائشة كبيراً، يجعل من اعتبار عائشة والإمام علي x، نائمين في فراش واحداً أمراً غير ظاهر.

ويدل على ذلك: أن الرواية تصرح بأن النبي '، كان يحط بيده اللحاف من وسطه بينه وبين عائشة، ليمس اللحاف الفراش الذي تحتها..

وبذلك يكون النهي عن النوم تحت لحاف واحد، ناظراً إلى صورة ما لو كانا قريبين من بعضهما، كما يكون حال المحارم مع بعضهم البعض، أو كما ينام من لا يكون بينهما حاجز..

ويشبه هذا ما هو شائع في البلدان الباردة في إيران، حيث إن وسيلتهم للتدفئة هي أنهم يعمدون إلى تغطية الجمر بالرماد، ويضعونه

تحت منضدة مرتفعة عنه وسط الغرفة، ويضعون فوقها لحافاً كبيراً، يغطي مساحة الغرفة تقريباً، ويمتد اللحاف لجميع أرجائها.

ثم هم يجلسون حول تلك المنضدة، ويلتحفون بذلك اللحاف؛ فلا يصدق على الجالسين أو النائمين في تلك الغرفة أنهم في لحاف واحد.. ليكون ذلك محرماً شرعاً!..

ثانياً: إن تلك الروايات قد صرحت بأن النبي '، كان يقوم من بينهما للصلاة، وهو إنما كان يصلي بالقرب منهما، في نفس ذلك المكان أيضاً، فلم يكن غائباً عنهما..

فظهر مما تقدم: أنه إذا كان ' قد حقق الفصل فيما بينهما بوضع اللحاف بيده، حتى يمس الفراش الذي تحتها، فيتحقق بذلك الفصل الشرعي، فإذا أضيف ذلك إلى وجود البعد الكافي بينهما، فلا يعود المورد مشمولاً للنهي الوارد عن النوم في فراش واحد، ولحاف واحد..

٥- وأما ما ذكرناه في كتابنا **«مأساة الزهراء»** عن كتاب سليم، فهو صحيح، لأنه قد جاء رداً على من يريد أن يسقط كل كتاب سليم عن الاعتبار، ولم نكن بصدد إثبات أن كتاب سليم صحيح بكل مضامينه، ليكون حاله عندنا كحال صحيح البخاري عند أهل السنة، فإن الفقرة الأولى المنقولة من ص ١٤١ إنما ذكرت أن هذا الكتاب هو من أوائل ما ألفه قدماء أصحابنا، وأنه يعبر عن أصول وثوابت المذهب (بصورة عامة) وهذا صحيح..

وأن العلماء قد تلقوه بالقبول والرضا، وهذا صحيح أيضاً..
ولكن ذلك لا يعني صحة سند جميع أحاديث الكتاب..
فهو ككتاب الكافي، الذي تلقاه العلماء بالقبول والرضا،
ولكنهم لا يصححون جميع أحاديثه..
وهو ليس فيه خلط يوجب سقوط أصل الكتاب عن الاعتبار..
وأما الفقرة الثانية والمنقولة من كتاب «مأساة الزهراء»
ص ١٤٢، فهي أيضاً تقول: إن ما في كتاب سليم موافق للمذهب،
فدعوى وجود ما فيه غلو في شأن الأئمة لا تصح.. والموارد
المذكورة فيه هي على حد ما ورد في الكافي وغيره من الكتب
المعتمدة عندنا..

٦- وأما أن القضية قد حدثت قبل نزول الحجاب، فلا أثر له
في رفع الإشكال الذي أوردوه، من وجود النهي عن النوم في
فراش واحد، وتحت لحاف واحد.. لأن المنع عن ذلك عام لما قبل
فرض الحجاب وما بعده..

٧- وأما ما نقلتموه عن عبد الله بن الزبير، وعن أبيه الزبير،
من أن النبي ' قد أدخله تحت اللحاف.. فلا يصح الإشكال به على
أهل السنة، لنفس السبب الذي ذكرناه في ما تقدم، حين تحدثنا عن
رواية المناقب، فإنه ' لم يترك الزبير مع زوجته ' وحدهما في
ذلك الفراش، ولم تتحدث الرواية عن أنه '، قد قام من بينهما
ووضع اللحاف بيده بينهما حتى لامس الفراش، لكي يرد

الإشكال..

هذا والسلام عليك أيها الأخ الكريم ورحمة الله وبركاته..

القسم السادس:

الإمام علي × ..
والسيدة الزهراء ÷ ..

هل للإمام علي x دور غير المبيت في الفراش؟!..

السؤال (٢١٢):

إنكم يا معشر الشيعة تتحدثون عن جهاد الإمام علي x، ومواقفه بصورة توحى بأن غيره لم يفعل شيئاً..

ونحن نقول لكم: إذا كان الإمام علي x قد جاهد بعد الهجرة، فإن أبا بكر قد كان إلى جانب الرسول ، في هذه الفترة، بمثابة الوزير المشير..

وأما قبل الهجرة في مكة، فإنه ليس للإمام علي x أي دور أو أثر يذكر سوى مبيته على الفراش ليلة الهجرة، فلماذا تضيعون جهاد أبي بكر في هذه الفترة التي دامت ثلاث عشرة سنة؟!..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

وبعد..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإن هذا الكلام غير مقبول لأكثر من سبب..

فأولاً: إن مبيت الإمام علي x، على فراش رسول الله ، لم يكن في ليلة الهجرة فقط، بل هو قد بدأ منذ حصار المشركين للنبي ، وبني هاشم في شعب أبي طالب، حيث كان أبو طالب ينيم رسول الله ، في موضعه المخصص له.. ثم إنه حين تهدأ الرجل، ويأمن العيون بقيمه، وينيم الإمام علياً x مكانه، حتى إذا ما حصل أمر من قبل المشركين، يستهدف حياة رسول الله ، فإنه يقع في الإمام علي x، وينجو الرسول ، من كيدهم..

وقد كان الإمام علي x، عالماً بأهداف هذا التدبير، راضياً به، كما دلت عليه الآثار..

أضف إلى ذلك: أن علياً كان هو الذي يأتي للهاشميين في الشعب بالطعام من بعض بيوت مكة، ويقول النص التاريخي: ولو ظفر به المشركون لقتلوه..

أضف إلى ما تقدم: أن الإمام علياً x، كان يجاهد المشركين في مكة أيضاً، حيث كانوا يغرون أولادهم برسول الله ، ليؤذوه، فكان الإمام علي x، يلحقهم، ويقضهم في وجوههم.. حتى لقد عرف فيهم بـ **<القضم>**.

هذا عدا عن أن لقاء أبي ذر برسول الله ، وإسلامه على يديه قد كان بتدبير من الإمام علي x، حيث كان قد نزل أبو ذر ضيفاً عليه صلوات الله وسلامه عليه لمدة ثلاثة أيام، وذلك حينما كان النبي ، في دار الأرقم.. وذلك يشير إلى نشاط غير عادي لأمير

المؤمنين x.. وإن لم يستطع تاريخ تلك الفترة أن يفصح لنا عن الشيء الكثير منه.. بل إن حال تاريخ الرسول ' نفسه في تلك الفترة هو ذلك، فكيف بتاريخ من عداه؟!..

ثانياً: أما أبو بكر، فلم نجد له في مكة، أي تاريخ أو أثر يذكر في جهاد ولا في تضحية، سوى ما يذكرونه من إسلام بعضهم على يديه، وما يذكرونه أيضاً من محاولته للهجرة، ودعواهم أنه أول من اتخذ مسجداً يصلى فيه، وأنه كان يقرأ القرآن، فيجتمع الناس عليه لسماع صوته، والنظر إلى عتاقة وجمال وجهه..

ثم دعواهم: أنه كان حين بعثة النبي ' غائباً، وأن المشركين انتظروه وأنه صدق النبي '، فيما جاء به، أو فيما أخبر به في قضية المعراج..

وكل هذه الأمور قد أثبتنا بالأدلة القاطعة: أنها موضع شك وريب، بل لا شك في عدم صحة أكثرها، ويبقى الشك قائماً.. وهذا الشك يسري بقوة حتى إلى ما يدعونه من إسلامه المتقدم، فإنه - وكما يروي الطبري - قد أسلم بعد أكثر من خمسين، ويحتمل أن يكون ذلك بعد الهجرة إلى الحبشة، التي كانت في السنة الخامسة من البعثة، فراجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم '.. ج ٢ فصل: الدعوة في مراحلها الأولى..

فإن قيل: إن هذا من الأكاذيب أيضاً..

فإنه يقال: إن الذين رَووا ذلك هم علماء أهل السنة، فما

السبب في اختلاقهم أموراً كهذه في حق أئمتهم؟!..

ثالثاً: إن ما ذكره من موقعية ومقام أبي بكر بعد الهجرة، لا مجال لقبوله، فإن النبي ، لم يكن بحاجة إلى مشورة أحد، فإنه مسدد بالوحي..

وإذا ما طلب المشورة من المسلمين في بعض الموارد، فإن ذلك كان تألفاً لهم، ولمصالح مختلفة أخرى.. وليس لأجل الحاجة إلى رأيهم..

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

لا تعترضوا على أبي بكر

السؤال (٢١٣):

بسمه تعالى

السلام عليكم..

في رد لأحد المخالفين على أن أبا بكر كان يجهل حكم (الأب) قال ما فحواه: إن علياً لم يكن يعرف حكم (الوذي) - أو قال المذي - لا أذكر) فهما سواء..

فهل ورد خبر كهذا، سواء من مصادرنا، أو مصادرهم؟! وما هو حاله من حيث الإسناد والمتن؟! وما هو رأيكم الشريف في الموضوع؟! وهل هو مورد اتفاق بين أعلامنا؟! والسلام عليكم ورحمة الله.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

وبعد..

١- إن الذي كان يجهل معنى الأب هو عمر بن الخطاب وليس أبا بكر^(١)..

٢- بالنسبة للرواية التي تذكر أن الإمام علياً × لم يكن يعرف حكم المذي، نقول:

إن هذه الرواية قد رواها أهل السنة في كتبهم الحديثية. وليس لهم أن يستدلوا علينا بكتبهم خصوصاً فيما يتضمن الانتقاص من مقام أمير المؤمنين ×، وتعظيم منائيه، وغاصبي الإمامة منه..

٣- أما ما روي من ذلك من طرق أهل البيت ٨، مثل ما ورد في الإستبصار ج ١ ص ٩١ وفي تهذيب الأحكام ج ١ ص ١٧ وفي الوسائل ج ١ ص ٢٧٨ وفي البحار ج ٧٧ ص ٢٢٥.. فله جوابان: (أحدهما للعامة، والثاني للشيعة).

الأول: أن ذلك قد كان في حياة رسول الله، وليس لأهل السنة أن يمنعوا من تعلم الإمام علي × من النبي، في حال حياته، كما كان سائر

(١) راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٣٢٧ وجامع البيان للطبري ج ٣٠ ص ٥٩ وشعب الإيمان ج ٢ ص ٤٢٤ وغير ذلك، وقد ذكر له مصادر كثيرة في الغدير ج ٦ ص ١٤٤ ط مركز الغدير للدراسات الإسلامية - قم - إيران. فراجع.

الصحابة يتعلمون منه ‘.. فهو قد تعلم من رسول الله ‘ حتى أصبح x أعلم الأمة، كما أعلنه رسول الله ‘ في أكثر من مناسبة، ولم يستطع غيره أن يستفيد من وجود رسول الله ‘ في نبيل العلوم والمعارف، فاستحق الإمام علي x الأعلّم من كل الأمة، مقام الإمامة بعده ‘، وحرّم غيره ممن لم ينالوا تلك المراتب السامية في العلم وفي الشجاعة، وفي غير ذلك - حرّموا - من ذلك..

وقد علّم رسول الله ‘ الإمام علياً x ألف باب من العلم، يفتح له من كل باب ألف باب.. وأصبح باب مدينة علم الرسول ‘ فمن أراد المدينة فليأت الباب..

أما عمر فقد كان جاهلاً بالأحكام بعد رسول الله ‘ وأيام خلافته.

والثاني: أننا نعتقد: أن الإمام يتعامل مع الناس، حتى في مثل هذه الموارد بحسب الوسائل العادية، لا بما أعطاه الله إياه من خلال أهليته واستحقاقه للفيض الإلهي.. ولعل من أسباب ذلك هو أن يحفظ الناس من الغلو فيه، واعتقاد ألوهيته، أو ما إلى ذلك من اعتقادات باطلة. بالإضافة إلى حِكم أخرى ليس ههنا محل ذكرها..

وذلك معناه: أن على الإمام أن يسأل وأن يتعلم بحسب ظواهر الأمور، وأن لا يستعمل علم الإمامة في بعض الأحيان لمصالح يعلمها الله، وقد أوضحنا هذا الأمر في أكثر من إجابة..
والحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله..

الولاية والولاية

السؤال (٢١٤):

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة العلامة المجاهد المحقق السيد جعفر العاملي دام علاه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

لا أغالي إذا قلت إنني من القراء الشرهين لكل ما يصدر لك من بحوث قيمة أغنت، ولا زالت، المكتبة الإسلامية بكشف زوايا، كانت إلى وقت قريب، رهينة الغموض واللبس.

ولقد تابعت - وأعتقد أنك أيضاً - هذه الليالي ما ورد في قناة المستقلة من حوار حول طبيعة التشيع والتسنن، بين الرجل البغيض المسمى بالمنتصر (خذه الله) وبين بعض من ليس له بضاعة كافية في صناعة التحقيق والبحث العقائدي المقارن، من شيعة أهل البيت ٨، مع احترامي لهم جميعاً.

ورغم تسليمنا بهزلة ما ورد على لسان المنتصر ومن لف لفه من المتصلين، وعلمنا بأن من لديه أدنى إلمام بهذا الحقل قادر على أن يلقمهم حجراً.. إلا أنني أحببت أن أعرف رأيكم الكريم في نقطة وردت في الحوار، حول معنى الولي، إذ أن بعض المتصلين بالإضافة إلى المنتصر قال: إن هناك فرقاً بين الولاية - بجر الواو - والولاية - بنصبها - إذ أن منتهى إحداها المحبة، والنصرة، والصداقة.. بينما الأخرى بمعنى الإمامة..

ومن ثم حملوا ما جاء في حديث الغدير على هذا المعنى،
لذلك فأنا أحب أن أعرف رأيكم الكريم في هذه القضية..
جزاكم الله خير جزاء العاملين، الدابين عن حيض الحق، آمين رب العالمين..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله، وبعد..

فقد ذكر الراغب الأصفهاني: أن الولاية - بالكسر - هي
النصرة.. والولاية - بالفتح - هي تولي الأمر..
وقيل: الولاية والولاية، نحو الدلالة والدلالة. وحقيقته تولي
الأمر..

ولكن يظهر من كتب اللغة الأخرى ما لا ينسجم مع قول
الراغب هذا^(١)..

وفي جميع الأحوال نقول:

إن المراد بالولاية في حديث الغدير هو خصوص ولاية
الأمر.. وقد ذكر العلامة الأميني & في كتابه القيم: <الغدير>
قرائن كثيرة على أن هذا المعنى هو المتعين^(٢).
والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

(١) فراجع أقرب الموارد مادة ولي، وغيره..
(٢) راجع الغدير ج ١ ص ٦٤٠ - ٦٦٧ ط مركز
الغدير للدراسات الإسلامية، قم - إيران ط
سنة ١٤١٦ هـ. ق.

لماذا لم يتزوج الإمام x في حياة السيدة الزهراء ÷

السؤال (٢١٥):

بسمه تعالى، وله الحمد، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

ما السبب في أن أمير المؤمنين x لم يتزوج بأربع نساء في حياة السيدة الزهراء ÷ مع أن ذلك من المستحبات، ولم يكن الإمام علي x ليترك العمل بهذا الاستحباب؟!!

وهل هناك إشكال في زواجه x على السيدة الزهراء ÷، وأنها لا ترضى؟!!

ولماذا لا ترضى بما ذكره الله تعالى في القرآن، دون أن يستثني السيدة الزهراء ÷ منه؟!!

الجواب:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.. وبعد..

نقول: أولاً: إنه لم يثبت استحباب الزواج بأكثر من امرأة واحدة، بل ورد إباحة ذلك في القرآن، مع النصيحة بالتزام الزواج من واحدة في صورة الخوف من عدم التمكن من العدل بين النساء..

نعم، قد ورد في السنة الأمر بالتزوج بأكثر من واحدة لمعالجة حالة الفقر، أو نحو ذلك.. فالاستحباب المدعى يصبح

موضع شك، وبذلك لا يبقى موضوع للسؤال المذكور..

ثانياً: قد روى الشيخ الطوسي بسنده عن الإمام الصادق x قال: حرم الله النساء على الإمام علي x، ما دامت السيدة فاطمة ÷ حية.

قال: قلت: كيف؟! قال x: لأنها طاهرة لا تحيض.

ورواه غير الشيخ أيضاً من العامة والخاصة^(١).

ثالثاً: إن الآية القرآنية الشريفة تقول: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}^(٢).

فقد دلت هذه الآية المباركة على أن الهدف من الزواج هو تحقيق السكون، والرضا، وذلك من خلال التوحد والاتقاء ووجدان النفس لحقيقتها الكاملة، ليكونا معاً بمثابة نفس واحدة..

ومن الواضح: أن السيدة الزهراء ÷ حين تكون مع الإمام

(١) راجع: تهذيب الأحكام ج ٧ ص ٤٧٥ وراجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٦٤ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٣٠ والبحار ج ٤٣ ص ١٦ و ١٥٣ = = عنه، وعن أمالي الشيخ الطوسي ج ١ ص ٤٢ ومستدرک الوسائل ج ٢ ص ٤٢ وبشارة المصطفى ص ٣٠٦ وراجع: عوالم العلوم ج ١١ ص ٦٦ و ٣٨٧ وضياء العالمين (مخطوط) ج ٢ قسم ٢ ص ٧ ومجمع النورين ص ٢٣ وعن اللمعة البيضاء.

(٢) سورة الروم، الآية ٢١.

علي x، فإن الإمام علي x سوف لا يجد في نفسه أية حاجة إلى شيء آخر، لأن السيدة الزهراء ÷ هي الكمال كله.. فلا يبقى أي مبرر لتطلب شيء آخر. مادام أن السكون والرضا قد بلغ منتهاه، فما هو الداعي لأن يبحث الإمام علي x عن زوجة أخرى، ما دام أن تلك الزوجة لن يكون لها أي دور في حياته، ولا يوجد أي مجال للزيادة في حالة السكون، والرضا، والسعادة.

وربما لأجل هذه الخصوصية بالذات لم يتزوج النبي ' في حياة السيدة خديجة ÷ أية امرأة أخرى، لكنه تزوج بعدها بالعديد من النساء لأكثر من داع وسبب.

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين..

أيهما أحب إلى النبي ' ..

السيدة فاطمة ÷ أم الإمام علي x ..

السؤال (٢١٦):

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

عيدكم مبارك وكل عام وأنت بخير..

سماحة السيد حفظكم الله، لدي سؤال احتاج منكم إلى توضيحه إذا أمكن: أيهما أفضل عند رسول الله '، فاطمة ÷، أم الإمام علي x .. وسأكون شاكراً لكم.. في أمان الله.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإنه قد ورد في الحديث من طرق أهل السنة: أن النبي '، قال مخاطباً الإمام علي x: فاطمة أحب إلي منك، وأنت أعز عليّ منها^(١)..

وورد أيضاً: أنه ما كان أحب إليه '، من الرجال إلا الإمام علي x، ولا من النساء إلا السيدة فاطمة ÷^(٢)..

(١) مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٢ عن الطبراني في الأوسط، ونزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٢ والصواعق المحرقة ص ١٨٩ ط عبد اللطيف بمصر، ومنتهى كنز العمال <بهاشم مسند أحمد> ج ٥ ص ٩٧ وكنوز الحقائق ص ١٠٣ وينابيع المودة ص ١٨٠ و ١٩٦ وإسعاف الراغبين <بهاشم نور الأبصار> ص ١٨٩ وخصائص الإمام علي بن أبي طالب للنسائي ص ٣٧ ط التقدم بمصر، وأسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٢ وتذكرة الخواص ص ٣١٦ وكفاية الطالب ص ١٧٣ وذخائر العقبى ص ٢٧ ونظم درر السمطين ص ١٨٣ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٤١ ومقتل الحسين للخوارزمي ص ٦٨ والبحار ج ٣٧ ص ٨٥ وج ٤٣ ص ٣٨ عن أبي نعيم وغيره..

(٢) راجع: البحار ج ٤٣ ص ٣٨ وراجع ملحقات إحقاق الحق ج ٨ ص ٦٦٨ - ٦٧٨ وغيره، وج ١٥ ص ٥٣٨ - ٥٤٣.

وروي عنه ، أنه قال: علي أحب أهلي إلي^(١)..

وعن أبي ذر ما يدل على أن الإمام علي x أحب الناس إلى رسول الله ،^(٢).

وهناك ما يدل على أن السيدة فاطمة ÷ كانت أحب الخلق إليه أيضاً^(٣).

كما أنه ، قد دعا الله تعالى أن يأتيه بأحب الخلق إليه ليأكل معه من الطائر المشوي.. فجاء الإمام علي x.. والأحاديث الدالة على هذا الأمر كثيرة..
وبعدما تقدم نقول:

إنه لا ريب في أن الإمام علياً x، هو نفس رسول الله ، كما دلت عليه آية المباهلة، كما لا ريب في أن للنبوّة الخاتمة الفضل الأتم، والمقام الأعظم.. وللإمامة المتصلة بالنبوّة الخاتمة خصوصية في الفضل لا تصل إليها حتى إمامة النبي إبراهيم x، فضلاً عن إمامة غيره.

وهذا يعني: أن مقام الإمام علي x، هو الأعظم والأتم والأسمى من كل مقام لأنه نفس الرسول ، ولأجل خصوصية إمامته المتصلة بالنبوّة الخاتمة..

(١) راجع: ملحقات إحقاق الحق ج ١٥ ص ٥٣٤ — ٥٣٨.

(٢) المصدر السابق ج ١٥ ص ٥٣٨.

(٣) راجع المصدر السابق في مواضع مختلفة كما يظهر من الفهرس ص ١٥٨ و ١٥٩.

وكما أن مقتضى النبوة الخاتمة، والمؤهل لها قائم في ذات رسول الله ،، فكذا الحال بالنسبة لمقتضى الإمامة العظمى. فإنه قائم في ذات أمير المؤمنين x.

ومن جهة أخرى، فإن السيدة فاطمة ÷ أيضاً بضعة من رسول الله ،.. وبذلك كانت أفضل من جميع الأنبياء، وكانت حجة عليهم - كما ورد في بعض الروايات - ما عدا النبي محمد ،، وسوى الإمام علي x، ولذلك قال رسول الله : 'لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ آدم فمن دونه..'

ولكنها ليست أفضل من الإمام علي x، لأنها وإن كانت بضعة من الرسول ،، لكن الإمام علي x هو نفس الرسول ،.. وهو إمامها المفروض الطاعة عليها.. وهو أحب الخلق إلى الله كالرسول الأعظم ،، بلا ريب..

وخلاصة الأمر: أن النبي ،، يحب ما يحبه الله سبحانه.. وحين خلق الله صفوة الخلق فقد أحب هذه الصفوة وكرمها.. وهذه الصفوة هي ذلك النور الذي كان منه النبي ،، والإمام علي والسيدة فاطمة ،، وقد كانت السيدة فاطمة ÷ أحب الخلق إليه ، لأنها من ذلك النور والإمام علي x أيضاً، كان أحب الخلق إليه لأنه كذلك، وإن كان هذا النور حين تجلى في الإمام علي x، فإنه قد اكتسب خصوصية أخرى لها مزيته وفضلها الخاص بها.. وهي خصوصية الإمامة، لكن ذلك ليس هو محط نظر النبي ،، وهو

يعبر عن حبه للإمام علي وللسيدة فاطمة '.. وإذا كانت السيدة فاطمة الزهراء ÷ من ذلك النور وهي بضعة من الرسول '، وكان الإمام علي x كذلك وهو نفس الرسول '، فيكون قول الرسول '، إن السيدة فاطمة ÷ أحب الخلق إليه؛ لا يتنافى مع قوله: إن الإمام علي x أحب الخلق إليه، فإنه إنما يعني بذلك حبه لذلك النور الذي تجلى فيهما صلوات الله عليهما، بغض النظر عن خصوصية الإمامة العظمى التي تجلت في الإمام علي x..

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

القسم السابع:

الأئمة .. الشهداء ..

ما منا إلا مقتول أو مسموم

السؤال (٢١٧):

بسمه تعالى

ما مدى صحة الحديث الذي يقول ما معناه: إنه ليس أحد من أهل البيت ٨، إلا وقد مات شهيداً، إما بالسم أو بالسيف؟!...

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فقد وردت عدة روايات تفيد هذا المعنى، وبعض هذه الروايات معتبر من حيث السند، ونذكر منها ما يلي:

١- عن تميم القرشي، عن أبيه، عن أحمد بن علي الأنصاري، عن أبي الصلت الهروي، عن الإمام الرضا x في نفي قول من قال: إن الإمام الحسين x لم يقتل، ولكن شبّه لهم، قال x:

والله، لقد قتل الحسين x، وقتل من كان خيراً من الحسين،
أمير المؤمنين، والحسن بن علي، وما منا إلا مقتول، وإنني - والله
- لمقتول بالسم الخ^(١)..

٢- محمد بن موسى بن المتوكل، عن علي بن إبراهيم، عن
أبيه، عن أبي الصلت الهروي، قال: سمعت الإمام الرضا x
يقول: <والله، ما منا إلا مقتول شهيد>.
وليس في سند هذه الرواية إشكال^(٢).

٣- روى محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد، عن
الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمد، عن علي، عن أبي
بصير، عن أبي عبد الله x، قال:

سم رسول الله ' يوم خير، فتكلم اللحم، فقال: يا رسول الله '، إنني
مسموم.

قال: فقال النبي ' عند موته: اليوم قطعت مطاياي الأكلة التي
أكلت بخير، وما من نبي، ولا وصي إلا شهيد^(٣).

٤- قال الصدوق &: وفي حديث آخر: <.. وجميع الأئمة

(١) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٠٣ والبحار
ج ٤٩ ص ٢٨٥ وج ٢٧ ص ٢١٣.

(٢) راجع: البحار ج ٤٩ ص ٣٢٠ وج ٢٧ ص ٢٠٩
والأمالي للصدوق ص ١٢٠ ط سنة ١٤١٧ مؤسسة
البعثة - قم، وعيون أخبار الرضا ج ٢
ص ٢٥٦ ومن لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٣٥١.

(٣) بصائر الدرجات ص ٥٢٣.

الأحد عشر بعد النبي ' قتلوا، منهم بالسيف، وهو أمير المؤمنين، والحسين '. والباقون قتلوا بالسهم، قتل كل واحد منهم طاغية زمانه، وجرى ذلك عليهم على الحقيقة والصحة الخ.. > (١).

٥- روى الخزاز القمي: عن محمد بن وهبان البصري، عن داود بن الهيثم، عن إسحاق بن البهلول، عن طلحة بن زيد، عن الزبير بن باطا، عن عمير بن هاني، عن جنادة بن أميد: أن الإمام الحسن بن علي ' قال في مرضه الذي توفي فيه:

<والله، إنه لعهد عهده إلينا رسول الله: ' أن هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من ولد علي x وفاطمة ÷، ما منا إلا مسموم، أو مقتول الخ.. > (٢).

٦- قال الطبرسي &، وكذلك الإريلي &، وهما يتحدثان عن الإمام العسكري x: <ذهب كثير من أصحابنا إلى أنه x مضى مسموماً، وكذلك أبوه وجده، وجميع الأئمة ٨، خرجوا من الدنيا بالشهادة>.

واستدل القائلون بذلك بما روي عن الإمام الصادق x: والله،

(١) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٩٣ ط سنة ١٤٠٤ هـ مؤسسة الأعلمي - بيروت.

(٢) كفاية الأثر ص ٢٢٦ و ٢٢٧ والصراط المستقيم ج ٢ ص ١٢٨ والأنوار البهية ص ٣٢٢ ط سنة ١٤١٧ هـ والبحار ج ٢٧ ص ٣٦٤ وج ٤٤ ص ١٣٩.

ما منا إلا مقتول أو شهيد^(١).

٧- وروى الحسين بن محمد بن سعيد الخزاعي، عن عبد العزيز بن يحيى الجلودي، عن الجوهري، عن عتبة بن الضحاك، عن هشام بن محمد، عن أبيه، قال: خطب الإمام الحسن بن علي ' بعد قتل أبيه، فقال في خطبته:

<لقد حدثني حبيبي جدي رسول الله: ' أن الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من أهل بيته وصفوته، ما منا إلا مقتول أو مسموم>^(٢)..

يضاف إلى ما تقدم: وجود نصوص روائية، وتاريخية، تتحدث عن كل إمام، وأنه قد مات بالسم أو القتل على يد طاغية زمانه، مع وجود محاذير كبيرة، وأخطار جسيمة تتهدد من يعلن هذا الأمر، لأن إظهاره ليس في مصلحة أولئك الحكام..

وبعد هذا.. فلا يصح نفي حصول هذا الأمر، أو استبعاده..

وقد ذكرنا بعض ما يتصل بهذا الأمر في إجابة لنا على سؤال سابق، فراجع كتاب مختصر مفيد ج ٣ ص ٩٨.

والحمد لله رب العالمين.

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ٤٣٠ ط سنة ١٣٨١ هـ
المطبعة العلمية - قم والأنوار البهية
ص ٣٢٢ وأعلام الوري ص ٣٦٧ ط سنة ١٣٩٠ هـ..
(٢) البحار ج ٢٧ ص ٢١٧ وكفاية الأثر ص ١٦٢
ومستدرک سفينة البحار ج ١ ص ١٦٤ ط سنة
١٤٠٩ هـ مؤسسة البعثة - إيران.

هل كربلاء مأساة

السؤال (٢١٨):

بسمه تعالى

هل كربلاء مأساة؟! أم هي إنجاز سياسي عظيم؟.. أم أنها مأساة وإنجاز معاً؟!!

إننا نسمع من خطباء المنبر الحسيني ما يوقعنا في حيرة من أمرنا في تفسير هذا الحدث بهذا، أو بذاك، أو بهما معاً..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإن ما ورد في السؤال من اختلاف النظرة، والتعاطي مع قضية كربلاء، صحيح بلا ريب، وليس هو موضع مؤاخذه في حد نفسه.. ولكن المؤاخذه إنما هي على الاقتصار والجمود عليه..

فهناك من يفهم كربلاء، على أنها قضية سياسية، تاريخية. ولا بد من تحليلها والتعاطي معها وفلسفتها من خلال هذه النظرة. ويصر على هذا المنحى، ويعتبره أنه هو الاتجاه العلمي، والفكري، والتاريخي، والسياسي، والعسكري. ويرى أنه لا بد أن يكون الارتباط بها بمقدار ما يستفيده الإنسان منها في هذا الاتجاه

بالذات..

وهناك من يتعاطى مع كربلاء من حيث هي شعائر، وعمل عبادي، والقيام بواجب الحزن والتحزن على المستشهدين فيها. وتعميق الارتباط بأهل البيت ٨ من خلال ذلك، ولأجل ذلك، فهو يقتصر على عنصر المأساة، في جميع حالاته ومظاهره، ثم على رعاية تلك العلاقة الإيمانية بأهل البيت ٨ وتعميقها..

ونقول:

إن مما لا شك فيه أن هذين الاتجاهين، أساسيان ومهمان جداً في وعينا لمأساة كربلاء، وليس من الخطأ الاهتمام بهما، والتركيز عليهما.. لكن الخطأ هو رؤية التنافي فيما بينهما، والتزام أحدهما، ورفض الآخر من جهة.. يضاف إليه خطأ آخر، وهو حصر كربلاء في خصوص هذين الاتجاهين من جهة أخرى..

والحقيقة هي أن علينا أن نفهم كربلاء على أنها هي الإسلام كله، بمختلف شؤونه ومجالاته، ولا يصح تحجيم كربلاء وحصرها في اتجاه خاص، أو في زاوية بعينها.. ففي كربلاء كل شيء مما تشتهيهِ أنفس طلاب الحقيقة، وتسعى إلى نيله عقول أهل الاستقامة على طريق الهدى.. إذ فيها:

العقيدة الإسلامية..

وفيهما الشريعة، في كثير من مجالاتها..

وفيها سياسات الإسلام..

وفيها مفاهيم القرآن..

وفيها تفسير، وتأويل آيات من كتاب الله..

وفيها شذى الإمامة، وعبق النبوة..

وفيها مهمات الأنبياء، وإنجازات الأوصياء، ومسؤولياتهم
وصلاحياتهم..

وفيها تجليات علوم الأئمة، ودرجات عصمتهم، وروائع
كراماتهم، وسائر مواصفاتهم..

في كربلاء تبنى الشخصية الإنسانية والإسلامية المتوازنة..
وفيها تصاغ المشاعر، والعواطف والأحاسيس، وتنشأ
وتتربى وتتكامل، ويميز فيها الخبيث من الطيب..

فيها النظرية السياسية، وفيها المفاهيم العقيدية..
وفيها الممارسة السياسية، والموقف العقائدي، والأخلاقي،
والديني، والإنساني..

وليست كربلاء مجرد حدث تاريخي، سياسي، عسكري، ولا
هي مجرد مأساة، لكي تنتهي حينما ننتهي من تقديم بعض
التحليلات التاريخية لأسبابها، ولما نشأ عنها، أو حينما ننتهي من
مراسم العزاء، أو حين نتوقف عن البكاء..

ولا هي مجرد نشاط سياسي، حتى إذا وقفنا على بعض

معطياته الفكرية، لا نعود بحاجة إليه..

كما أنها ليست مجرد ترف فكري، تنتهي مفاعيله، وتتحصر آثاره في حدود ما نرسم لها من آفاق وتصورات..

إن كربلاء الحسين إنما يجسدها الإمام الحسين x، الذي قال عنه النبي الأكرم : ' إن الحسين مصباح هدى، وسفينة نجاة..

إنه مصباح ينير الدرب للضالين والتائهين في مختلف مواضع التيه والضلال..

إن الإمام الحسين x هو النهج الذي تسلكه، والقاعدة التي تلتزم بها، لتصل من ثم إلى غاياتك، وتتلمس التفاصيل من خلال الضابطة والقاعدة التي تعيش آفاقها، وتستفيد من تجلياتها في كل موقع اشتملت عليه تلك الآفاق، ولا تغرق في التفاصيل لتضل عن القاعدة، فلا تجد نور الهداية لتستضيء به.

إننا نحتاج إلى الإمام الحسين x حاجتنا إلى النور في ظلمة الليل البهيم..

وذلك كله يجعلنا نفهم أن كربلاء ليست مجرد حدث مسجون في قمم التاريخ القديم، نهتم بالبحث عنه، ثم نودع نتائج بحثنا في بطون الكتب والأسفار، التي لا يلتفت أحد إليها، ويعبث بها غبار النسيان، ويضرُّ بها الهجران، إلا من بعض زيارات لبعض أساتذة التاريخ القديم في الحوزات الدينية، أو في الجامعات؛ لحاجة دراساتها الأكاديمية..

وربما يعطف عليها فريق من الناس ممن عرف عنهم أنهم يعيشون على هامش الحياة، لأنهم يريدون أن يعيشوا الزهو الفارغ من خلال ذكريات أمجاد الماضي، التي لم يكن لهم شرف صنعها، أو الإسهام فيها، ولا تحملوا عناء شيء مما نشأ عنها من آثار، وما لحقها من تبعات، أو ما فرضته من واجبات ومسؤوليات..

إن كربلاء - كما قلنا - ليست كذلك، بل هي الإكسير الذي يعيد صناعة الناس، ويجعل ترايبهم ذهباً، من خلال ما له من دور كبير في صناعة إنسانيتهم، وبناء مشاعرهم، وعواطفهم، وأحاسيسهم، وتعريفهم بحقائق دينهم..
والحمد لله رب العالمين.

هل البكاء على الإمام الحسين x

مأخوذ من غير المسلمين؟

السؤال (٢١٩):

بسمه تعالى

هل البكاء على الإمام الحسين x تقليد مأخوذ من غير المسلمين؟!..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإن البكاء حالة بشرية إنسانية تأخذ الإنسان حين يفقد عزيزاً، أو يتذكر فقد عزيز، أو حين يلتقي بحبيب، أو ما إلى ذلك.. والبشر كلهم، مؤمنهم وكافرهم، يبكون ويضحكون، ويفرحون ويحزنون، إذا وجدت أسباب الفرح والحزن.. فلا أظن أن السؤال هو عن هذا الأمر.

لكن قد يكون المقصود بالسؤال أن مراسم عاشوراء، بما فيها من مظاهر وأساليب تعبير، هل هي مأخوذة من هذا الفريق أو ذاك، أم لا؟!..

والجواب على تقدير أن يكون هذا هو المقصود، هو:

أولاً: إن ما يؤخذ من غير المسلمين.. إن كان يحمل معه مسحة عقيدية، أو أية دلالة على ضلالة أو انحراف، فهو مرفوض، ومدان جملة وتفصيلاً..

وأما إن كان أمراً عادياً، ومن وسائل التعبير التي لا لون لها، ولا طعم، ولا رائحة، إلا بحسب ما قد تضاف إليه، ويراد لها أن تدل عليه، ويمكن للبشر كلهم أن يتداولوها لاستخدامها في مقاصدهم، فلا شيء يمنع من استفادة المسلمين من مثل هذه الوسيلة أيضاً، تماماً كما يستفيدون في هذه الأيام من السيارة، والطائرة، ومن التليفون والراديو، وغير ذلك من وسائل..

فإذا كان أهل الضلال يستفيدون من التلفزيون كوسيلة إعلامية فعالة، فهل على المسلمين أن يتركوه، ويبحثوا عن وسائل يخترعونها هم أنفسهم دون سواهم؟!..

وإذا كان أهل الضلال يعبرون عن حزنهم بتتكيس أعلام الدولة، وبوضع إشارة سوداء على سياراتهم، أو على شاشات التلفزيون، ويعبرون عن شعورهم بالنصر، برسم علامة ٧ بواسطة إصبعي السبابة والوسطى، فهل يحرم على المسلمين التعبير عن ذلك بهذه الوسائل أيضاً؟!..

ثانياً: إن قولهم: إن بعض مراسم الحزن في عاشوراء مأخوذ من غير المسلمين هو محض ادعاء، لا شاهد له سوى الحدس والتخمين، والرجم بالغيب، الذي لا يغني من الحق شيئاً.. ودوافع إطلاق هذا النوع من الدعاوى هو التشنيع بالباطل، من منطلق تعصب مقيت، أو حقد بغيض..

ولو أراد أهل الحق معاملة هؤلاء الحاقدين بمنطقهم التشنيعي، الرامي إلى فضح الطرف الآخر وإسقاطه، بعيداً عن احتمالات الإقناع الهادئ.. لوجدوا الشواهد والأدلة الكثيرة جداً على تورطهم هم في كثير من القضايا، بالأخذ من أعداء الدين، ما ثبت بالدليل القطعي أن الدين منه براء.. ولكن أهل الحق يربأون بأنفسهم عن الهبوط بمستوى الحوار والنقاش إلى مستويات كهذه.. عصمنا الله من الزلل في القول وفي العمل، إنه ولي قدير..

والحمد لله رب العالمين.

هل البكاء على الشهداء ضعف؟!

السؤال (٢٢٠):

بسمه تعالى

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله.. وبعد..

فإن سؤالنا هو التالي:

ألا يمثل بكاء الإمام الحسين x على من قتل معه في كربلاء، وكذلك بكاء النبي الأعظم '، على حمزة، وجعفر، وعلى ولده إبراهيم.. و.. ألا يمثل ذلك حالة ضعف؟!..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإن البكاء حزناً على فقد عزيز، أو فرحاً بقاء حبيب، لهو من المزايا الإنسانية، ومن أدلة سلامتها واكتمالها، ومن مظاهر التوازن في ملكاتها، وحالاتها.. وآية يقظة المشاعر والأحاسيس فيها، فمن يبكي - بهذا الاعتبار - فهو إنسان..

وكلما كان الإنسان مؤمناً صافي الإيمان، كلما تجلت هذه العواطف النبيلة، وتلك الأحاسيس والمشاعر في شخصيته، وتبلورت في مواقفه، وظهرت في تعاطيه الطافح بالمعاني

الإنسانية مع القضايا المتصلة بهذا الجانب أو ذاك..

وهذا بالذات هو الذي يجعلنا نفهم بعمق كيف أن الأنبياء والأوصياء، في حين أنهم هم أشد الناس رهافة حس، ونبيل مشاعر، وتوهج عاطفة.. فإنهم أيضاً، أشد الناس التزاماً بالحق، وصلابة في الدفاع عنه..

واللافت هنا: أن تلك العاطفة، وهاتيك المشاعر والأحاسيس قد كانت من عوامل زيادة صلابة أولياء الله وأصفائه، ومن أسباب زيادة صمودهم وإصرارهم على حقهم، بدل أن تكون عامل ضعف، وتردد، وسبب تراجع واستسلام..

وهذا ما يفسر لنا كيف أن الإمام الحسين x، قد أثبت أنه من أشد الناس عاطفة ومحبة لولده، وذوي قرابته، وصحبه..

ولكن ذلك لم يمنعه من أن يسخو بهم في مواقع النضال والجهاد في سبيل الله، وفي سبيل المستضعفين.. فهو يبكيهم، ولكنه يصبر على أن يكونوا هم القرابين في سبيل الله تعالى..

ونداء الإمام الحسين x في يوم عاشوراء: ألا هل من ناصر ينصرنا، ألا هل من مغيث يغيثنا، ألا هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله .. لم يكن هذا النداء دليل ضعف واستسلام، ولا كان يطلب من الناس أن يأتوا إليه ليخلصوه من القتل، وينجو بنفسه..

بل كان نداء القوة، والإصرار على مواصلة الحرب، وكان الإعلان الواضح للناس كلهم: أنه لا يزال مصراً على موقفه،

مقتنعاً بمبادئه، وفيماً لدينه، حريصاً على القيام بواجبه الإلهي والإنساني، مهما كلفه ذلك من تضحيات..

إنه بكاء القوي، الذي لم يخضع لإرادة أعتى القوى، وأشدّها فتكاً وإجراماً، وإنما خضع لله، وحده، وتبتل إليه، ووهب له كل حياته وكل عزيز عليه..

والحمد لله رب العالمين.

الإمام المهدي # لم يرث الإمام العسكري x

السؤال (٢٢١):

بسمه تعالى

سيدي العزيز العلامة المحقق جعفر العاملي، دامت بركاتك..
السلام عليكم..

في إشكال وجّه من أحد النواصب، ومفاده: أن يرث الإمام الحسن العسكري قد أخذته زوجته وأخوه.. وعليه فلا حجة بقول الشيعة بوجود المهدي، حيث لو كان موجوداً لكان أولى بالإرث..
فما الجواب سيدي؟!..

وفي أي من المصادر أجد ذلك بالخصوص؟!..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

أولاً: إن حيازة الميراث إذا كانت بالقوة، وبالتوسل بالسلطان الجائر، والمعادي، والذي يسعى لإنكار وطمس أمر الإمام المهدي #، فإن ذلك لا يكون دليلاً على عدم وجود الإمام x..

خصوصاً، مع سعي هذا المستولي لتنصيب نفسه في مقام الإمامة، وتوسله لأجل ذلك بمختلف الأساليب غير المشروعة، وقد جرى على مخلفي الإمام العسكري x بسبب ذلك كل عظيم، من اعتقال، وحبس، وتهديد، وتصغير واستخفاف وذل..

ويتأكد ذلك إذا عرفنا من سيرة هذا المتغلب القاهر: أنه شريب خمر، ويقامر، ويلعب بالطنبور، وأنه ماجن، معلن بالفسق، وقد كان عيناً للسلطات.. وما إلى ذلك..

وكل ما ذكرناه قد صرحت به الروايات^(١)..

ثانياً: قد روي في كمال الدين: أن أم الإمام المهدي # قدمت من المدينة إلى سرّ من رأى فكانت لها أقاصيص يطول شرحها مع أخيه جعفر، من مطالبته إياها بميراثه، وسعايته بها إلى

(١) فراجع هذه الروايات التي تذكر ذلك أو تذكر بعضه في مثل كتاب: البحار ج ٥ ص ٣٢٧ - ٣٣٤ و ص ٢٢٨ - ٢٣٢ وج ٤٧ ص ٨ وراجع: كتاب إكمال الدين، والإرشاد للمفيد ص ٣٢٥ وإعلام الوري ص ٣٥٤ وتاريخ سامراء ج ٢ ص ٢٥٦ والاحتجاج ج ٢ ص ٢٧٩ والغيبة للطوسي ص ١٤٧ وغير ذلك..

السلطان، وكشف ما أمر الله عز وجل بستره، وادعت عند ذلك صقيل أنها حامل، فحملت إلى دار المعتمد الخ..> (١).

ثالثاً: قد ورد: أن جعفر بن علي تقدم للصلاة على أخيه < فلما هم بالتكبير خرج صبي بوجهه سمرة، بشعره قطط، بأسنانه تفليج، فحبذ رداء جعفر بن علي، وقال:

تأخر يا عم، فأنا أحق بالصلاة على أبي، فتأخر جعفر، وقد اربد وجهه، وتقدم الصبي فصلى عليه، ودفن إلى جانب قبر أبيه> (٢) ..

رابعاً: قال المفيد: < حاز جعفر على ظاهر تركة أبي محمد، واجتهد في القيام على الشيعة مقامه، فلم يقبل أحد منهم ذلك، ولا اعتقدوه فيه، فصار إلى سلطان الوقت يلتبس مرتبة أخيه، وبذل مالا جليلاً، وتقرب بكل ما ظن أنه يتقرب به، فلم ينتفع بشيء من ذلك> (٣) ..

ويوضح قوله: < حاز جعفر على ظاهر تركة أبي محمد> ما ورد في عيون المعجزات، حيث قال:

< ثم أمر أبو محمد والدته بالحج في سنة تسع وخمسين

(١) كمال الدين ج ٢ ص ١٤٩ - ١٥٠ والبحار ج ٥٠ ص ٣٣١.

(٢) البحار ج ٥٠ ص ٣٣٢ - ٣٣٣ عن كمال الدين ج ١ ص ١٥٠ - ١٥١.

(٣) البحار ج ٥٠ ص ٣٣٤ عن إرشاد المفيد ص ٣٢٥.

وماءتين، وعرفها ما يناله سنة ستين، ثم سلم الاسم الأعظم،
والمواريث، والسلاح، إلى القائم صاحب x > (١).

وذلك يشير إلى أن جعفر بن علي قد استولى على المال.. وقد
تقدم أن ذلك كان منه بالتوسل بالسلطان الجائر.. أما مواريث
الإمامة فقد سلمها الإمام إلى ولده القائم بعده..
والحمد لله رب العالمين.

إذن الحسين x لأصحابه بالانصراف..

سؤال (٢٢٢):

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الإمام الحسين x قال لأصحابه: أنتم في حل من بيعتي،
وهذا الليل فاتخذوه جملاً. فكيف أذن لهم بتركه؟! ولو أنهم تركوه،
هل كانوا معذورين بذلك?..

الجواب:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
وآله..

وبعد..

فإننا في مقام الإجابة على هذا السؤال، نقول:

لا يجوز لهم أن يتركوه، حتى لو أذن لهم. وذلك لأن
الموضوع لم يكن مجرد عقد وعهد بينهم وبينه، حتى إذا أحلهم

(١) البحار ج ٥٠ ص ٣٣٦ عن عيون المعجزات.

منه جاز لهم التخلي عنه.

وإذا كانوا يفهمون القضية بهذا النحو، فإنهم لا يستحقون مقام الشهادة مع الإمام الحسين x, ولو أنهم قتلوا معه في هذه الحالة فقد لا يكونون شهداء.

وما ذلك إلا لأن الحفاظ على الإمام، والدفاع عن الدين، والذب عنه، واجب عقلاً.. وشرعاً.. وليس ذلك من موارد العقود والتعهدات.. فلو أنهم لم يكونوا قد بايعوه، فإنه يجب عليهم المبادرة لنصره بمجرد سماعهم بقيامه، فإن إمامته لا تسقط بعدم البيعة له..

وقد كان شهداء كربلاء ملتفتين إلى هذه النقطة بالذات، كما يشير إليه ما قاله العباس x حين قطعت يمينه:

**والله إن قطعت يميني إني أحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين**

وأما السبب في أن الإمام الحسين x يحلهم من بيعته، فلعله هو أنه أراد أن يعرفهم، ويعرف كل الأجيال من بعده: أن الذين حاربوا معه حتى الاستشهاد، لم يفعلوا ذلك بدافع الوفاء بالبيعة، ومن حيث إنهم تخيلوا أنهم ملزمون بمقتضياتها. وقد كان هذا الفهم سائداً آنذ، حتى إن الأنصار قد اعتذروا عن أمر السقيفة بأن بيعتهم قد سبقت ولا مجال لنقضها..

مع أن من الواضح: أن البيعة للغاصب محرمة شرعاً.. ولا

تتعدد من الأساس. كما أن البيعة لا تلغي الأمر الإلهي، بل هي افتئات على النص. يضاف إلى ذلك أن بيعتهم للإمام علي x في يوم الغدير قد سبقت ولزمتهم..

نعود إلى القول إن الإمام الحسين x حين أعلن لأصحابه بإحلالهم من بيعته، فإنما أراد أن يعرف الأجيال كلها أنهم حاربوا معه لا لمجرد الوفاء بالبيعة، ولا التزاماً بمنطق العشائرية والقبلية، أو دفاعاً عن الرحم، أو خجلاً من التراجع عن الوعد أو غير ذلك..

وكذلك كان الحال بالنسبة لأهل بيته، فإنه قد أحلهم من بيعته أيضاً، فبإمكانهم اتخاذ القرار الذي يريدون، فليس لأحد منهم، ولا من غيرهم أن يتوهم أنهم يواجهون معه أي نوع من أنواع الضغوط، أو أنهم كانوا محرجين تجاهه من أي جهة فرض هذا الإحراج..

وإن أي قرار يتخذونه، فإنهم قادرون على تنفيذه، حتى لو كان قرارهم هو الانسحاب من المعركة.

وبذلك يكون x قد أوضح: أن الذين قتلوا معه كانوا قادرين على مغادرة ساحة المعركة، وذلك بالاستفادة من ستر الليل، وقد نبههم إلى هذا الساتر بقوله: هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملأ..

ومعنى هذا: أن المعركة لم تفرض عليهم، وأن الموت لم يكن هو الخيار الوحيد لهم، ولم يكونوا قد وقعوا في فخ لم يكونوا قد

حسبوا له حساباً، إذ لم يكونوا محاصرين إلى درجة أنهم لا يستطيعون التخلص من برائن الأعداء.

بل إن الإمام الحسين x نفسه كان قادراً أيضاً على الاستفادة من ظلمة الليل للاختفاء عن عيون الأعداء، فلا يقدرّون عليه بعد ذلك، تماماً كما كان العرب يفعلونه مع جيوش الفرس، حيث كانوا يواجهونها نهاراً، ثم إذا حل الظلام رحلوا إلى جهة مجهولة، ويستفيق الجيش في اليوم التالي فلا يجد أحداً في الساحة.. ولا يستطيع تحديد الجهة التي انطلقوا فيها، ولا مجال للبحث العشوائي عنهم في تلك الصحاري الصعبة، وغير المأمونة.. فكان يضطر للانكفاء، من دون أن يحقق أية نتيجة..

ونشير أخيراً: إلى أن هذا الموقف من الإمام الحسين x مع أصحابه من شأنه أن يزيد من بصيرتهم، وأن يرفع من درجة الإيمان والوعي لديهم، ويجعلهم أكثر تصلباً وحزمًا، وقوة، وشجاعة، وإقدامًا..

كما أنهم سينالون المثوبة على هذا الاختيار.

وفي جميع الأحوال نقول: إنه إذا ما قرر أحدهم الانسحاب من المعركة، فإن كربلاء والإمام الحسين x في غنى عنه، لأنه لو بقي وقتل في غير سبيل الدفاع عن الإمام x، وعن الدين فإنه سيكون قتيلاً، لا شهيداً..

ولا يريد الإمام الحسين x أن يغرر بأمثال هؤلاء، لأنه من لا

يحارب دفاعاً عن الإمام والإمامة وعن الدين فهو لا يملك
المؤهلات التي تجعله مستحقاً للاستشهاد في أقدس حرب، حيث
شهداؤها هم أفضل الشهداء، فإن لهذا المقام أهله.

فتصفية الحركة الحسينية ممن ليسوا في مستواها.. لا من حيث
الوعي، ولا من حيث الإيمان، والصفاء الروحي.. كان ضرورة لا
بد منها.

والسلام على الحسين. وعلى علي بن الحسين، وعلى أولاد
الحسين، وعلى أصحاب الحسين.
والحمد لله رب العالمين..

القسم الثامن:

من ههنا أتينا

كيف يحاوروننا

السؤال: (٢٢٣):

الرسالة الأولى:

بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة والسلام على سيدنا أبو القاسم محمد وعلى آله
الطيبين الطاهرين.

سماحة آية الله السيد جعفر مرتضى العاملي المحترم..

بداية إنني قرأت الحوارات الخاصة المنشورة في شبكة
الميزان الثقافية والتي دارت بخصوص مظلومية الزهراء ÷
ومناقشة ما حصل لها من أمور نعتقد بها نحن الشيعة.

سيدي بودي أن أوضح نقطة مهمة في هذا الصدد قبل إكمال
حديثي: إنني شخص لا أفهم من الدين نسبة عشر ما تفهمونه أنتم
وأمثالكم العلماء المصلحون وفي حقيقة الأمر كنت دائماً أتجنب
سماع ما يقوله محمد حسين فضل الله بسبب ما سمعت من
أصدقائي من أقاويله التي تتعرض للزهراء ÷، وكنت ابتعد عن

الناس الذين يحاولون الدفاع عنه أو التكلم بنفس المواضيع التي أسمعها.

وقد شدني ما رأيت من حوارات خاصة في الشبكة لمتابعة هذه الأقاويل والتهكمات وما كان منها والذي شجعتني من ردودكم على اقتناء الكتب التي تردون فيها على الشبهات مما جعلني اقتني كتب السيد محمد حسين فضل الله التي تشيرون إليها فرأيت إذ بي اشتريت ما يقارب أكثر من ٣٠ كتاباً، وأخذت أقرأها جميعاً مما أخذ مني الوقت الكثير والكثير ما يقارب أكثر من سنة بل إنني قرأتها أكثر من مرة وفي النهاية خرجت بالفائدة الكبيرة والعظيمة وأحب أن أشكركم كثيراً لما أعطيتني من الدافع لقراءة هذه الكتب وجميع ردودكم وجميع كتبكم وفي النهاية خرجت بهذه الفائدة التي أشكر الله عليها وأشكركم كثيراً.

الحقيقة أنني بعد قراءة كتبكم والردود المنشورة بالشبكة عرفت أن أفضل رجل موجود بعقله وعلمه هو السيد محمد حسين فضل الله وأنكم كنتم السبب المباشر والرئيسي لمعرفتي العظيمة التي اكتسبتها منكم وأنكم فتحتم أبواب المعرفة بهذا الرجل العالم والزاهد.

سماحة السيد أرجو أن لا تزعل مني فإنكم السبب الذي عرفني بهذا الرجل العالم علامة العصر سماحة السيد محمد حسين فضل الله وكل هذا من ردودكم التي إن قرأها طفل يفهم من ردودكم قيمة هذا العالم سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين

فضل الله وأشكركم كثيرا وكثيرا فمن ردودكم عرفتني بالسيد ومن كتبكم عرفت الحق وعرفت أن السيد محمد حسين فضل الله مظلوم، وفي النهاية أشكركم ألف وألف وألف شكر.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الأخ الكريم المتسمى بـ **يعقوب أكبر محمد علي.. المحترم**.

السلام عليك وعلى جميع من تحب ورحمة الله وبركاته.. **وبعد..**

فقد تلقيت رسالتك الكريمة بيد الشكر والامتنان، وقرأت فيها ما ذكرتموه من أنكم قرأتم الكتب التي أوصلتكم إلى الحق، وهو أن السيد محمد حسين مظلوم..

وأتوقع أن تكون قراءاتكم هذه قد شملت كتاب: **مأساة الزهراء** والردود عليه أيضاً، مثل:

كتاب: **«مأساة المأساة»**. وكتاب: **«جاء الحق»** الذي هو رد على كتاب **مأساة المأساة..**

وكتاب: **«مرجعية المرحلة وغبار التغيير»**.. وكتاب: **«حتى لا تكون فتنة»**، الذي هو رد عليه.

وكتاب: **«هوامش نقدية»**.. وكتاب: **«الفضيحة»** الذي هو رد

عليه..

وكتاب: <مراجعات في عصمة الأنبياء>.. وكتاب: <الأنبياء فوق الشبهات> الذي هو رد عليه.

كما وأتوقع: أن تكونوا قرأتم كتاب: <خلفيات كتاب مأساة الزهراء> بأجزائه الستة..

بل إنني أتوقع كذلك أن تكونوا قد قرأتم في كتب سماحة السيد محمد حسين فضل الله، تصريحاً باشتمال القرآن الكريم على خطأ نحوي لم يلتفت إليه الجيل الأول.. والتفتت إليه الأجيال اللاحقة، لكنها لم ترد إصلاحه، فبقي الناس يقرؤون الآية غلطاً طيلة مئات السنين، وإلى يومنا هذا..

وقرأتم في كتابه: نظرة إسلامية في حديث الغدير: كيف أن النبي ' قد بلغ الرسالة قبل نصب الإمام علي x للولاية، وأن النبي ' لم يستطع إكمال برنامجه العملي في الواقع الخارجي. فكان يحتاج إلى التفتيش عن من يساعده في ذلك، فلم يكن غير علي x..

ومعنى كلامه: أن ولاية الإمام علي x ليست جزءاً من الدين، بحيث يكمل الدين بها.. بل هو ' يحتاج إليه x ليكون مجرد مساعد في إكمال برنامجه العملي في مجال التطبيق الذي كان قد كمل، فولاية الإمام علي x، ليست جزءاً منه، ومعنى ذلك، أن لا يبقى لقوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ..} أي معنى.

وأتوقع أن تكونوا قد سمعتم قول سماحة السيد محمد حسين

إنه حين حرك النبي ، السيدة الزهراء ÷ برجله، فإنما أراد أن يعرفها بوجوب الاستيقاظ لصلاة الصبح، أو لكرهية النوم بين الطلوعين - على اختلاف أقواله - إذ قد تكون غير عارفة بهذا الحكم الشرعي.. أو لعلها قد غلبها النوم..

وأتوقع أخيراً.. وليس آخراً: أن تكونوا قد سمعتموه وهو يقول في صلاة الجمعة قبل حوالي شهرين.. إن الله سبحانه قد أمر نبيه في قضية المباهلة بأن يأتي بأية امرأة كانت من المسلمين، وبأي إنسان كان من الأبناء.. فاختار الرسول ، السيدة فاطمة ÷، من النساء، فلو اختار أية امرأة أخرى فلا مشكلة في ذلك.

وهو الذي اختار الحسنين ، فلو اختار أي إنسان غير هؤلاء لم تكن هناك مشكلة أيضاً، وكذلك الأمر بالنسبة لاختياره لأمر المؤمنين x، وأن من يقول غير هذا فهو جاهل باللغة العربية..

ومعنى قوله هذا: أن آية المباهلة لا تقصد الزهراء ÷، ولا الحسنين ، ولا الإمام علي x، ولم تنزل الآية فيهما أصلاً..
وأتوقع.. وأتوقع..

فبارك الله فيكم، وحياكم وبياكم على هذا الإنجاز العظيم، وهو أنكم وصلتم إلى الحق بعد البحث في عشرات المؤلفات، وبعد قراءتها أكثر من مرة كما ذكرتم.. ونحن نشد على أيديكم..

ونسأل الله سبحانه أن يحشركم مع سماحة السيد محمد حسين فضل الله في الآخرة دون سواه..

أخي الكريم..

لقد لفت نظري في رسالتك أمران، يؤسفني جداً أن تشتمل عليهما رسالتك الميمونة:

أحدهما: أنها قد تضمنت كذبة صريحة ما كنت أحب أن أراها في رسالتكم المذكورة التي وصلتني في أواخر شهر رمضان سنة ١٤٢٣ هـ .

وهي أنكم قد قلتم فيها: إن السبب في مبادرتكم إلى اقتناء كتب السيد محمد حسين فضل الله هو ردودنا التي قرأتموها في شبكة الميزان، وقلت: إنك اشتريت منها أكثر من ثلاثين كتاباً، وقلت بالحرف الواحد: <وأخذت أقرؤها جميعاً، مما أخذ مني الوقت الكثير والكثير مما يقارب أكثر من سنة بل إنني قرأتها أكثر من مرة، وفي النهاية خرجت بالفائدة الكبيرة والعظيمة.. الخ..>.

فكيف تكون قراءتكم للكتب قد استغرقت أكثر من سنة.. وأن ذلك قد كان بعد اطلاعكم على ما كتبناه في شبكة الميزان، مع العلم بأن أول مرة كتبت أنا في شبكة الميزان كانت بتاريخ: ١٤٢٢/١١/٢٠ .

وهذا يعني أن دخولنا إلى هذه الشبكة لم يمض عليه سنة حتى الآن.

الثاني: قولكم في رسالتكم المباركة عن شخصكم الكريم:

<إنني شخص لا أفهم من الدين نسبة عشر ما تفهمونه أنتم وأمثالكم العلماء المصلحون>.

ثم قولكم في نفس الرسالة: إن ردودنا على السيد محمد حسين فضل الله <لو قرأها طفل يفهم من ردودكم قيمة هذا العالم الخ>..>.

فإن كلامكم الأول معناه: أن الطفل يفهم أكثر من جنابكم الكريم بعشرة أضعاف، فإذا كان هذا هو مستواكم في الفهم، فكيف استطعتم فهم ما يفهمه الأطفال، فضلاً عما يفهمه العلماء المخلصون؟! ممن هم أفاض الرجال..

فضلاً عن مراجع الأمة بأجمعهم، ومنهم الآيات العظام:

الشهيد الشيخ علي الغروي..

السيد علي الخامنه إي..

الشيخ جواد التبريزي..

السيد علي السيستاني..

الشيخ فاضل اللكراني..

الشيخ محمد تقي بهجت..

الشيخ الوحيد الخراساني..

السيد محمد سعيد الحكيم..

السيد محمد تقي القمي..

الشهيد السيد محمد الصدر..

السيد مهدي المرعشي..

السيد كاظم المرعشي..

السيد محمد الشاهرودي..

السيد كاظم الحائري..

الشيخ النوري الهمداني..

السيد محمد باقر الشيرازي..

وغير هؤلاء من أعلام الأمة الأخيار وعلمائها الأبرار..

أخي الكريم..

أرجو أن لا تزعل مني لأجل هاتين الملاحظتين.. اللتين كانتا
في جملة الأسباب التي دعنتي للكتابة إليك ولفت نظرك، ورد
التحية لك.. حفظك الله ورعاك، وحشرك مع من تحب، والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته..

الرسالة الثانية

السؤال (٢٢٤):

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء
والمرسلين سيدنا ومولانا أبو القاسم محمد وعلى آله الطيبين
الطاهرين..

سماحة السيد جعفر مرتضى العاملي أعلى الله مقامه الجليل.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد فإني أحمد الله عز وجل، وأشكره على عطاياه
الجزيلة، ونعمه السابعة، وأشكركم جزيل الشكر والامتنان على
اهتمامكم الكريم بشخصنا الحقير وتفرغ أنفسكم للرد على خادمكم
الصغير، والحقيقة أنني كنت في غاية العجب إذ كيف بعالم جليل
مثلكم يفرغ وقته الثمين للرد عليّ أنا الحقير، فكانت لحظة لم أكن
أتخيلها بل لقد دخل الغرور في نفسي ولكن الحق يقال إنها طبعت
صورة جميلة لعلمائنا الأفاضل الذين لا يستكبرون على الناس
فكانت والله فرحة عامرة لي بأن أحظى بهذه المكرمة الغالية
منكم.

سماحة السيد الجليل: إنني ترددت كثيراً وكثيراً في الكتابة
إليكم فكنت قد آثرت أن لا أرد ولكن ما ورد في رسالتكم الكريمة
جعلني أفكر وأصر على الرد لعلني أريح نفسي المضطربة من
عذابها فهي تارة يأخذ بها الغرور، وتارة يأخذها الغضب فقررت
الرد.

إنني إذ كنت كتبت رسالتي بخصوص سماحة السيد محمد
حسين فضل الله دام ظله فلقنا عتي مما قرأت منطلقاً من قول الله
عز وجل ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ

هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأَوَّلِيكَ هُمْ أَوَّلُو الْأَلْبَابِ^(١)، فتكونت لدي قناعة بما قرأت أحسن القول بعيداً عن التعصب والأخذ بالموروثات العقائدية عن الآباء والأجداد بل بقراءة بعيدة عن هذه المؤثرات وبعيداً عن الغرور الديني الذي يشلّ فكر صاحبه ويجمد عقله لكي يوفر له الأعذار والتبريرات لكل تقصير أو خطأ يصدر منه بل أؤكد لسماحتكم بأنني بعيد كل البعد عن الغرور بالمستوى العلمي فإنني أعترف أنني أحقر مرتبة من أقلّ إنسان يفك الخط ولكن هذا لا يعني أنني أنساق خلف كل قول أو رأي بدون دراسة فقضيتي قضية فكر وعلم وعقل واعتقاد وليس تعبد بالرأي مقابل النص بل هو الدليل إذا مال ملتّ معه حيثما يميل العقل السليم نحو الفكر الإسلامي بدون الأخذ بمعتقدات بالية و متصلبة أمام العقل المتفتح والنير.

سماحة السيد الجليل مما يحز في النفس أنكم أصدرت عليه حكماً باطلاً في بداية رسالتكم ولكن اسمح لي أن أخاطبكم بلغة القرآن حيث يقول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ^(٢)}.
 لماذا ظننتم بأنني متسمي بـيعقوب أكبر محمد فهذا الظن غير صحيح أولاً: إنني أحب أن أؤكد لكم بأنني لا أتسمى بأي اسم آخر غير اسمي الذي سماني إياه أبي رحمة الله عليه وهو يعقوب أكبر

(١) سورة الزمر، الآية ١٨.

(٢) سورة الحجرات، الآية ١٢.

محمد وهو فخر لي وهذه ليست من صفاتي أن اختبئ وراء أسماء أخرى، فهذه جناية في حقّي لا أرتضيها ولكن على العموم إنني أشكركم بأن نسبتم لي ما هو غير صحيح.

لقد ورد في رسالتكم الكريمة بعض الأقوال التي ذكرتها بأنها من أقوال سماحة السيد محمد حسين فضل الله دام ظله فأرجوكم مخلصاً اطلاعي على المصدر حتى أرجع لها، وما هو المقصود من الكلام فالرجاء لا تبخلوا علينا من علمكم الوافر ولكم منا جزيل الشكر والامتنان.

سماحة السيد الجليل أرجو منكم أن لا تزعلوا مني فيما ذكرت سابقاً وما سأذكره لاحقاً من الكلام قد يكون بصورة أو أخرى قاسياً بعض الشيء ولكني أقسم صادقاً أنني لا أقصد الإهانة أو التقليل من شأنكم والعياذ بالله ولكن لتوضيح الأمور فقط لا غير وإنني أعذر مسبقاً إن كانت بعض كلماتي لا تليق بمقامكم الكريم.

١- ذكرت في دعائكم لي سائلاً المولى عز وجل أن يحشرنا مع سماحة السيد محمد حسين فضل الله دام ظله في الآخرة دون سواه فإنني أشكركم على هذه الدعوة الطيبة والعظيمة وأرجو من الله أن يتقبلها وخصوصاً منكم كما أدعو أن يحشركم معنا إن كنت تحب ذلك أما إن كنت لا تحب هذه الدعوة فإنني أدعو الله أن يحشركم مع أعداء سماحة السيد محمد حسين فضل الله دام ظله

لأنني أعتقد أنكم لا تزعلون من هذه الدعوة حسب مفهوم كلامكم بأن سماحة السيد محمد حسين فضل الله دام ظله سيكون مثواه غير حميد حسب ما هو مفهوم من دعائكم أو ما هو ما بين السطور.

٢- قل لي كيف تقرأ آية الوضوء {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ} (١).

هل تقرأها بالجر أم بالنصب فإن قلت بالنصب فهذا يعني بأن وضوءكم باطل وإن قلت بالجر فهذا دليل صغير على خطأ نحوي في القراءة. والمذكورة في الآية بالنصب فعليه لم يخرج سماحة السيد محمد حسين فضل الله دام ظله بالجديد في قضية الخطأ النحوي فهذا على سبيل المثال ما أفهمه أنا الحقيير وأستغفر الله لي ولكم إن أخطأت.

٣- بالنسبة للكتب التي ذكرتها فإنني قرأتها كلها ماعدا كتاب الأنبياء فوق الشبهات وكتاب حتى لا تكون فتنة والأجزاء (٥ و ٦) من كتاب خلفيات مأساة الزهراء وكتاب نظرة إسلامية في حديث الغدير، والحقيقة أنني لم أسمع سماحة السيد محمد حسين فضل الله دام ظله يقول الكلام الذي ذكرته سماحتكم، فعليه لا يمكن أن أحكم عما ذكرتموه بخصوص قول سماحة السيد محمد حسين

فضل الله دام ظله حين حرك النبي ' السيدة الزهراء ÷ وكذلك بخصوص أن الله سبحانه قد أمر نبيه في قضية المباهلة، لذا لا أستطيع أولاً أن أحكم بأنه سماحته قال هذا الكلام وكذلك لا أستطيع أن أفسر هذا القول بناء على قراءتي وفهمي بل لابد من الرجوع إلى معنى القول لدى سماحة السيد محمد حسين فضل الله دام ظله وفهم المعنى الصحيح للقول فلا يمكنني أن آخذ التفسير الذي ذهبتم إليه فهذا غير منصف بحقكم وبحق سماحة السيد محمد حسين فضل الله دام ظله.

٤- سماحة السيد الجليل إنني ضاع قليلاً مما ورد في رسالتكم فتارة تقولون بأن السيد أخطأ وأخطأ في مرات عديدة وتارة تدعون لي فتقولون فبارك الله فيكم وحياكم وبياك على هذه الإنجاز العظيم وهو أنكم وصلتكم إلى الحق بعد البحث في عشرات المؤلفات وبعد قراءتها أكثر من مرة كما ذكرتم ونحن نشد على أيديكم ونسأل الله أن يحشركم مع سماحة السيد محمد حسين فضل الله دام ظله في الآخرة دون سواء أرجو أن تبينوا لي لماذا هذا التناقض الغريب إما أنكم تستهزئون بي وإما إنكم في حقيقة الأمر ترون أن سماحة السيد محمد حسين فضل الله دام ظله مظلوم فأين هو مقصدكم فإن كان قصدكم الاستهزاء بي فإنني لا أقول إلا سامحكم الله وغفر لي ولكم وإن كان قصدكم الثانية إذن لماذا لا تقرون بهذا وتكتفي من الردود والمغالطات بحق السيد.

٥- ذكرت في رسالتكم الكريمة أسماء العلماء الأفاضل مراجع الأمة فهل من الممكن أن تعرفني المقصد من ذلك فلا أرى أي داعي لذكرهم لكون رسالتي لم تشمل ذكرهم أعلى الله مقام الأحياء منهم وقدس سر الراحلين منهم حيث إنني لم أستند إلى قول أحدهم فالرجاء بيان السبب والحكمة من ذكرهم لعلي لم أفهم المغزى من ذلك لعلمي القليل بجانب علمكم الزاخر، فإن كان ذكرهم حاجة في نفس يعقوب أرجو بيانها ولكم منا جزيل الشكر والامتنان.

٦ - ذكرت أن رسالتي لكم تضمنت كذبة صريحة وهي بخصوص ما قرأت من الكتب، في الحقيقة إنني مستاء كثيراً من ردكم هذا حيث الواجب عليكم أن تحملوني على ٧٢ محمل طيب حسب قول مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه. كما ورد عنه بأن تحمل أخاك المؤمن على ٧٢ محمل طيب، ولكنكم وصفتوني بالكذب رأساً فهذه ليست من أخلاقكم الكريمة، دعني أوضح لكم أن في اللغة العربية يوجد ما يوصف بأسلوب المبالغة في الكلام فإنني إذ كنت قد استعملت أسلوب المبالغة فهذا لا يعني أنني كذاب بل الواجب عليكم التأكد قبل اتهامي بالكذب، كما أن كتابكم مأساة الزهراء وخلفيات مأساة الزهراء وكتب سماحة السيد محمد حسين فضل الله دام ظله الندوة من الجزء الأول وحتى السابع والكثير والكثير من الكتب مطبوعة قبل وجود منتدى شبكة الميزان والذي حركني لقراءة هذه الكتب

هي محاضرة ألقاها الشيخ فاضل المالكي في دولة الكويت بشأن ما ورد في كتابكم مأساة الزهراء مما ولد عندي الرغبة في قراءة كتابكم وكتب سماحة السيد محمد حسين فضل الله دام ظله ومن ثم قراءة الردود والإشكاليات التي ذكرت بحق سماحة السيد محمد حسين فضل الله دام ظله في المنتديات حتى اني دخلت منتدى شبكة الميزان وقرأت ردودكم ومن ثم دخلت موقعكم في الإنترنت وأخذت أقرأ أكثر فأكثر فهذه قصتي معكم مولاي فإن كنت قد بالغت في رسالتي أولاً فهذا لا يعني بأنني كذاب أرجو من الله أن يغفر لي ولكم.

٧- أما ما ذكرتم بخصوص علمي الحقير فإني أعترف بأنني أحقر إنسان في العلم ولكن لديه عقل يميز الحق من الباطل بناءً على ما تم ذكره في أمهات الكتب المعتمدة من أصناف كتبكم وكتب السادة العلماء الأفاضل فهذا ليس عيب بل مفخرة، أما أن تأخذ بمبدأ القياس فتأخذ كلامي في بداية الرسالة ومن ثم تلحقه بالوسط وتخرج بالنتيجة أن الطفل يفهم أكثر مني فهذا والله لا يمكن أن يصدر من عالم جليل مثلكم لأنه كما هو معروف إن مبدأ القياس لا يجوز عند الشيعة الإمامية بالله عليكم كيف تقيسون هذا القياس العجيب.

إن قراءة ألف وباء وتاء لا تحتاج إلى عالم كبير مثل سماحتكم بل تحتاج إلى عقل متفتح لديه الوقت الكافي للرجوع للعلم والاستفادة منه فنحن إن كنا لا نفهم نسبة عشر ما تفهمونه

أنتم وأمثالكم العلماء المصلحون فهذا ليس معناه أننا أطفال وإن كنا نفتخر بكوننا أطفال أمامكم أنتم العلماء، فالعلم والفهم ليس حكراً على أحد دون سواه فهذا الطفل المعجزة سيد حسين طباطبائي برز في العلم أكثر من الكثير من العلماء الذين أمضوا سنوات في الدراسة والبحث فهذا فخراً لنا نحن الأطفال، ويا ليت نكون أطفال بمستوى هذا الطفل المعجزة ومع هذا إننا لا نتعالى على الناس أبداً ولو بقيد أنملة.

سماحة السيد الجليل حفظه الله ورعاه أرجو أن لا تزعل من ردودي فإنني ما أردت إلا التعلم منكم والرد حسب عقلي الصغير وفي الختام أدعو الله أن يحشركم مع من تحب ولا يحشركم مع سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله دام ظله وأجداده الطيبين الطاهرين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خادمكم الحقير يعقوب أكبر محمد علي

الجواب:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

الأخ الكريم يعقوب أكبر محمد علي حفظك الله ورعاك.

السلام عليك ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فقد قرأت رسالتك الكريمة.. ووجدت أنك تساءلت عن عدة أمور وردت في إجابتي السابقة، مظهراً رغبتك في توضيح الحال فيها..

فها أنا أستجيب لرغبتك، فأقول، وأتوكل على خير مأمول ومسؤول..

١- بالنسبة للشك الذي تراءى لي في أن يكون اسمك الشريف حقيقياً أو غير حقيقي، فأنت تعلم: أن هذا الأمر شائع في عالم الإنترنت، فلا يعرف الاسم الحقيقي من الاسم المستخدم.

على أن الظن بأن تكون قد استخدمت اسماً آخر غير اسمك الحقيقي في مراسلتك، لا يعني الجزم والقطع بأن هذا الاسم ليس اسمك الحقيقي.. فلا معنى لأن تقول في رسالتك: <أشكركم بأن نسبتم لي ما هو غير صحيح>..

٢- أما بالنسبة لدعوتنا لك بأن يحشرك الله مع السيد محمد حسين فضل الله دون سواه، فقد كان سببها هو تأكيدك على أنك قد عرفت الحق. وذلك بعد البحث والتقصي، والقراءة الموسعة لما قيل ويقال حوله.

الأمر الذي يعني: أنك عارف بما تقدم عليه غير هياب بما ينتهي أمرك إليه..

وقد دعانا ذلك إلى أن دعونا لك بما تحب، فهل ندعو لك بما تكره؟!..

فهل لو أننا قلنا لك: نسأل الله سبحانه أن يحشرك مع من لا يرضون بأقوال وآراء السيد فضل الله، وينتقدونه، ويعلنون بإدانتته، وأنه مخطئ، هل ستكون راضياً؟

وهل ستكون راضياً لو قلنا لك: نسأل الله سبحانه أن يحشرك مع الشيخ التبريزي، أو مع الوحيد الخراساني، اللذين أفتيا في حقه بما تعلم.. بل لقد تضمنت فتوى آية الله العظمى التبريزي: <أن السيد محمد حسين ليس من الشيعة>..

لقد ظننا أنك لا ترضى بأن يحشرك الله مع هؤلاء.. ولذلك دعونا لك بما رأينا أنك تتمناه.. فما هو الضير في ذلك؟! وهل نكون بذلك قد ظلمناك؟!!

٣- لقد استوقفنا قولك في آخر الرسالة: <وفي الختام: أدعو الله أن يحشركم مع من تحب، ولا يحشركم مع سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله دام ظله، وأجداده الطيبين الطاهرين>..

وقد فهمنا ما ترمي إليه في كلمتك الأخيرة!!، فجازاك الله على نواياك..

٤- أما قولك إنك قرأت وتكونت لديك قناعة <بعيداً عن التعصب، والأخذ بالموروثات العقائدية عن الآباء والأجداد بل بقراءة بعيدة عن المؤثرات، وبعيداً عن الغرور الديني الذي يشل فكر صاحبه، لكي يوفر له الأعذار والتبريرات لكل تقصير، أو خطأ يصدر منه>..

ثم تذكر أنك مع الدليل حيثما مال تميل، <بدون الأخذ بمعتقدات بالية، ومتصلبة أمام العقل المنفتح والنير>..

فهو لا يحتاج إلى تعليق. غير أنني أسأل الله سبحانه: أن تكون بعيداً عن التعصب حقاً..

وأسأله أيضاً أن يهديك ويهدينا لأن نأخذ ونتمسك بالموروثات العقائدية عن الآباء والأجداد.. فإنك قد ورثت عنهم الاعتقاد بالتوحيد، وبالنبوة، وبالإمامة، وبالعصمة، وبالشفاعة، وبالبداء، وبالرجعة، وبالأمر بين الأمرين، وبالتنزيه، وبالمعاد، وبالجنة والنار، وبحساب القبر. إلى آخر ما هنالك من عقائد حقة وصحيحة وأصيلة، ورثتها عن الآباء والأجداد فهذه العقائد ليست بالية، ولا غير ذلك..

وأسأله سبحانه كذلك أن يبعدك ويبعدنا عن الغرور الذي يشل العقل، وأن يجعلنا نعتز بديننا، وأن نتصلب فيه، وأن نتهم عقولنا بأنها قاصرة عن إدراك حُجْم التشريع وعِلله.. فإن دين الله لا يصاب بالعقول النيرة المنفتحة، ولا بالمنغلفة المتحجرة.

وأسأل الله سبحانه أن يجمد عقولنا، ويمنعها من محاولة إثارة الشبهات حول حقائق الدين الثابتة بالأدلة القاطعة، مع العلم بأن المعتقدات الصحيحة لا تبلى.. والتصلب في الالتزام بالاعتقاد الصحيح واجب، وحفظ الموروث العقائدي لا بد منه ولا غنى عنه، إذا كان هذا الموروث قد تلقاه آباؤنا وأجدادنا يداً بيد، وكابراً عن كابر، حتى ينتهي الأمر إلى النبي الكريم، والأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين..

٥- أما السبب في أننا ذكرنا لك أسماء مراجع الأمة، فلا أظنه يخفى على أمثالك وقد قصدت بذلك أن ألقت نظرك إلى أن هؤلاء العلماء جميعاً قد أصدروا فتاوى مكتوبة تتعلق بالسيد محمد حسين فضل الله، وتدين أفكاره، وقد فهموا من كتبه خلاف ما فهمته أنت، ولم يروا أنه مظلوم فيما ينسب إليه، ولا أن أحداً منهم قد تجنى عليه في شيء عليه.. كما تراه أنت.

فهل كانت عقول هؤلاء المراجع قاصرة عن فهم ما فهمته أنت؟!...

أم أنك تقول: إن وراء الأكمة ما وراءها؟! فيما يتعلق بدينهم وتقواهم؟!...

أم أن عليك أنت أن تعيد النظر في صحة استنتاجاتك، وأن تتهم نفسك؟!...

٦- وأما حديثك عن الكذبة الصريحة التي وردت في رسالتك السابقة، فإنني أعيد فهمك الشريف عن أن تكون قد عجزت عن أن تلتفت إلى ما أردت لفت نظرك إليه.

ومع ذلك فأنا أعيد توضيح تلك الكذبة.. فأقول:

أولاً: قلت: إنك حين قرأت ردودنا في شبكة الميزان اشتريت كتب السيد فضل الله وقرأتها.. وأنت بقيت أكثر من سنة في قراءة تلك الكتب ثم كتبت رسالتك إلي.. مع أن الحقيقة هي:

أننا قد بدأنا في الدخول إلى تلك الشبكة بتاريخ:

١٤٢٢/١١/٢٠ للهجرة، ووصلتنا رسالتك في شهر رمضان سنة ١٤٢٣ للهجرة.

فمن تاريخ دخولنا على تلك الشبكة إلى حين ورود رسالتك إلينا، كان قد مضى عشرة أشهر فقط، مع أنك تقول: إن ردودنا في تلك الشبكة قد دفعتك لشراء الكتب والقراءة وأن القراءة قد استمرت أكثر من سنة، ثم بعثت إلي برسالتك المذكورة.. فكيف يمكن حلّ هذا الإشكال وإزالة هذه المفارقة الظاهرة من حيث المدة الزمنية؟!..

فإن كنت تعتذر عن ذلك بأنك قد بالغت في رسالتك السابقة، فالسؤال هو: كيف لي أن اعلم بذلك، ثم ما هو الداعي لك للمبالغة؟!..

وإن كنت قد تعمدت أن تقول خلاف الحق. فالسؤال هو نفسه أيضاً: ما هو الداعي لذلك..

ثانياً: إن رسالتك الثانية قد أوقعتنا في حيرة أعظم من سابقتها، حيث إنها تناقضت معها بشكل واضح ومثير، ولا تنفع دعوى المبالغة في دفع غائلة هذا التناقض الذي يحتم الحكم بعدم صحة أحد المتناقضين جزمًا، مع احتمال عدم صحتها معاً..

بيان ذلك: أنك قلت في رسالتك الأولى بأنك كنت تتجنب سماع ما يقوله السيد محمد حسين فضل الله، بسبب ما سمعته من أصدقائك من أقاويله التي تتعرض للسيدة الزهراء ÷، وكنت تبتعد

عن الناس الذين يحاولون الدفاع عنه، أو التكلم بنفس المواضيع التي تسمعها لكن ما ورد في شبكة الميزان من حوارات وتهكمات.. ومن ردود لنا فيها هو الذي شجعتك على اقتناء كتب السيد محمد حسين فضل الله، فدفعتك ذلك إلى شراء أكثر من ثلاثين كتاباً، وأخذت تقرؤها.. وأنتك قرأتها أكثر من مرة.. حتى مضى أكثر من سنة، ثم خرجت بالنتيجة التي تدعي، وهي أن السيد فضل الله محق، وأن ما قلناه عنه لا يقوله حتى الأطفال.. ثم شكرتني على قراءة ذلك كله، لأنني كنت أنا الدافع لذلك..

ولكنك الآن، وبعد أن أظهرنا الكذبة السابقة عدت فوقعت في كذبة أخرى، وذلك في رسالتك هذه التي تظهر فيها التظلم من تهمتنا إياك بالكذب.. وذلك لأنك قد عدت لتنقض كلامك السابق، وتقول: إن الذي حركك لقراءة الكتب هو محاضرة الشيخ المالكي التي كان قد ألقاها في الكويت..

فأنت تارة تقول: إنك قبل شبكة الميزان كنت تبتعد عن سماع الذين يتحدثون عن أمر السيد فضل الله، ولكنك حين قرأت ردودنا في شبكة الميزان وجدت الدافع للقراءة، فاشتريت الكتب حينئذ فقط..

فأي ذلك صحيح؟!.. وهل يدخل هذا الكلام أو ذاك في باب المبالغة؟!..

إن المبالغة هي أن تفخم وتضخم أمراً وتعطيه حجماً فوق حجمه.. وليست المبالغة هي أن تخبر بخبرين متناقضين..

وليس من المبالغة أيضاً أن تخبر بأن ما دعاك إلى القراءة قد دفعك لشراء الكتب ثم قرأتها بعد أن قرأت ما في شبكة الميزان من ردود لنا على السيد محمد حسين فضل الله..

بل هو إخبار بما لم يقع من الأساس.. أو بما وقع حقاً - حسب تناقضاتك في رسالتيك - وليس فيه تفخيم لأمر حاصل..

والعجيب والغريب هو أننا قد وجدنا أن جميع الذين قد ردوا علينا وحاولوا الدفاع عن هذا الرجل قد وقعوا بنفس هذا المحذور الذي وقعت فيه..

ولا ندري ما هو السبب في ذلك!!

والله في خلقه شؤون >وقد أشارت السيدة الزهراء ÷، إلى أمثال هؤلاء في بعض فقرات خطبتها>..

٧- أخى الكريم.. لقد ظهر من رسالتك أنك أزعتك النتيجة التي خرجت بها حول موضوع فهم الطفل.. ولكنني أحب أن أشير إلى أن من يتواضع في تحديد مقدار فهمه، لا بد أن يتواضع للمراجع أيضاً، وأن يقبل منهم، وأن يحتاط لدينه وهو يقرأ ما صدر عنهم، وهم أهل العلم والمعرفة والتقوى، والبصيرة في الدين..، فقد روي عنهم ٨: <أخوك دينك فاحتط لدينك>.

وبعد.. فإنني أسأل الله سبحانه أن يجعل فينا بعضاً من هذا المستوى من الحماس، لنلاحق حتى الاحتمالات في دفاعنا عن أنبيائنا وأئمتنا، وأن لا نرضى من أي كان أن يقول حتى الكلام

الذي تشتم منه أية رائحة كريهة في حقهم!!...

٨ - وأعظم مصيبة ترد علي وعلى كل مسلم أن نسمع أحداً ممن يقول: إنه من الموالين للإمام علي x وأهل بيته الطاهرين ٨ وهو يقر بوجود خطأ نحوي في القرآن الكريم..

والأدهى والأمر، والأشر، والأخطر، والأضر أن نجد نصيراً له، يستدل له بتوهم وجود خطأ آخر في نفس القرآن الكريم أيضاً.. وبذلك يتم إلقاء الشبهة حول معجزة رسول الله ' ..

لقد قلت في رسالتك: <إن قلتم بالنصب، فهذا يعني بأن وضوءكم باطل، وإن قلتم بالجر، فهذا دليل صغير على خطأ نحوي في القراءة. والمذكورة في الآية النصب>.

وبناء على ذلك، قلتم: إن السيد فضل الله لم يخرج بالجديد في قضية الخطأ النحوي..

وهذا القول منك شبيه بالمثل القائل: أراد أن يكحلها، فأعماها.

وفي جميع الأحوال أقول: إنك لم تبين لنا كيف أن قراءة النصب تجعل وضوءنا باطلاً؟!!

ولماذا لم تقل بما يقوله علماء العربية من أنها - أعني كلمة (وأرجلكم) - معطوفة على محل الرؤوس، لأن محلها النصب على المفعولية.

والغريب: أن هذا هو ما صرح به نفس ذلك الذي تدافع أنت

عنه، حيث قال في كتابه من وحي القرآن ج ٨ ص ٦٣: <وقول القائلين بالمسح أساسه: أن العطف قد يكون على المحل كما يكون على اللفظ، والمفروض أن <برؤوسكم> في محل النصب على المفعولية، فيكون العطف بالنصب عليها مبرراً بحسب القواعد العربية. كما أن هناك أكثر من قارئ قرأها بالنصب. مع ملاحظة أن العطف على الأيدي لا مبرر له من ناحية بلاغة التعبير القرآني وفصاحته..>.

وقال ص ٦٤: <وأما عطفها على <برؤوسكم> فيوجب المسح سواء قرئت بالجر، أو بالنصب>.

٩- وأما قولك: <لا أستطيع أن أفسر هذا القول بناء على قراءتي وفهمي، بل لا بد من الرجوع إلى معنى القول لدى سماحة السيد محمد حسين فضل الله دام ظله، وفهم المعنى الصحيح للقول.. فلا يمكنني أن آخذ التفسير الذي ذهبت إليه، فهذا غير منصف بحقكم وبحق سماحة السيد محمد حسين الخ..>.

فهو عجيب:

أولاً: إنك قد حكمت على وضوء أهل البيت ٨ وشيعتهم بالبطلان، لأن كلمة <وأرجلكم> بالنصب، وإن لم تكن كذلك فهناك خطأ صغير في القرآن..

وهذا معناه أنك فهمت كلام الله، ولم ترجع إلى أحد لتسأله عن معنى كلامه.. كما طلبت الرجوع إلى السيد محمد حسين لتسأله

عن مقاصده ومعاني كلامه.

ثانياً: كيف قرأت كتب العلماء كما قلت.. وأخذت منها أفكارك واعتقاداتك، وأنت لم تلتق بهم لتسألهم عن مقاصدهم؟!..
ثالثاً: لو أنك سألتهم عن مقاصدهم وأجابوك، فكيف تأخذ بما فهمته أنت من أجوبتهم، فلعل هناك معان أخرى قصدوها وهي غير ما فهمته؟!..

رابعاً: وحتى كلامي هذا الذي أخطبك به، ورسالتي السابقة التي أرسلتها إليك، لماذا لا تسألني عن معانيها، وعن مقاصدي من عباراتها؟!..

وحين أجيبك، كيف يمكنك أن تأخذ بما فهمته من كلامي، فلعل لي مقاصد أخرى أيضاً؟!..

خامساً: قد قلت: لا بد من الرجوع إلى معنى القول لدى سماحته..

فيرد سؤال: هل لسماحته لغة أخرى تختلف عن لغات البشر؟!..

أو هل يحق له أن يدخل في الألفاظ معان أخرى غير المعاني التي قررها أرباب اللغة لها؟!..

سادساً: لو أنك أخذت بالتفسير الذي ذهبت أنا إليه.. وفهمته وفقاً لضوابط الخطاب عن العرب، فلماذا لا يكون ذلك منصفاً بحقي؟! وهل إذا صدقتك أنا بما تقول: لا أكون منصفاً بحقك

أيضاً؟!

١٠- وأخيراً.. أحب أن أذكرك من جديد بأن أمر السيد محمد حسين فضل الله أوضح من الشمس، وأبين من الأمس..

فلا يصح صرف الوقت والعمر في مثل هذا الأمر بمقدار إلا ما يوجب تحصين الناس من الوقوع في الأخطاء التي وقع فيها..

ورحم الله امرءاً عرف حده فوقف عنده..

وبعد أن قال مراجع الأمة كلمتهم فيه، وهم من أهل الورع والتقوى، ومن أهل البصيرة في الدين، فلا بد من الرجوع إليهم، والأخذ عنهم، والقبول منهم، حفظهم الله، ومدّ في أعمارهم..

وكتابنا (مأساة الزهراء) وكتاب (خلفيات كتاب مأساة الزهراء) وسائر الكتب المشابهة قد تكفلت ببيان الحقيقة أيضاً، وفيها مقنع وكفاية لمن طلب الرشد والهداية..

وفي الختام، أرجو لك من الله التوفيق للحق، والتسديد في السعي إلى ما فيه رضا الله سبحانه، وأن يهدي قلبك إليه، ويفتح عينيك عليه..

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

القسم التاسع:

فقه

الاستنساخ البشري.. نظرة موضوعية

السؤال (٢٢٥):

ما هو موقف الإسلام من الاستنساخ البشري؟!..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله
الطاهرين.. وبعد..

فإن النظرة إلى الاستنساخ البشري تكون من زاويتين:

الأولى: أن ننظر إلى هذه العملية من زاوية كونها عملاً
مخبرياً، وأعمالاً وحركات تؤدي بالتالي من خلال التصرف
بالخلايا، أو ما إلى ذلك.. إلى إنتاج كائن بشري..

فإذا كان السؤال عن هذا الأمر، من هذه الزاوية، فربما لا
يرى الفقيه الراصد لهذا العمل الإنتاجي في مراحلته المختلفة، ما
يعتبره إخلالاً أو تجاوزاً للحدود الشرعية، ولا هو من موارد
انطباق أي من العناوين المحرمة عليه، كالقتل، والتعدي على

الكائنات الحية التي يريد الشارع أن يحفظها، أو غير ذلك..
كما أنه ليس من موارد الخيانة، أو الكذب أو غير ذلك مما
ثبتت حرمة الشرعية..

فلا يجد الفقيه في مثل هذا الجهد العملي، والممارسة الواقعية
أي مبرر للحكم بالحرمة الشرعية، أو أي مبرر للمنع القانوني..

الثانية: أن ننظر إلى هذا الأمر من زاوية انسجامه مع
السياسة الإلهية في إنشاء المجتمعات البشرية، وإرساء منطلقات
وركائز الشخصية الإنسانية القادرة على تحقيق الغايات الكبرى
من الخلق..

وربما يجد الفقيه أنها متناقضة مع ذلك كله، وأنها من أسباب
هدم البناء العام للمجتمع الإنساني، وتدمير تلك الركائز الأساسية
في عمق الذات الإنسانية، الأمر الذي يحمل معه حتمية ضياع
الأهداف الكبرى من الخلق، وإسقاط كل جهود الأنبياء والأولياء،
ومن تبعهم واهتدى بهديهم من المصلحين والمخلصين..

إن أي فقيه إذا وجد نفسه أمام هذه الحقيقة، فإنه سيدرك: أن
كل الدلائل والشواهد متظافرة وقائمة ومشيرة إلى أن الله سبحانه
هو الله العالم الحكيم، المدبر، والروؤف الرحيم لا يرضى بالإقدام
على مثل هذا الأمر، ولا بد أن يمنع منه، وأن يعاقب عليه..

ولبيان هذه الحقيقة نقول:

إن الله سبحانه وتعالى قد أجرى - وهو المدبر الحكيم - في

هذا الكون سنناً، وجعل له نظاماً يمكّن الإنسان من أن يخطط، ويسعى، ويسهم في إثارة كوامن الطبيعة من خلال بعث دفائن العقول وتجليات مواهب المعرفة..

أما العشوائية، فهي طريق السقوط ثم الاندثار، والفناء.. وهي السد المنيع أمام تفاعل الإنسان مع كل هذا الوجود، ولتذبل من ثم زهرة الحياة فيه، وتذوي وتتلاشى.

أما هذا الإنسان الطموح جداً، فإن الله سبحانه حين منحه فرصة التعاطي مع مفردات هذا الوجود، فإنه قد رسم له حدوداً، وألزمه بقيود من شأنها أن تحفظ مسيرة الحياة في خط الصحة والسلامة، واطراد التكامل الإيجابي، ونيل، أو فقل تحقيق الأهداف الإلهية السامية بعيداً عن أي استغلال غير مسؤول لما يتهيأ له من قدرات، من خلال استغلال المعرفة بنظمه ونواميسه.

وبعبارة أوضح وأصرح: إنه تعالى يريد لهذا الإنسان أن يصل إلى أهداف معينة، لا يمكنه الوصول إليها إلا من خلال الانطلاق من مواقع السلامة، والتزام نهج يرسمه هو له، وإلا فسيكون مصيره الدمار، والخيبة والبوار.

ولكن هذا الإنسان حين وجد فرصته هذه، ما فتى يحاول بإصرار أكيد التملص من كل القيود، والتنكر لكل الحدود، وقد جره إصراره هذا إلى الكثير من السقطات، بل والنكبات..

أما الحدود والقيود التي ألمحنا إليها، فإنها تنطلق من الخطة

التي تمكن من حفظ ونيل تلك الأهداف السامية.. هذه الخطة التي تتجلى في منظومة من التشريعات الإلهية الشاملة، التي جاءت وفق الحكمة، وعلى أساس الرحمة والعلم التام والشامل أيضاً..

وهذا بالذات هو ما يفرض التزاماً صارماً بتلك الحدود والقيود، التي تتلاءم مع منطلقات التشريع وشؤونه، وتتسجم مع طبيعته وحالاته، فلا تكون ثمة أية مفارقة بين أي من ذلك كله، صغرت أو كبرت؛ لأن ذلك إذا التقى مع تدني مستوى الالتزام بالتشريع، وبالأوامر والزواجر، وغابت الهيمنة على حركة الإنسان، فسيحدث أكثر من فجوة في البناء العام، فيكون الخلل الكبير والخطير، وتنشأ التعقيدات الكثيرة التي تكون سلبياتها مرفوضة من وجهة نظر الخالق العليم، والشارع الحكيم..

يضاف إلى ما تقدم:

أن من نافلة القول التذكير: بأن من هذه القيود والحدود ما جاء على شكل خطابات وبيانات، أعطت التوجيه المرتكز على التفصيل الصريح لخصوصية الحد، وموقعه، ومداه، تماماً كما هو الحال فيما دل على تحريم الخمر، أو الكذب، أو ما إلى ذلك..

ومنها ما جاء على شكل بيانات وخطابات إلهية تركز على عناوين ذات صفة عامة، قد تجد منطبقاتها في أكثر من مجال في الدائرة الأوسع والأشمل..

ولعل أبسط مثال نسوقه على ذلك هو النواهي والزواجر عن

عنوان الإفساد في الأرض، وتحريم الإخلال بنظام الحياة العامة.. ليسير ذلك جنباً إلى جنب مع الأوامر الصارمة بالعمل الصالح.. وبالعدل والإحسان.. وما إلى ذلك. وبديهي أن قرائح البشر قادرة على استنباط أساليب لا مجال لحصرها، سواء في مجالات الإصلاح، أم في مجالات الإفساد. ويبقى باب التجديد في كلا المجالين مفتوحاً ما دام هناك إنسان تدفعه طموحاته، وتدعوه شهواته إلى الإفساد، أو يفرض عليه وجدانه ونبله وكبرياؤه وتدعوه مبادئه وقيمه للإقدام وللإحجام عن كل ما له تأثير على نظام الحياة وفيه حسناً أو سوءاً فيقدم هنا ويحجم هناك.

ولعلنا بعد كل تلك التمهيدات أصبحنا قادرين على تلمس الموقع والقيمة الشرعية لموضوع الاستنساخ، الذي يسعى إنسان هذا القرن للوصول إليه.

حيث لا بد أن يدرس هذا الأمر في دائرة الصلاح والفساد، وعلى أساس حفظ النظام الإلهي العام، وعدم الإخلال فيه، والتزام حدود التشريع.. فيما يرتبط بسلامة الأهداف السامية، والانسجام مع السياسات الإلهية للبشر في حركتهم في هذه الحياة. وأن لا يتسبب ذلك بنشوء تعقيدات، وظهور خلل في مجالات الحياة المختلفة، مثل قضايا الإرث، أو الزواج، أو غير ذلك من أنواع العلاقات التي تفرض حقوقاً، أو تنشأ عنها إلزامات والتزامات إيمانية وشرعية.. خصوصاً حين نسمع عن اكتشاف هذا الإنسان

لجانب من خريطة الجينات الوراثية، الأمر الذي سيجعله قادراً على التلاعب بالشخصية المستنسخة حسبما يحلو له وكيفما يشاء. ولا يمكن الاستسلام في أمر خطير كهذا له مساس بالسياسة الإلهية للبشر، وله تأثيرات خطيرة في كل مسيرتهم، وفي كل حركة الإنسان وعلاقاته في الحياة.. بالإضافة إلى ما ينشأ عنه من تعقيدات مختلفة في مجال العلاقات والحقوق.

نعم، لا يمكن الاستسلام فيه إلى رؤية ساذجة ومحدودة، ولا تصح، ولا تجوز دراسته في دائرة طموحات بشرية، قد تكون مرفوضة في دائرة الحكمة الإلهية البالغة.

إضافة إلى ما تقدم نقول:

إن ملاحظة الآيات القرآنية توحى: أن الله تعالى قد تحدث عن أمر التوالد والتناسل على أنه هو الأساس الطبيعي لانطلاق الحياة، في نطاق نشوء سلسلة هامة وحساسة من المشاعر والأحاسيس والحالات، ومن النظم والعلاقات، والارتباطات المختلفة، حتى العاطفية منها. كما أن ذلك قد أصبح منشأ لحقوق وواجبات، اجتماعية وشرعية وغيرها.. تسهم في تأهيل الإنسان للسير في صراط السلامة، فيما يرتبط بنيل الأهداف الإلهية التي خلقت الحياة وكل هذا الوجود من أجلها، بعيداً عن منطق العبثية والعشوائية.

وقد نجد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تظهر هذه

الحقيقة، فهو تعالى يقول: {يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ} (١).

ويقول تعالى: {فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنَبِّينَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ} (٢).

ويقول تعالى: {أَلَمْ يَكْ نُطْفَةٍ مِنْ مَنِيِّ يَمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى} (٣).

وقال سبحانه: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ} (٤).

فلا مجال لاختيار الدخول في سياق التمرد على النظام العام، الذي رضىه الله سبحانه وتعالى، ليكون الأسلوب الأمثل في تكوين الأسرة والمجتمع الإنساني، وأساساً ترتكز عليه وإليه العلاقات البشرية، وينبثق منه التكوين الاجتماعي والنفسي والعاطفي وما إلى ذلك..

لأن هذا الاختيار يمثل إخلالاً صريحاً ولا أقل من أنه ظاهرة يشك كثيراً في جدواها، وصلاحياتها لأن تكون مرتكزاً وأساساً لانطلاقة الحياة بصورة صحيحة وسليمة.. خصوصاً ونحن نواجه

(١) سورة الزمر، الآية ٦.

(٢) سورة الحج، الآية ٥.

(٣) سورة القيامة، الآيات ٣٧-٣٩.

(٤) سورة الطارق، الآيات ٥ و٧.

تحدياً إبليسياً صريحاً يقول: {وَلَا مُرْتَهُمْ فَلْيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ} ^(١).

وقد أثبتت التجربة أن للأوامر الإبليسية دورها الكبير على أكثر الناس إلا من عصمهم الله بالإيمان والورع والتقوى، وما أقل هؤلاء، وما أشد ندرتهم..

وأخيراً.. فإن علينا أن لا نهمل الإشارة إلى حقيقة: أن طريقة خلق آدم وعيسى ' إنما اقتضاها واقع له خصوصياته المتميزة التي تمنع من اطراد هذا الأسلوب، بل هي تبقى في دائرة الخيار والاختيار الإلهي.. ولا يمكن، أو فقل لا نحرز أن يكون هو الأسلوب الذي فسح المجال للبشر أن يمارسوه بأمانة وجدارة.

ولذلك فهو لا يصح أساساً شرعياً لتبرير التصدي لممارسة الاستنساخ البشري، أو ممارسة أي أسلوب آخر حتى ما يسمى بطفل الأنبوب - إلا من خلال مبررات أخرى قادرة على إثبات الشرعية بوضوح - وأين؟ وأنى؟!

وخلاصة الأمر: إنه لا بد من التزام الحدود الشرعية، والقيود، والأحكام، والمناهج التي وضعها خالق الكون والحياة، وواضع نواميسها، من أجل حفظ الحياة، واطرادها في خط السلامة والصلاح للانتهاء بها إلى غاياتها وأهدافها النبيلة الكبرى، في تحقيق مضمون العبودية الحقيقية له تعالى. على أن يرافق ذلك حصانة كافية تمنع من نشوء أية سلبيات مرفوضة من الناحية التشريعية،

فإن ذلك كله يمثل الأساس الصحيح والقوي لأي موقف من محاولات ما يسمى، بالاستنساخ..

فما دام الأمر لا يبحث في ضمن هذه الدائرة، بل ينظر إليه من زوايا أخرى، بعيدة ونائية عن هذا المسار، ويتعامل معه وفق حسابات بشرية محدودة الرؤية مجهولة الآفاق، تستبطن في عمقها الراسخ طموحات ومآرب، وأهواء ومشارب محدودة.. وقاصرة ومريية أحياناً.. مع عدم الالتزام - ولو بالحد الأدنى - بالنهج الإلهي القويم، وعدم الوقوف عند حدوده، أو التقيد بقيوده. ومن دون أي سعي أو وعي لأهدافه الكبرى، الأمر الذي يشير إلى حقيقة التمرد على الأوامر والزواجر الإلهية، ويختزن في داخله عمق الجهل بالنظام الإلهي الأمثل، الذي لا يحق لأحد الإخلال به، ولا التعدي عليه.. هذا فضلاً عن الجهل الذريع بالأهداف والغايات..

نعم.. مادام الأمر كذلك، فلا يمكن لأحد أن يرضى.. أو أن يغض الطرف عن العبث بأقدس شيء وأغلاه. وحيث يضع البشرية في مواجهة خطر التصدع، والاختلال.. فإن هذا سيكون بلا شك أبشع الجرائم وأخطرهما.

عصمنا الله من الزلل في القول، وفي العمل، إنه ولي قدير.

١٥ شهر رمضان المبارك ١٤٢٢ هـ.

الموافق ١/١٢/٢٠٠١ م.

* * *

الموت السريري

السؤال (٢٢٦):

ما حكم ما يعرف بالموت السريري، المتمثل بموت الدماغ، مع أن القلب وسائر أجهزة الجسم، تبقى تعمل، وذلك بمعونة الأجهزة، فهل يجوز إيقاف الأجهزة في هذه الحالة؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

وبعد..

فإن الحكم بجواز إيقاف الأجهزة وإنهاء الحياة عن هذا الطريق في غاية الإشكال، لأن موت الدماغ لا يعني موت سائر أعضاء الجسم، فما لم نحرز الموت الحقيقي لجميعها، فلا مجال للحكم بالجواز.

ولا يحق لأحد حرمان شخص من أي نفس بقي له في هذه الحياة.

والإقدام على إنهاء حياة المريض، قد يصل إلى مستوى الجريمة في حقه، وليس ذلك من مفردات الرفق به، بل هو حرمان له من ثواب يناله بسبب شدائد المرض، أو من سبب تُكفّر به عنه بعض ذنوبه.

أضف إلى ذلك: أن حفظ هذا الخيط من الحياة له يُبقي الباب

مفتوحاً أمام إمكانية أن تدركه رحمة الله بعودته إلى الحياة بسبب دعاء مؤمن، أو صدقة تدفع القضاء وقد أبرم إبراماً، أو شفاعاً ولي من أولياء الله، يتوسل به أهل الصلاح من إخوانه وأرحامه.. وربما يشهد لبقاء درجة من الحياة فيه أن الأجهزة التي تساعد القلب على الاستمرار في عمله لا تستطيع المحافظة على إبقاء حركة القلب إلى ما لا نهاية. بل هي تتناقص تدريجياً تبعاً لضعف القلب نفسه، إلى أن تنتهي إلى درجة الصفر فتتوقف حينئذٍ.

ولذلك نلاحظ: أن نبضات القلب لا تنقطع بصورة تامة فجأة بالموت السريري، ولا يصير المريض بذلك كسائر الأموات الذين تأكد موتهم، والذين لا يستجيب قلبهم للأجهزة حتى لو وضعت عليه.. بل يُدعى في بعض حالات الموت السريري بقاء القلب يعمل لسنوات، وقد شوهدت حالات عودة إلى الحياة بعد ذلك أيضاً.

كما أنهم يقولون: إن حاسة السمع لا تموت بموت الدماغ، بل تبقى بعده، وهي آخر حواس الإنسان موتاً، ولهم شواهد على ذلك.

وعلى كل حال، فإن أحداً لا يستطيع الجزم بخروج الروح من الجسد بشكل كلي بمجرد موت الدماغ.

وتشير بعض الآيات الشريفة إلى الفرق بين وفاة الإنسان وبين

موته، قال تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى} (١).

فقد ورد في الآية ذكر للموت، وذكر للوفاة، والمراد بالموت واضح. أما الوفاة والتوفي فهو عبارة عن الأخذ التام، والاستيفاء لكل عناصر الحياة. مما يعني أن قبض الروح له مراتب، فإذا حصل ذلك بصورة تامة ومستوفية يتحقق الموت الكامل، ولأجل ذلك لم يقل الله سبحانه هنا: الله يميت الأنفس، بل قال: {يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا}.. والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله..

العقد الدائم على الكتابية

السؤال (٢٢٧):

بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

تحية طيبة مع بالغ الاحترام. سيدي العزيز أرجو من سماحتكم الإجابة عن سؤالي هذا لأنه في غاية الأهمية بالنسبة لي فيما يتعلق بديني ومذهبي.

سيدي إني سوف أتزوج من امرأة أجنبية (من أستراليا) وهي كتابية، وسوف أسافر معها إلى بلدها أستراليا. وسؤالي يكمن فيما

(١) سورة الزمر، الآية ٤٢.

يلي:

أولاً: إنها سوف تأتي لي هنا في الأردن حيث أسكن الآن. فكيف تكون صيغة العقد الشرعي؟ وهل يجوز العقد عليها وهي من أصحاب الكتاب، أقصد بقاءها على دينها؟ علماً أنها تحترم ديني جداً.

الجواب:

بسمه تعالى، وله الحمد، والصلاة والسلام على محمد وآله..

وبعد..

فإنها إذا أصرت على البقاء على دينها، فلا يجوز العقد بالدائم عليها. نعم يجوز العقد عليها إلى أجل، حتى ولو امتد إلى أربعين أو خمسين سنة.

فتقول هي لك: زوجتك نفسي على مهر (كذا) - عشرة دنانير مثلاً - لمدة خمسين سنة، فتقول لها أنت: قبلت.

الأكل من ذبائح أهل الكتاب

السؤال (٢٢٨):

ثانياً: إن سفري معها إلى أستراليا حيث سوف أعيش في منطقة لا يوجد فيها مسلمون، أو يوجد قلة قليلة، وهم بعيدون عني. فكيف يكون الأمر في ما يخص مسألة الطعام الشرعي (الذبح الإسلامي) أو مسألة المعاملة معهم؟

الجواب:

لا يجوز الأكل من ذبائح أهل الكتاب، لأنه يشترط في الذابح أن يكون مسلماً، وأن يفري الأوداج الأربعة، وأن يذكر اسم الله عليها، ولا يتحقق ذلك منهم.. أما سائر الأطعمة، فيجوز الأكل منها مع إحراز عدم مباشرتهم لها برطوبة - بناء على نجاسة أهل الكتاب - .

الإلزام بالحجاب**السؤال (٢٢٩):**

ثالثاً: إن المرأة اعتادت على عدم التحجب، أو عدم فهمها مسألة التحجب بحكم البيئة والثقافة التي في بلدها. فهل ألزمها جبراً على مسألة الحجاب؟ أم أضع الأمور تدريجياً؟

الجواب:

لا بد من استعمال الأسلوب المفيد في هدايتها إلى الدين الحق، ولو استلزم ذلك الصبر لبعض الوقت. ولا يجوز المبادرة إلى عمل يوجب نفرتها من الإسلام، ومع اليأس من هدايتها، فإن الأفضل أن لا يستولدها، حتى لا يتأثر بها أبناؤها.

مرافقة الزوجة إلى الكنيسة**السؤال (٢٣٠):**

رابعاً: وحسب الاتفاق هي تريد أن تبقى على دينها كمسيحية.

فهل يجوز الذهاب معها لأرافقها إلى الكنيسة أثناء تأدية صلاتها؟ وهل يجوز أن أدخلها إلى بعض المساجد مع المسلمات كي تتعرف بقرب عن الدين الإسلامي؟

الجواب:

إن دخول من كان من أهل الكتاب إلى المسجد لا يجوز، حتى لو كانت زوجة لمسلم، وأما دخولك أنت إلى الكنيسة، فإن كان يستلزم احتراماً لمقدساتها ولدينها، وتأييداً لهم، فلا يجوز..

لا بد من الرفق

السؤال (٢٣١):

خامساً: بخصوص الزي الإسلامي. أنا اتفقت معها بأن تلبس الملابس العريضة التي تحول دون إظهار جسدها في مجتمعها. وهي قبلت بهذا. ولكن تتردد من مسألة الحجاب. ما هو رأي سيادتكم بهذا الأمر؟.

الجواب:

لا بد من الرفق بها لتقبل الدخول في الإسلام، فإذا قبلت ذلك فإن المجال سيكون مفتوحاً أمام إقناعها بالحجاب، وسيكون ذلك أيسر إذا توفرت الأجواء الإيمانية المناسبة لها.

الأخلاق الرفيعة والاحترامات

السؤال (٢٣٢):

سادساً: إن هذه المرأة تملك من الأخلاق الرفيعة والاحترامات التي يفتقر لها وللأسف الكثير في مجتمعنا. والقصد أن هذه المرأة ممكن أن تهتدي إلى الإسلام ولكن بصورة تدريجية أثناء رحلة الحياة معها.

الجواب:

نرجو لك التوفيق في هذه المهمة التي سيكون لك فيها الأجر العظيم، فلأن يهدي الله بك نسمة خير لك مما طلعت عليه الشمس. حفظك الله ورعاك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته..

الجمع في الصلاة

السؤال (٢٣٣):

بسمه تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين.. أما بعد..

أود أن أستفسر من سماحتكم عن موضوع (الجمع في الصلاة) ..

فنحن الشيعة نجمع في الصلاة بين صلاتي الظهر والعصر،

وبين المغرب والعشاء، وقد سئلت من أحد الأخوة السنة عن ماهية الجمع في الصلاة، ولماذا لا نُؤديها في وقتها؟ وأنه لا يجوز الجمع في الصلاة، إلا إذا كنا على سفر!!

وأود أن أسأل: هل في الجمع نلغي المواقيت؟!

وقد سئل أحدهم: أنه في حال صلى الشخص صلاة المغرب ولم يجمع مع العشاء، وتوفاه الله بين الفرضين، فهل يحاسب على صلاة العشاء؟!

لذا أرجو من سماحتكم إيضاح هذا الأمر، مستدلاً بالأدلة والبراهين..

داعياً الله أن يوفقكم على فعل الخير لمصلحة هذه الأمة وهدايتها..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإن شيعة أهل البيت قد تعلموا من رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن الأئمة الطاهرين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أن زوال الشمس يؤذن بدخول وقت صلاتي الظهر والعصر معاً، إلا أن صلاة الظهر قبل صلاة العصر.

وقد روي عن الإمام الصادق x: <إذا زالت الشمس، فقد دخل وقت الصلاتين، إلا أن هذه قبل هذه> (١) ..

وروي عن الإمام الصادق x أيضاً، قوله: <إذا غربت الشمس، دخل وقت الصلاتين، إلا أن هذه قبل هذه> (٢) ..
وثمة حديث آخر عن الإمام الرضا x في ذلك (٣) ..

كما أن القرآن الكريم، قد حدد ثلاثة أوقات فقط، حين قال:

{أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} (٤) ..

ومعنى هذا هو أن صلاتي الظهر والعصر يشتركان في الوقت، وكذلك المغرب والعشاء، لكن يجب تقديم الظهر على العصر والمغرب على العشاء ..

كما أن الروايات متضافرة وكثيرة من طرق أهل السنة والشيعة في أن رسول الله صلى الله عليه وآله، قد جمع بين الصلاتين، من دون عذر ومن دون سفر، أو مطر.

فقد نقل أهل السنة عن ابن عباس: أن النبي ' جمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء بالمدينة من غير خوف ولا سفر

(١) الكافي ج ٣ ص ٢٧٦ وراجع: ص ٢٧٧ .

(٢) الكافي ج ٣ ص ٢٨١ .

(٣) راجع: الكافي ج ٣ ص ٢٨٢ .

(٤) سورة الإسراء الآية ٧٨ .

ولا مطر^(١).

وعلى هذا فإن كانت الأوقات خمسة، فلا يجوز تقديم صلاة العصر مثلاً على وقتها المقرر لها، إذ أن النبي '، يكون في هذه الحال قد صلى إحدى صلاتيه في غير وقتها.

فإن صلاة العصر، إما باطلة، أو يكون ' قد أسقط أصل التوقيت، أو يكون وقتها قد بدأ من حين زوال الشمس، لكن لا بد من تقديم الظهر عليها..

ولا شك في بطلان الأولين، فيبقى الثالث.. وهو عين ما يقول به شيعة أهل البيت ٨..

غاية الأمر: أن وقت فضيلة الظهر يمتد من حين الزوال إلى حين يصير ظل كل شيء مثله.. أما وقت فضيلة العصر وفيبدأ مع وقت فضيلة الظهر أيضاً، لكنه يمتد إلى أن يصير ظل كل شيء مثليه..

والحمد لله رب العالمين.

(١) سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٩٢، وراجع: مسند أحمد ج ١ ص ٢٢٣ و ص ٣٥٤، وصحيح مسلم ج ٢ ص ١٥٢، وسنن أبي داود ج ١ ص ٢٧٢ وسنن النسائي ج ١ ص ٢٩٠، والسنن الكبرى ج ٣ ص ١٦٧ وج ١ ص ٤٩١، وراجع تحفة الأحوذى ج ١ ص ٤٧٨، وراجع الموطأ ج ١ ص ١٤٤ ط دار احياء التراث العربي..

القسم العاشر:

قضايا.. وشخصيات

الاقتراء على المحقق الطوسي &

السؤال (٢٣٤):

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يدور في خلدي وكثير من المؤمنين ومن خلال ما يعرض في قناة <أبو ظبي> الفضائية مسلسل <هولاكو>.. يتعرض فيه المسلسل لشخصية الشيخ الطوسي بأنها خائنة للأمة الإسلامية وأنه وبسبب وقوفه مع هولاكو سقطت الدولة العباسية وأنه أساس تقدم ونجاح هولاكو في حملته..

أتقدم لكم بسؤالنا عن حقيقة موقف الشيخ الطوسي من الغزو المغولي لأرض المسلمين. ونميط عنا غيمة الشك والتضليل.. والسلام عليكم ورحمة الله.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله.. وبعد..

فإن مما لا شك فيه هو أن المغول قد ارتكبوا جرائم كثيرة وخطيرة في حق المسلمين والمستضعفين، وهم يقومون بحملاتهم ضد مناوئهم. كما أن ثمة مبررات للشك في بعض ما نسب إليهم من أعمال وتصرفات^(١).

غير أننا نقول: إن دخول المحقق الشيخ نصير الدين الطوسي & معهم قد أسهم في حفظ حياة علماء الإسلام، من أن تتعرض للكارثة وقد نجا بذلك ثلة كبيرة من المفكرين، والفلاسفة، والحكماء من الإبادة التي كانت تنتظرهم على يد الجيوش الغازية..

كما أن مما لا شك فيه: أن وجود نصير الدين الطوسي & في موقعه عند ملوكهم قد مهد الطريق لدخول أولئك الملوك، وغيرهم من أتباعهم في الإسلام، وأصبح أحفاد جنكيز خان حماة لهذا الدين، وملوكاً يحكمون باسم الإسلام، ويستظلون بظل راياته..

كما أن نصير الدين الطوسي & قد أنقذ التراث الإسلامي من أن تحقيق به الكارثة، وعمل على حفظه من التعرض للتلاشي والفناء على أيدي غزاة المغول..

وذلك لأن هولاء كان قد فوض لهذا الرجل أمر أوقاف البلاد، فقام بضبطها وصرفها على المدارس، والمعاهد العلمية،

(١) راجع إجابتنا رقم ٦٩ في الجزء الأول من كتاب: مختصر مفيد.

وجمع إليه العلماء، والفلاسفة، والحكماء من مختلف البلاد.. وأقام المرصد الكبير في مراغة بأذربيجان، وأسس مكتبة بجانبه يقال: إنها كانت تحتوي على أربعمئة ألف مجلد..

قال المستشرق روندلسن: < اقترح الطوسي في مراغة على هولاء أن القائد المنتصر يجب أن لا يقنع بالتخريب فقط، فأدرك المغولي المغزى، وخوله بناء مرصد عظيم على تل شمال مراغة >.

إلى أن قال:

< وجمع مكتبة عظيمة، ضم إليها ما نهب من الكتب في بغداد >^(١).

والذي يلاحظ أسماء العلماء الذين جمعهم الطوسي & لإنشاء وتسيير مرصد مراغة يجد أنه لم يأت بخصوص علماء أهل نحلته، بل كان معظمهم من المذاهب الإسلامية المختلفة، ومن مختلف البلاد والأقطار الإسلامية^(٢).

وقال بعضهم عن المحقق الطوسي &: برزت مظاهر عظمته في قدرته على أن يستحوذ بلباقته تدريجياً على عقل هولاء، وأن يروّض شارب الدماء، فيوجهه إلى إصلاح الأمور الاجتماعية، والثقافية، والفنية. وأن يجعل من هادم الحضارات بانيًا، يحتضن الحضارات، وينمي الثقافات.

(١) مجلة العرفان م٤٧ ج٤ ص٣٣٥ و٣٣٦.

(٢) راجع كتاب فلاسفة الشيعة ص٤٨٣ و٤٨٤.

وانتهى الأمر إلى أن يوفد هولاء (فخر الدين لقمان بن عبد الله المراغي) إلى البلاد العربية، ليحث العلماء الذي فروا بأنفسهم من العاصفة المغولية، ولجأوا إلى إربل، والموصل، والجزيرة، والشام، ويشوقهم إلى العودة. وأن يدعو علماء تلك البلاد أيضاً إلى الإقامة في مراغة.

وكان فخر الدين هذا رجلاً كَيِّساً، حسن التدبير، فاستطاع أن ينجز مهمته على أحسن وجه، فعاد العلماء إلى بلادهم.

كما أنه - أعني المحقق الطوسي - & قد قرر رواتب لطلاب المدارس والمعاهد بحسب أهميتها.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: عين الخواجة نصير الدين الطوسي & لكل من الفلاسفة ثلاثة دراهم يومياً، ولكل من الأطباء درهمين، ولكل من الفقهاء درهماً واحداً، ولكل من المحدثين نصف درهم. لذلك أقبل الناس على معاهد الفلسفة والطب، أكثر من إقبالهم على معاهد الفقه والحديث. بينما كانت العلوم من قبل تدرس سرّاً ومن دون أجر..

وقد لقيت دعوة هذا العالم الكبير، المحقق الطوسي & استجابة كبرى من علماء العرب وغيرهم، فلبوا دعوته، واجتمع هناك علماء من دمشق، والموصل، وقزوین، وتغلیس، وسائر البلاد الإسلامية.

وقال مؤيد الدين العرضي: فجمع العلماء إليه، وضم شملهم بوافر عطائه، وكان بهم أرأف من الوالد على ولده، فكنا في ظله

آمنين، وبرؤيته فرحين^(١)..

والغريب في الأمر: أن وشايات تلامذته عليه إلى هولاءكو قد غيرت هولاءكو عليه. وكانوا يسعون من وراء ذلك إلى الحلول محله عنده. والظاهر أن قطب الدين الشيرازي، محمود بن مسعود، وكذلك نجم الدين علي بن عمر المعروف بدبيران، صاحب متن الشمسية، قد كانا في جملة هؤلاء الحاسدين، الذين يقومون بالسعاية والوشاية به إلى هولاءكو حتى هدده بالقتل^(٢)..

وأما بالنسبة لسقوط بغداد في أيدي المغول.. وتحديد المسؤول عن ذلك، فقد نجد في النصوص: أن الخليفة وحاشيته هما السبب الأقوى في تحريك هولاءكو لمهاجمتها، وتصميمه على التخلص من الخليفة العباسي..

وقد كان بالإمكان تلافي هذا الأمر بتقديم بعض التنازلات، والكف عن بعض السياسات..

وقد كان مؤيد الدين ابن العلقمي يسعى في هذا الاتجاه، فلم يوفق لذلك، واتهم في نواياه، خصوصاً من قبل مؤلفي الحنابلة، والشاميين المتعصبين، الذين كانوا يبالغون في مثل هذه الأمور من منطلق التعصب الديني وغيره..

(١) راجع: مجلة العرفان ٤٧ ج ٤ ص ٣٣٠ — ٣٣٥.

(٢) راجع: روضات الجنات ط ٦١٠ الطبعة الحجرية.

وهم - في الأكثر - قد عاشوا في القرون التي تلت حادثة سقوط بغداد..

وقد أذكى حرصهم على ذلك.. أن عدداً من ملوك المغول اللاحقين، قد أعلن أنه يلتزم بمذهب التشيع.. ولهذا البحث مجال آخر..

وأما ما ورد في السؤال من أن وقوف المحقق الطوسي & مع هولاء كان هو السبب في سقوط الدولة العباسية. وأنه & كان أساس تقدم، ونجاح هولاء في حملته..

فلا أدري كيف يمكن قبوله، فقد كان لدى هولاء الجيوش القوية، والطامحة، والطامعة، التي لم تنغمس في الملذات، ولم تألف القصور، ولا خلدت لحياة الراحة والرفاهية. وكانت تعيش حالة النقشف، وقد اعتادت الحياة العسكرية، بما فيها من صعوبات، ومتاعب. الأمر الذي يجعل من تحملها للمشاق والمتاعب أمراً عادياً وطبيعياً..

فإذا وُجِدَتِ الدواعي والبواعث القوية، والطموحات الواسعة، ولا سيما إذا كان الهدف هو إسقاط خلافة العالم الإسلامي بأسره، فإن المشاعر ستكون لديهم أكثر التهاباً، وأشد عنفاً، وسيكونون أقوى تصميماً وأصلب إرادة..

فإذا قابلهم مجتمع يعيش حالة الخمول، والرضا بالواقع، والخلود إلى الراحة، والبحث عن اللذة الحاضرة، والنأي بالأنفس

عن كل تعب، وعناء، وأي خطر وبلاء..

بالإضافة إلى ما يعانيه ذلك المجتمع من تمزق وشتات، فإن روح التردد، والوهن، والضعف، والهروب، والخوف، والهزيمة، ستعين أولئك الغزاة الفاتحين على إنزال أقوى الضربات في خصومهم هؤلاء..

ولن يزيدهم وجود نصير الدين الطوسي & معهم قوة، ولن يكون له دور في إلحاق الهزيمة بدولة العباسيين ولا بغيرها، إذا كانت هذه هي الحالة القائمة في هذا الفريق، وفي ذلك الفريق..
ولسنا ندري ماذا يقصد السائل بكون المحقق الطوسي & هو أساس تقدم ونجاح هولاء في حملته!!..

ولماذا وكيف يكون للطوسي & هذا الأثر الذي يدّعونه؟
وهل ثمة من نصوص تثبت له أي دور في التحرير على فتح بغداد؟ أو أي رأي في التخطيط العسكري أو الإعلامي في هذا السبيل؟

أم أن ذلك مجرد تكهنات، لا قيمة لها في ميزان البحث العلمي النزيه والمنصف!!

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

المختار الثقافي

سؤال (٢٣٥):

بسم الله الرحمن الرحيم

ما رأيكم في المختار الثقفي.. خصوصاً مع ادعائه لمهدية محمد بن الحنفية، رحمه الله تعالى؟..

الجواب:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.. وبعد..

١- فيما يرتبط بادعائه مهدية محمد بن الحنفية، أقول:

إن ما بين أيدينا من نصوص لا يثبت ذلك عنه، ولا يبرر نسبة ذلك إليه.. فإنه إنما كتب إلى محمد بن الحنفية، يقول: أنت مهدي بحمد الله.

ولم يقل له: أنت المهدي.

والظاهر: أن نسبة الكيسانية إليه قد جاءت في وقت متأخر، وبطريقة الكيد الإعلامي الذي لاحقه أعداؤه من الأمويين والزيبريين بعد قتله..

٢- أعتقد أن المختار كان محباً لأهل البيت ٨، صادق الولاء لهم، مبغضاً لأعدائهم، وحائقاً عليهم.. وقد كان قتله لمرتكبي جرائم كربلاء عن إيمان وصدق، وحرص ظاهر، نابع من قناعة بهذا الأمر، ولم يكن ذلك بهدف الإعلام السياسي، كما هو ظاهر.. وقد ترحم عليه الإمام السجاد x فيما روي عنه صلوات الله وسلامه عليه..

٣- إن المختار كان يرى كيف أن ابن الزبير قد ملك الحجاز،

وهو معروف بلؤمه، وبغضه للإمام علي وآله ٨.. كما أن عبد الملك بن مروان المعروف بأبي ذبان. حيث كان يلتقط الذباب ويأكله.. قد ملك الشام ومصر وسواها..

ولا يرى لهؤلاء أي فضل أو امتياز عليه، لا في الفهم والوعي، ولا في الميزات والمواصفات، ولا في السياسة والتدبير. بل يرى لنفسه الفضل عليهم، فإذا كان أمثال هؤلاء يحكمون الناس، ويستبدون بأمور الأمة، فليس هو بأقل منهم، فلماذا لا يصيب مثل ما أصابوا، وينال من هذه الدنيا مثلما نالوا.

فتار عليهم، وملك العراق، وأظهر حسن سياسة وتدبير، وفهم للواقع الذي يتعامل معه، لولا أنه وقع في غلط فادح كانت فيه نهايته، وذلك حين استعان في بعض الوقائع بغير العرب القاطنين في الكوفة، فتركه العرب.. وتمكن منه أعداؤه بسبب ذلك.

٤- وبعد.. فإن المختار كان من جهة، في مواجهة الزبيريين، وقد كان الزبيريون حكام الحجاز، وكان من جهة أخرى في مواجهة الحكام الأمويين.. وقد استولى على العراق، وقتل من قدر عليه ممن شارك في قتل الإمام الحسين x في كربلاء، وهذا ذنب عظيم، لا يمكن أن يغفره له أي من هذين الفريقين.

وقد قدر له أن يواجه الفشل في حركته.. فلاحقه أعداؤه في كلا الجانبين بحملة إعلامية مسعورة، أدت إلى تشويه صورته، ونسبة العظائم إليه..

هذا وقد كان للتيار الزبيري دور هام في تكوين الفكر لدى غير الشيعة، وذلك على يد عروة بن الزبير، الذي كان يستفيد من موقع خالته عائشة، ونفوذها القوي.. ثم من قرابته من أبي بكر بصورة عامة.

٥- إن المختار نفسه قد ساعد - فيما يظهر - على إشاعة بعض الأخبار عنه، حيث كان يمارس مع أهل العراق - الذين عرف فيهم آنئذ السطحية والجهل - أساليب تؤدي إلى اتهامه بذلك، ومن شواهد سطحياتهم، ما يذكرونه من أن قاتل الإمام الحسين x يأتي إلى ابن زياد ويقول له:

إملاً ركابي فضة وذهباً إني قتلت السيد المحجبا
قتلت خير الناس أمأ وأباً وخيرهم إذ ينسبون نسباً

فقال له ابن زياد: إن كان الأمر كذلك فلم تقتله. وحرمه من الجائزة.

فكان يتوسل إلى التأثير عليهم، في طاعتهم له، وفي الاندفاع لحرب أعدائه بأمور يوهمهم أنها ترتبط بالرعاية الإلهية لهم، واللفظ الرباني بهم..

وكان يخرج لهم كرسيًا، زاعماً أن هذا الكرسي فيهم مثل تابوت السكينة الذي كان في بني إسرائيل..

فكانت هذه الحركات منه تؤثر في اندفاع الكثيرين لنصرته بكل حماس وشجاعة.. ويتفانون في طاعته..

ولكن ذلك قد شكل مادة مؤثرة في تشويه صورته، وفي نسبة العظائم إليه. وسهل على الناس تصديق ذلك فيه وعنه..

والحمد لله رب العالمين.

أبو ذر أصدق لهجة

سؤال (٢٣٦):

بسمه تعالى

قد ورد عن رسول الله ' قوله: ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء، ذا لهجة أصدق من أبي ذر.. أو نحو ذلك^(١).

وظاهر هذا القول هو العموم بحيث يشمل النبي ' والزهاء، وعلياً والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام، لا سيما وأنه أب عن التخصيص، بملاحظة إيراد الكلام على طريقة النفي والإثبات، وفي مقام بيان مقامه العظيم..

الجواب:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.. وبعد..

فإنه يمكن أن يجاب عن هذا السؤال بما يلي:

أولاً: إنه إذا كان صدق الخبر هو مطابقته للواقع، فإن من يكون صادقاً في جميع أخباره لا يمكن تفضيله على صادق آخر في جميع أخباره أيضاً، أما لو كان أحدهما قد كذب ولو في مورد واحد، فإن الآخر يكون أصدق منه، فالأصدق إنما تكون بلحاظ عدد أفراد الخبر حين تتطابق في الصدق أو لا تتطابق..

(١) راجع: البحار ج ١٠ ص ١٣٣ وج ٣٥ ص ٣٢٣
وج ١٥ ص ١٠٩ وج ٢٢ ص ٣٢٩ و ٣٩٨ و ٤١٧.

فإذا كان الإمام علي والسيدة فاطمة والإمامان الحسن والحسين^٨ صادقين في كل ما يخبرون به.. فإنه يتساوون في الصدق مع أبي زر &، الصادق في جميع أخباره أيضاً.. فيصح القول بأن السماء لم تظل والأرض لم تقل أصدق من أبي زر..

وإنما أراد الله ورسوله من إعطاء هذا الوسام العظيم لأبي زر، بيان أنه صادق في كل إخباراته.. حيث سيكذبه بعض الناس!! فتكذيب أبي زر في أي خبر يأتي به، يساوق تكذيب رسول الله .. وما أعظمها من جرأة، وكفى بها خزيًا لأهلها، نعوذ بالله، ونستجير به من هذا الخذلان العظيم..

ثانياً: إنه حتى لو فرض شمول هذه الكلمة بحسب ظاهرها لمثل الإمام علي والسيدة الزهراء والحسين^٨ بل وللنبي الأكرم .. فإن أدلة العصمة والطهارة لهم صلوات الله وسلامه عليهم، تخرجهم عنها، ليس على طريقة التخصيص من المراد الجدي لهذه الكلمة المباركة، وإن كان ذلك ممكناً ومقبولاً.. بل على سبيل التخصّص، من حيث إن هذه الأدلة على عصمتهم^٨، وأصدقيتهم كانت قائمة وحاضرة، فكل كلام يرد بعدها، فإنه يرد مخصصاً بها من حين إلقائه.. ولا ينعقد له عموم ولا إطلاق بحيث يكون شاملاً لموردها.. بل هو من قبيل ضيق فم الركبة (أي البئر) فإن المراد: أوجدّه حين حفرك له ضيقاً، وليس المراد ضيقُ الواسع منه..

ويدل على ذلك^(١): أنه قد قيل لأبي عبد الله x: أليس قال رسول الله ' في أبي ذر رحمة الله عليه بما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر > قال: بلى.

قال: قلت: فأين رسول الله ' وأمير المؤمنين x؟ وأين الحسن والحسين ؟. قال: فقال لي x: كم السنة شهراً؟ قال: قلت: اثنا عشر شهراً. قال x: كم منها حرم؟! قال: قلت: أربعة أشهر.. قال x: فشهـر رمضان منها؟! قال: قلت: لا.. قال x: إن في شهر رمضان ليلة أفضل من ألف شهر، إنا أهل بيت لا يقاس بنا أحد..

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين..

(١) البحار ج ٢٢ ص ٤٠٦ و ٤٠٧ عن معاني الأخبار ص ٥٦.

القسم الحادي عشر:

متفرقات

الكيل بمكيالين في قبول وتضعيف الحديث؟..

السؤال (٢٣٧):

بسمه تعالى

إننا حين نستدل بالروايات التي رويت في كتب الصحاح عند أهل السنة، فإن علماءهم يردون علينا بأن هذه الرواية ضعيفة بفلان، فقد ضعفه العقيلي، أو ابن حبان، أو ابن معين، ونحو ذلك..

وإذا استدللنا عليهم بما ورد في كتبهم، غير كتب الصحاح فإنهم يقولون لنا: هذا الحديث مكنوب..

فهل يحق لهم رد الحديث بهذه الطريقة؟!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإننا في مقام الإجابة على هذا السؤال، نقول ما يلي:

أولاً: إنه إذا كان أهل السنة يعتقدون بصحة جميع الأحاديث الواردة في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما، فإن عليهم أن يقبلوا بإلزام خصومهم لهم بما يلزمون بهم أنفسهم..

ولو كان ما يذكرونه من طعون موجباً لسقوط الروايات عن الاعتبار، فإن ذلك سيعود عليهم بالكارثة العظمى، لأنه سوف يسقط أحاديث كتب الصحاح عندهم عن الاعتبار، فإنك لا تكاد تجد راوياً من رواة أحاديث صحيح البخاري ومسلم وغيرهما، يسلم من أن يكون قد قيل فيه طعن من أكثر من واحد من علمائهم..

وتلك هي كتب رجالهم - مثل تهذيب التهذيب وغيره - تشهد على ما نقول..

ثانياً: بالنسبة إلى تكذيبهم للأحاديث التي نحتج عليهم بها، حين لا تكون موجودة في كتب صحاحهم، بل تكون مروية في كتب أخرى، مثل مستدرك الحاكم، وغيره، نقول: إنه إذا كانت هذه الأحاديث مكذوبة، فإنما اختلقها علماءهم، فلا بد أن نسألهم عن سبب إقدام أولئك العلماء على ذلك.. فهل كانوا يستعملون التقية مع الشيعة؟! أم أن الشيعة قد أجبروهم على اختلاقها؟!.. أو أن الشيعة هم الذين دسوها في كتبهم؟!..

وإذا كان ذلك صحيحاً، فلماذا لا يكون الأمر شاملاً لكتب صحاحهم أيضاً؟!.. وهل كانت السلطة بيد الشيعة في يوم ما،

ومتى؟!.. وهل يمكن أن نثق بشيء من المؤلفات في مثل هذا الحال؟!..

وثالثاً: إن من المعلوم أن ضعف الحديث سنداً لا يعني أنه مكذوب.. بل قد يمنع ذلك من صحة الاحتجاج به، إلا إذا بلغ حد التواتر، أو احتف بقريضة قطعية أو ما إلى ذلك.. فالمبادرة إلى تكذيب الحديث الضعيف يعتبر مجازفة غير مقبولة من الناحية العلمية..

والحمد لله رب العالمين.

إحتجاج السنة بكتاب سليم

السؤال (٢٣٨):

بسمه تعالى

إن البعض يحتجون علينا ببعض ما ورد في كتاب سليم بن قيس، على أساس أنه قد وصف من قبل علماء الشيعة بأنه أصل من الأصول..

بل لقد وصفوه بأنه كتاب صحيح.. فهل هو صحيح حقاً؟!.. وهل هو أصل من الأصول؟!..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

أولاً: إن مدح العلماء لكتاب، وقولهم: إنه أصل من الأصول، لا يعني صحة كل كلمة وردت فيه.. بل المراد: أنه مرجع موثوق، يؤخذ منه الحديث، وأن صاحبه من أهل الدقة والوثاقة في النقل، وهو موضع الاعتماد..

ولكن: >وما آفة الأخبار إلا رواؤها>.. فقد ينقل لنا صاحب الأصل حديثاً سمعه عن شيوخه بلا ريب، ويكون شيخه قد سمعه من غيره بلا ريب أيضاً، وتكون الآفة هي ذلك الغير، أو من روى عنه، أو غيرهما، حيث قد لا يكون دقيقاً ولا أميناً في نقله.. فصاحب الأصل لم يتعهد بأن يكون جميع الرواة الذين هم في سلسلة السند للروايات التي يوردها.. من الثقات والمأمونين..

ثانياً: إنهم حين يصفون الكتاب بالصحة، فإن وصفهم هذا قد يكون ناظراً لمضامينه، وقد يكون ناظراً لنسبته إلى مؤلفه، فيكون منه بمعنى عدم الانتحال، وأن نسبته إلى مؤلفه صحيحة بلا ريب..

وفرق كبير بين الحكم بصحة نسبة الكتاب إلى مؤلفه، ونفي الشك والريب فيه من هذه الجهة، وبين الحكم بصحة جميع ما ورد فيه من أخبار..

كما أن الحكم بصحة ما جاء فيه إنما يلاحظ فيه جانب السند، أما المضمون، فقد يكون هناك ما يمنع من الحكم بصحته، أو ما يمنع من الأخذ به، حتى لو كان صحيحاً مضموناً أيضاً..

والحمد لله رب العالمين.

الإلزام إنما هو بما في علم الكلام..

السؤال (٢٣٩):

بسمه تعالى

إن هناك من يناقشنا، فيأتينا بأحاديث من الكافي وغيره،
ويُشَّع علينا بها، ويتهمنا بأننا نؤمن بمضمونها..

فنتفاجأ بهذا الأمر، لأننا لم نسمعها من قبل.. أو أننا سمعناها،
لكن مضمونها لم يسجل في كتب اعتقاداتنا التي قرأناها.. فكيف
نجيبهم؟ وما هو موقفنا مما يطرحونه علينا؟!
وهل هذه الأحاديث موجودة حقاً في كتبنا؟!..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإننا نجيب على هذا السؤال بما يلي:

أولاً: إن الشيعة لا يعتقدون بصحة جميع ما في كتاب الكافي،
أو غيره من كتب الحديث..

وحتى الحديث الذي يرون صحة سنده، فليس من الضروري
أن يقبلوا بمضمونه، فضلاً عن أن يعتقدوا به، إذ لا بد من البحث

عن معارضاته، إن وجدت..

كما لا بد من عرضه على كتاب الله سبحانه.. وعلى الحقائق الثابتة بالأدلة القطعية، العقلية منها والنقلية، وفي مختلف العلوم والمعارف..

فبعد التأكد من سلامة مضمونه، وتحديد مراميه ودلالاته، والوقوف على كل ما يمكن أن يكون مخصصاً، أو مقيداً، أو معارضاً.. وغير ذلك.. فإنه يمكن الاستدلال عليهم به..

ثانياً: إن عقائد كل فرقة من الفرق إنما تؤخذ من كتب علم الكلام الموضوعة من قبلها والمؤيدة من قبل أساطين علمائها.. ولا تؤخذ من كتب الرواية والحديث لمجرد وجود حديث فيها.. كما أنها لا تؤخذ من قبل أفراد من تلك الفرقة قد شنوا بآراء خاصة بهم..

ثالثاً: لو كانت طريقة التمسك بمفردات الأحاديث مقبولة.. فإن البحث لن ينتهي إلى نتيجة، وذلك لما يلي:

١- إن الأحاديث والروايات كثيرة جداً، وتعد بعشرات الألوف، ولن يمكن إنهاء الكلام عنها وحولها طيلة - ربما - عشرات بل مئات السنين..

إذ أنك إذا انتهيت من الإجابة عن حديث أدخلوك في غيره..

٢- إن جميع الفرق سوف تواجه نفس هذا الإشكال، وعند أهل السنة عشرات الألوف من الأحاديث أيضاً، وفيها من العجائب

والغرائب ما يكفي لإثارة السخرية والاشمئزاز..

بل إن بلاءهم سيكون أشد، والخطورة عليهم ستكون أعظم، والمصيبة أمر وأدهى، إذ أن الكثير من تلك الأحاديث، وإن كان موجوداً في كتب لا يلتزمون بصحة جميع ما جاء فيها، ولكن الكثير الآخر هو مما تحويه كتب أصحابهم التي يصححون جميع ما ورد فيها، ويلتزمون به في العقيدة وفي الشريعة على حد سواء.. فهل يكونون سعداء بإثارة مثل هذه القضايا؟!..

إننا لا نظن ذلك، بل لا نتوهمه..

والحمد لله رب العالمين.

كلمة أخيرة:

وبعد.. فإنني أرجو أن يجد القارئ الكريم في هذا الكتاب جواباً عن بعض الأسئلة التي ربما تكون قد جالت في خاطره، أو راودت وتراود فكره بين الحين والآخر.

وربما يكون الاختصار الذي هو سمة هذا الكتاب لا يرضي طموحه، ولا يتلاءم مع تطلعاته.. ولكن عذرنا في ذلك هو: أن

هذا هو ما تفرضه طبيعة الأمور في حالات كهذه.. ولولا ذلك، فإن من الواضح: أن ثمة أسئلة تحتاج الإجابة المقنعة والمرضية عنها إلى المزيد من التتبع للنصوص، وإلى الاستقصاء للأدلة والشواهد، وإلى طرح مسائل، وتمهيد مقدمات تساعد على إعطاء الانطباع الصحيح، وفي تجلية الحق، وظهوره، وفي إبعاد الشوائب، وإزاحة الشبهات عنه.

وعلى كل حال، فإنه إذا كان لنا من رجاء، فهو أن يتحفنا القارئ الكريم بأية ملاحظة تراود خاطره، وأن لا يبخل علينا بما يراه تصويباً ودلالة، فإننا لا ندعي العصمة لأنفسنا. فما أكثر ما تقع في الخطأ والزلل. وما أشد حاجتنا للتوفيق والتسديد والرعاية.. وإن لدعاء الصالحين أكبر الأثر في ذلك..

ولذلك فإن لنا أملاً وطيداً بالقارئ الكريم بأن لا ينسانا من صالح أدعيته، له علينا المنّة وله منا جزيل الشكر والتقدير.

نسأل الله سبحانه أن يسبغ علينا جميعاً نعمه، ظاهرة وباطنة، وأن يشملنا بعين رعايته، وأن لا يحرمنا من فيوضه وألطافه.. إنه ولي قدير.

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطاهرين.

عيثا الجبل > عيثا الزط سابقاً >

١٤٢٣/١١/١٨ للهجرة. الموافق ٢٠٠٣/١/٢٢ م.

جعفر مرتضى العاملي

الفهارس:

- ١- الفهرس الإجمالي
- ٢- الفهرس التفصيلي
- ٣- كتب مطبوعة للمؤلف

١ - الفهرس الإجمالي

م

تقديم: ٥

القسم الأول:

عقائديات 7

القسم الثاني:

قرآنيات ٢٣

القسم الثالث:

القرآن والإمامة ٤٣

القسم الرابع:

الإمام والإمامة ٨٥

القسم الخامس:

العصمة ١٠٩

القسم السادس:

الإمام علي x والسيدة الزهراء ÷ ١٥٥

القسم السابع:

الأئمة .. الشهداء ١٧١

القسم الثامن:

١٩٣ من ههنا أتينا

القسم التاسع:

٢٢١ فقه

القسم العاشر:

٢٤١ قضايا.. وشخصيات

القسم الحادي عشر:

٢٥٥ متفرقات

٢٦٣ كلمة أخيرة

٢٦٥ الفهارس

٢- الفهرس التفصيلي

م

تقديم: ٥

القسم الأول: عقائديات

- العدل الإلهي، وقضايا السلوك ٩
- هل أكل الله الخلق إلى غيره؟! ١١
- من كان حجة الله بعد عيسى x ١٤
- علم جبرئيل x وعلم الرسول ' ٢١

القسم الثاني: قرآنيات

- القرآن وحده المعجزة الخالدة ٢٥
- أردت - أردنا - أراد الله ٢٨
- أفرايتم ما تحرثون ٣٢
- لا إكراه في الدين ٣٥
- العلم الإلهي وجعل الكعبة قياماً ٣٦
- الدنيا لهو ولعب ٤٠

القسم الثالث: القرآن.. والإمامة

- {اليوم أكملت..} هل نزلت قبل: {.. فما بلغت رسالته} ٤٦
- مرتكزات الإيمان: ٤٧
- نزول سورة المائدة: ٥١

- ٥٢ تاريخ نزول سورة المائدة:
- ٥٣ ضعوا هذه الآية في سورة كذا:
- ٥٥ الدوافع والأهداف:
- ٥٥ لماذا قدم آية الإكمال:
- ٦١ النزول على النبي ، قبل الإبلان:
- ٦٣ متى كانت النبوة:
- ٦٥ النزول لأجل هداية الناس:
- ٦٥ ألف: النزول للسورة بتمامها:
- ٦٦ لو كان لا بد من الانتظار:
- ٦٧ نزول السورة مرتين:
- ٦٧ نزول الآية أيضاً مرتين:
- ٦٩ النزول التدريجي للآيات:
- ٧٠ شواهد وأدلة:
- ٨١ ب: سورة الكهف نزلت في مكة:
- ٨٥ خلاصة أخيرة:

القسم الرابع: الإمام والإمامة

- ٩٠ الدين كامل بدون ولاية الإمام علي (!!):
- ٩٧ ثلاثة (!!) يجبرون الصحابة على البيعة!
- ١٠٠ هل كان النبي ، يريد الوصية لعلي؟
- ١٠٣ لماذا سمى الإمام علي × أولاده بمثل أسمائهم؟!
- ١٠٦ لا مشكلة بين الإمام علي × وعمر:
- ١٠٨ علم الأئمة ٨ حين كانوا أنواراً

دور المهدي # مع وجود الخضر x ١٠٩

القسم الخامس: العصمة

الخضر، وموسى ' ١١٥

أين هو عهد موسى: ١٣١

لا تؤاخذني بما نسيت: ١٣٤

وما أنسانيه إلا الشيطان: ١٣٧

العصمة عند السيد الخوئي ١٤٠

نوم علي x بين النبي ' وعائشة ١٤٤

القسم السادس: الإمام علي x والسيدة الزهراء ÷

هل للإمام علي x دور غير المبيت في الفراش؟! ١٦٤

لا تعترضوا على أبي بكر ١٦٧

الولاية والولاية ١٧٠

لماذا لم يتزوج الإمام x في حياة السيدة الزهراء ÷ ١٧٢

أيهما أحب إلى النبي ' .. فاطمة ÷ أم علي x ١٧٤

القسم السابع: الأئمة .. الشهداء

ما منا إلا مقتول أو مسموم ١٨١

هل كربلاء مأساة ١٨٥

هل البكاء على الإمام الحسين x مأخوذ من غير المسلمين؟ ١٨٩

هل البكاء على الشهداء ضعف؟! ١٩٢

الإمام المهدي # لم يرث الإمام العسكري x ١٩٤

إذن الحسين x لأصحابه بالانصراف ١٩٧

القسم الثامن: من ههنا أتينا

- كيف يحاوروننا ٢٠٤
- الرسالة الأولى ٢٠٤
- الرسالة الثانية ٢١١

القسم التاسع: فقه

- الاستنساخ البشري.. نظرة موضوعية ٢٣٤
- الموت السريري ٢٤٤
- العقد الدائم على الكتابية..... ٢٤٦
- الأكل من ذبائح أهل الكتاب ٢٤٧
- الإلزام بالحجاب ٢٤٨
- مرافقة الزوجة إلى الكنيسة..... ٢٤٨
- لا بد من الرفق ٢٤٩
- الأخلاق الرفيعة والاحترامات..... ٢٥٠
- الجمع في الصلاة ٢٥٠

القسم العاشر: قضايا.. وشخصيات

- الاقتراء على المحقق الطوسي & ٢٥٦
- المختار النقي ٢٦٢
- أبو ذر أصدق لهجة..... ٢٦٦

القسم الحادي عشر: متفرقات

- الكيل بمكيالين في قبول وتضعيف الحديث؟..... ٢٧١
- إحتجاج السنة بكتاب سُلِّم ٢٧٣
- الإلزام إنما هو بما في علم الكلام..... ٢٧٥
- كلمة أخيرة: ٢٧٧

الفهارس ٢٨٧

الفهارس: ٢٧٩

١- الفهرس الإجمالي ٢٦٧

٢- الفهرس التفصيلي ٢٦٩

٣ - كتب مطبوعة للمؤلف ٢٧٥

٣ - كتب مطبوعة للمؤلف

- ١ - الآداب الطبية في الإسلام
- ٢ - ابن عباس وأموال البصرة
- ٣ - إدارة الحرمين الشريفين في القرآن الكريم
- ٤ - الإسلام ومبدأ المقابلة بالمثل
- ٥ - أكذوبتان حول الشريف الرضي
- ٦ - أفلا تذكرون <حوارات في الدين والعقيدة>
- ٧ - أهل البيت ٨ في آية التطهير (الطبعة الثانية مزيّدة ومنقحة)
- ٨ - براءة آدم x حقيقة قرآنية
- ٩ - بنات النبي ، أم ربائبه
- ١٠ - بيان الأئمة في الميزان
- ١١ - تفسير سورة الفاتحة
- ١٢ - تفسير سورة الكوثر
- ١٣ - تفسير سورة الماعون
- ١٤ - تفسير سورة الناس
- ١٥ - الجزيرة الخضراء ومثلث برمودا
- ١٦ - حديث الإفك
- ١٧ - حقائق هامة حول القرآن الكريم
- ١٨ - الحياة السياسية للإمام الجواد x

- ١٩ - الحياة السياسية للإمام الحسن x
- ٢٠ - الحياة السياسية للإمام الرضا x
- ٢١ - خطبة البيان في الميزان
- ٢٢ - خلفيات كتاب مأساة الزهراء ÷ ٦/١
- ٢٣ - دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام ٤/١
- ٢٤ - دراسة في علامات الظهور
- ٢٥ - زواج المتعة (تحقيق ودراسة) ٣/١
- ٢٦ - الزواج المؤقت في الإسلام (المتعة)
- ٢٧ - سلمان الفارسي في مواجهة التحدي
- ٢٨ - سنابل المجد (قصيدة إلى روح الإمام الخميني &)
- ٢٩ - السوق في ظل الدولة الإسلامية
- ٣٠ - الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة
- ٣١ - الصحيح من سيرة النبي الأعظم ، ١٢/١
- ٣٢ - صراع الحرية في عصر الشيخ المفيد &
- ٣٣ - ظاهرة القارونية من أين وإلى أين؟
- ٣٤ - ظلامه أم كلثوم
- ٣٥ - علي x والخوارج ٢/١
- ٣٦ - الغدير والمعارضون
- ٣٧ - القول الصائب في إثبات الربائب
- ٣٨ - كربلاء فوق الشبهات
- ٣٩ - لست بفوق أن أخطئ من كلام علي x
- ٤٠ - لماذا كتاب مأساة الزهراء ÷
- ٤١ - مأساة الزهراء ÷ شبهات وردود ٢/١
- ٤٢ - مختصر مفيد.. <القسم الأول والثاني والثالث والرابع>
- ٤٣ - المدخل لدراسة السيرة النبوية المباركة

- ٤٤ - مقالات ودراسات
- ٤٥ - منطلقات البحث العلمي في السيرة النبوية
- ٤٦ - المواسم والمراسم
- ٤٧ - موقع ولاية الفقيه من نظرية الحكم في الإسلام
- ٤٨ - موقف علي x في الحديبية
- ٤٩ - نقش الخواتيم لدى الأئمة ٨
- ٥٠ - ولاية الفقيه في صحيحة عمر بن حنظلة